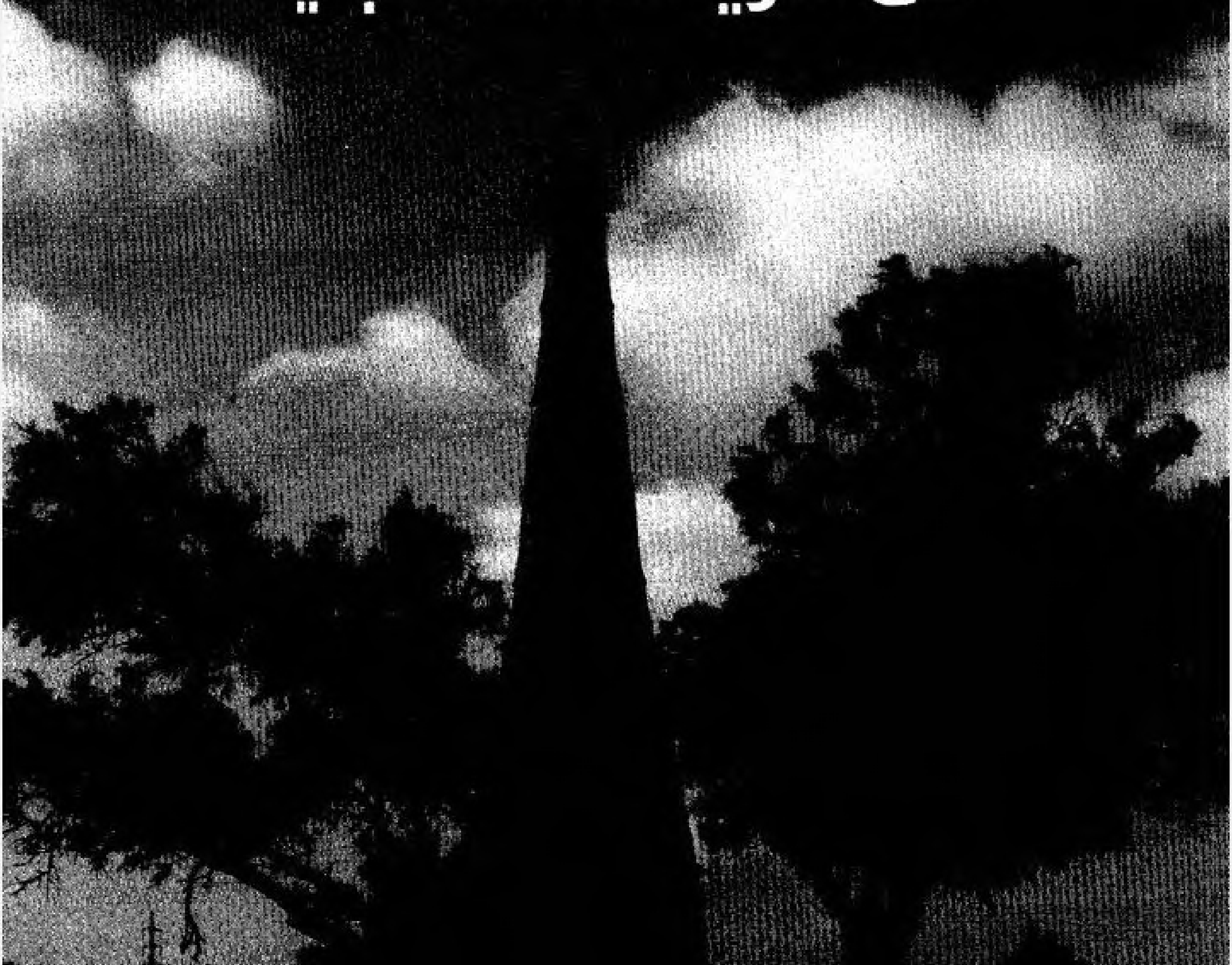
صَفحات مَطويَّة

من تاريخنا الشعبي



عبد الرحمن بن عبد العزيز الصويان

صفحات مطوية

من تاريخنا الشعبي

عبد الرحمن عبد العزيز الصويان
ص. ب. : ٦٢٥ - الظهران ٣١٢٦١
المملكة العربية السعودية

ح عبد الرحمن بن عبد العزيز الصويان، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصويان، عبد الرحمن بن عبد العزيز

صفحات مطوية من تاريخنا الشعبي/ عبد الرحمن بن عبد العزيز الصويان - الرياض، ١٤٣١هـ،

ص؛ ١٧× ٢٤سم

ردمك: ٤ - ٤٢١٠ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- السعودية - تاريخ - العصر العثماني ٢ - القصيم (السعودية) - تاريخ أ. العنوان

ديوي ٩٥٣,١١٩ ١٤٣١/٧١٩

رقم الإيداع: ١٤٣١/٧١٩

ردمك: ٤ - ٤٢١٠ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد حاولت اختيار عنوان الكتاب بعناية، فأسميته: (صفحات مطوية).

إنها صفحات... فهو إذاً ليس كتاباً متكاملاً في موضوع محدد، بل هو صفحات متفرقة.

وهي: صفحات مطوية، طواها الزمن، وطواها العلم، وطواها هذا الخير، الذي تنعم به البلاد.

هذه صفحات طويت؛ فلا أحقاد، ولا فخر، ولكنها صفحات ننشرها لتذكّرنا بفضل الله علينا، أن أبدَلنا بالخوف أمناً... وبالجهل علماً... وبذلك التفرق اتحاداً.

نتذكر ذلك فنشكر الله؛ وبالشكر تدوم النعم. ونتذكر ذلك فنعمل على المحافظة على ما وهبنا الله من هذه النعم، ونكون مع قيادتنا يداً واحدة ضد كل من تسوّل له نفسه العبث بأمننا ومقدّراتنا.

وفي هذه الصفحات، نرى أيضاً بعضاً من شيم العرب، تلك الشيم الجميلة، الصادقة، النابعة من الفطرة السليمة، والتي عزّزها الإسلام الحنيف، نرى تلك الشيم، فنستفيد منها، وننقلها للأجيال من بعدنا.

والرابط المشترك بين هذه الصفحات جميعها، هو: محمد بن سليمان الصويان.

وُلِد محمد الصويان في بداية القرن الرابع عشر الهجري في قرية الشنانة في منطقة القصيم، ورأى كثيراً من الحوادث التي مرَّت بها منطقة القصيم، أثناء فترة تأسيس وتوحيد المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، رحمه الله، والصراع بينه وبين آل الرشيد في حائل.

كان محمد الصويان في تلك الفترة صغيراً، ولذلك لم يشارك في القتال في تلك المعارك، ولكنه كان شاباً ذكياً ألمعياً، رأى بأم عينه الكثير من الحوادث، وسمع من أهله وأقاربه وكبار أهل بلدته ما يتبادله الناس من أخبار، فكوَّن وجهات نظر، لا من زاوية القادة العسكريين والسياسيين، ولكن من زاوية المواطن الذي يحكي هموم عموم الناس.

ثم رحل محمد الصويان من القصيم، وانضم إلى جيش الدولة العثمانية، وتعلَّم العسكرية، حتى رُقِّي إلى مرتبة (برنجي صنف)، وكان مسؤولاً عن سرية العقيلات (أهل نجد) في الجيش العثماني، حوالي أربع سنوات، ثم انتقل بعد ذلك إلى جيش الشريف، أثناء ثورة الأشراف في الحجاز على الحكم العثماني، المسماة بالثورة العربية الكبرى، لمدة أربع سنوات. ترك بعدها الخدمة ورجع إلى القصيم. كل ذلك ساهم في بناء شخصيته... وتفتُّح عقليته.

كان محمد الصويان - رحمه الله - ذا شخصية قوية؛ نظراً لخبرته العسكرية وتغرُّبه عن أهله وهو في مقتبل العُمُر، لكنه كان مع ذلك صاحب شخصية محبوبة، يحب رواية الشعر والقصص، وعاش اهتمامَ بلدته بالشعر والأدب، وآتاه الله ذاكرة قوية، وقدرة فائقة على الحفظ؛ فروى كثيراً مما رأى وسمع.

ومن حُسْن الحظ، أن قام بعض أبنائه بتسجيل جزءٍ من تلك الروايات.

وهذا الكتاب يدور حول ما رواه من قصص وشعر، وما وصف من حوادث

وقعت له:

ففي الصفحة الأولى: نتحدث بإيجاز عن سيرة محمد الصويان ونشأته.

وفي الصفحة الثانية: نتطرق إلى وَصْفِ الأوضاع السياسية في القصيم في الفترة التي وُلِد فيها محمد الصويان؛ حيث إن لتلك الأوضاع أثراً واضحاً في شخصيته.

وفي الصفحة الثالثة: يشرح محمد الصويان معاناته عندما اضطر إلى مغادرة الشنانة، بعد الدمار الذي حل بها إثر غزو عبد العزيز بن متعب الرشيد لها. وما تبع ذلك من غربة، ثم تَرْكِه جيش الشريف وعودَته للقصيم.

وفي الصفحة الرابعة: نجمع ما وَصَلَنا من رواياته الشعرية والقصصية، كما سجَّلها بصوته.

وفي الصفحة الخامسة: نحاول تحليل وجهات نظره (السياسية، والاجتماعية، والثقافية).

وفي الصفحات الأخيرة: نتعرَّف بإيجاز على العشيرة والقبيلة التي ينتمي لها محمد الصويان، وهي عشيرة الزهير التي تنتمي إلى قبيلة بني صخر.

لقد جرى تسجيل روايات محمد الصويان قبل فترة طويلة، باستخدام أجهزة بسيطة؛ ولذلك فقد لا تكون جودة الصوت ممتازة. وقد حاولت تحسين تلك التسجيلات باستخدام الوسائل التقنية الحديثة.

وفي رأيي الشخصي أن روايات محمد الصويان للأحداث التي شاهدها بشكل مباشر، مثل: وَصْفه لدخول عبد العزيز بن متعب الرشيد إلى الشنانة، أو رواياته عن الأشخاص الذين قابلهم، مثل: الشاعر خويلد اللحيدان أو الشاعر سعد

الحجاب. . . هذه الروايات تُعَدُّ روايات دقيقة بشكل كبير، حسب فهمه ورؤيته للأحداث. أما رواياته للأحداث التي لم يكن حاضراً فيها، مثل: رواياته عن حروب الملك عبد العزيز آل سعود، أو رواياته عن الشعراء الذين لم يقابلهم شخصياً، مثل: الشاعر سرور الأطرش، أو الشاعر عبد الله بن سبيِّل. . . هذه الروايات قد لا تكون دقيقة، ولكنها تمثِّل وجهة نظره الشخصية وما سمعه من الناس.

كُلِّي أَمَل أن يستمتع القارئ بقراءة هذا الكتاب، وأن يتعرف من خلاله على جوانب من تلك الحقبة من الزمن، مؤكداً أن ما رواه محمد الصويان من قصص وأخبار، يمثل وجهة نظره الخاصة، وقد لا يكون ذلك بالضرورة متفقاً مع الروايات الأخرى؛ ولكنني أنقلها كما هي، من باب الأمانة العلمية.

وقد يرى البعض أنه لا ضرورة لتدوين الأشعار والقصص التي قد تكون معروفة، مثل بعض قصائد ابن سبيِّل، ولكنني أرى أنه لا ضرر من تدوينها هنا، لوجود بعض الاختلاف في تلك الروايات عن ما هو موجود بين أيدي الناس في الكتب.

وقد لا يتفق البعض معي في تدوين كل شيء في هذا الكتاب، ويرى تنقيحه وحذف بعض العبارات فيه؛ إلا أنني رأيت الإبقاء على الروايات كما هي؛ لأن الهدف هو نقل صورة واقعية عن المجتمع في منطقة القصيم خلال تلك الحقبة التاريخية، وليس الهدف إجراء تقويم لتلك الفترة أو عمل تحليل اجتماعي وتاريخي لها. ولعل أحد المتخصصين يقوم بإجراء هذه الدراسات التحليلية.

ولذلك؛ فإنني أيضاً لم أقم بمحاولة وزن تلك الأشعار المروية لسببين:

أولاً: لأنني غير متخصص في هذا المجال.

وثانياً: لأنني أرى أهمية تدوين الرويات كما وردتني، وليس كما أعتقد أنها

يجب أن تكون.

وقد أضفت ثلاثة ملاحق للكتاب:

الملحق الأول: عن قبيلة بني صخر، وهو تعريف مختصر بالقبيلة التي ينتمي إليها محمد الصويان.

الملحق الثاني: تعريف موجز بعشيرة الزهير التي تنتمي إلى قبيلة بني صخر، وهي عشيرة محمد الصويان.

الملحق الثالث: يضم صوراً لبعض الصكوك والوثائق القديمة.

ختاماً أتقدَّم بالشكر الجزيل للعم الدكتور سعد بن عبدالله الصويان على تزويدي بتلك التسجيلات للعم (محمد الصويان)، ولمساعدتي في تصحيح القصائد وشَرْحِها. وأشكر ابن عمي (عبد الله بن صالح بن عبد الله الصويان) على جهوده في معالجة المواد الصوتية. وأشكر سعادة الدكتور (عبد العزيز بن صالح الشبل) على الملاحظات التي أفادني بها عند مراجعته للكتاب. وأتقدَّم بالشكر والعرفان إلى الخال (علي بن عبد الله الخليفة) والخال (ناصر بن صالح الخليفة) وابن الخال (عبد الرحمن بن ناصر الخليفة)؛ لتكرُّمهم بمراجعة الكتاب وإبداء ملاحظاتٍ ووجهات نظرٍ استفدت منها كثيراً. وشكري الخاص لأختي (صفية) التي ساعدتني وساهمت معي في إنجاز هذا العمل. وأشكر شكراً جزيلاً والدي الذي شجعني ووجَّهني في كثير من القضايا المتعلقة بتوثيق المعلومات وتصحيحها، متمنياً - أخي القارئ وأختي القارئة - أن ينال هذا العمل استحسانكم، وأن تتكرموا بتزويدي بأي ملاحظات على ما كُتِب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن بن عبد العزيز الصويان

محمد الصويان... المولد... والنشأة

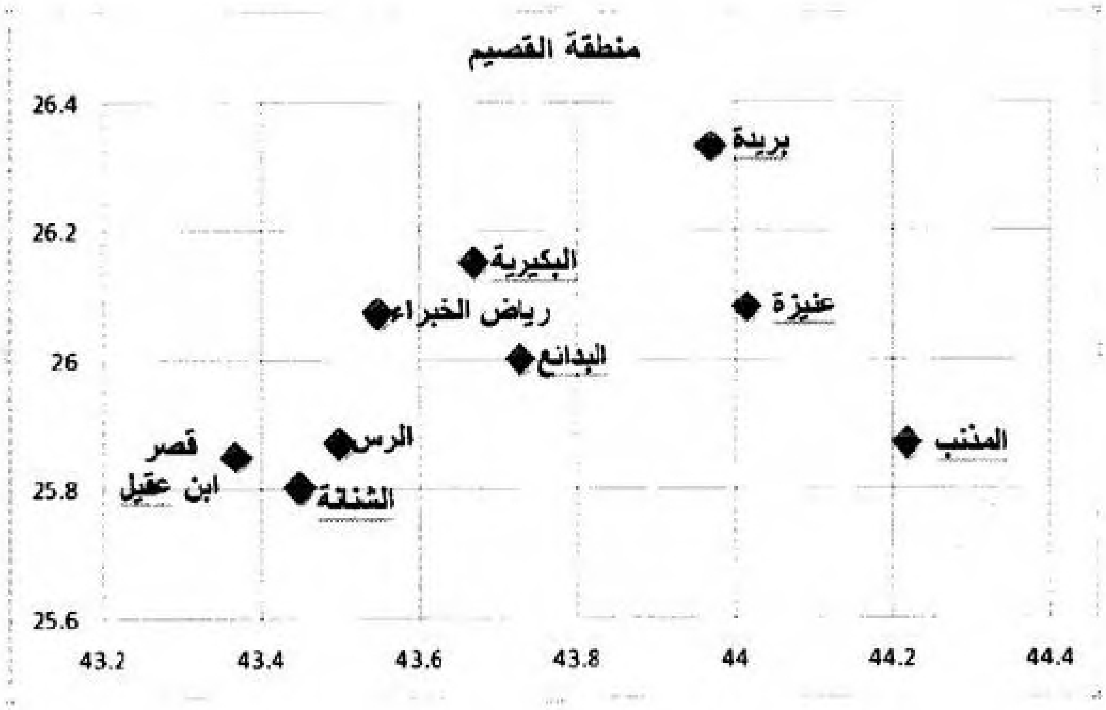
ولد محمد بن سليمان الصويان في الشنانة حوالي عام ١٣٠٨هـ[1]، و نشأ فيها . وقد كان محمد الصويان - رحمه الله - محباً للشنانة، رغم تغرُّبه عنها كثيراً، وربما كان هذا هو السبب في شدة حبه لها؛ حيث كانت الشنانة تمثل له مكان المولد والنشأة الأولى؛ وقد روى كثيراً من القصائد الشعبية التي تروي الملحمة التي سجّلها أهلها بشجاعة خلال معركة الشنانة الشهيرة .

الشّنَانَة

تقع بلدة الشنانة بمنطقة القصيم على بعد سبعة كيلو مترات عن وسط محافظة الرس غرباً ، على خط طول ٤٥ ، ٤٣° وخط عرض ٨٠ ، ٢٥°، على الضفة الجنوبية لوادي الرُّمة على بعد حوالي عشرة كيلو مترات منه، وعلى مجرى وادٍ يدعى: «شعيب الشنانة» يتجه من الجنوب إلى الشمال و يصب في وادي الرُّمة. وتوضّح الصورة، رقم (١) مواقع بعض مدن وقرى القصيم التي ورد ذِكْرُها في الكتاب. ويقال: إن الشِّنَانَة بصيغة النسبة إلى «الشنان»، وهو نوع من شجر الحمض ينبت بكثرة في منطقتها، وسميت بالشنانة لهذا السبب.

---

(١) الموافق عام ١٨٩١م، وهذه السنة اشتُهرت خاصة عند أهل القصيم بأنها: سنة (المليدا) المعركة المشهورة بين أهل القصيم ومحمد بن رشيد.



صورة، رقم (١) : مواقع بعض مدن وقرى القصيم

وقد كانت الشنانة بلدة هامة، ويدل على ذلك مَرْقَبُها (برجها) هائل الارتفاع بالنسبة إلى تلك المنطقة، والذي لا يزال قسم منه باقياً شاهداً على ما بلغته تلك البلدة من قوة في الماضي.

وكان آخر عهدها بالعمران والازدهار عندما نزلها عبد العزيز بن متعب بن رشيد إبان منازلته للملك عبد العزيز آل سعود ومن معه من أهل القصيم، بعد وقعة البكيرية في عام ١٣٢٣ هـ؛ إذ قام ابن رشيد بهدم البيوت وقطع النخيل، بغية التدمير والإرهاب.

وفي السنوات الأخيرة، بدأت الشنانة باستعادة جزء من عمرانها ونشاطها السابق، في أعلى البلدة.

برج الشنانة

ومن معالم الشنانة الأثرية الباقية حتى الآن شاهدة على تاريخها الباسل، برجها الشهير الذي يقال: إنه بُنِي عام ١١١١هـ[1]. وبرج الشنانة، أو مرقب الشنانة كما يسميه البعض، مَعْلَم من المعالم الأثرية المهمة لمنطقة القصيم؛ حيث كان يستخدمه سكان الشنانة للمراقبة في أوقات الحروب؛ لذلك يعتز أهالي منطقة القصيم بهذا البرج كثيراً، وقد وقعت حول هذا البرج إحدى معارك الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - في ٢٨/ ٧/ ١٣٢٢هـ خلال مرحلة التأسيس.

وهو أيضاً دليل لا يزال حياً، على أن بلدة الشنانة كانت بلدة متكاملة تضم أسواقاً ومساجد ومزارع . . . ولا توجد معلومات موثقة عن ارتفاع البرج عند تأسيسه، لكن عوامل التعرية والقصف الذي تعرض له أثناء الحروب التاريخية التي شهدتها البلدة، فضلاً عن عبث الأيدي الطائشة به، كل ذلك جعل المتبقي منه حالياً هو ٢٣,٨٠ متراً.

---

(١) لم أجد مصدراً موثَّقاً في تحديد تاريخ بناء مرقب الشنانة أو مَنْ بناه، وقد يكون السبب في ذلك أن المرقب تعرض للهدم عدة مرات، ومن ثَمَّ كان يعاد تجديد بنائه وترميمه. ومما يقوله بعض كبار السن في المنطقة: إن الذي بناه رجل من البكيرية، اسمه فريح الفريح، وذلك بتمويل شخص من الخليفة، اسمه فهد بن سليمان الخليفة. وشارك في البناء عدد من الرجال، من عدة أُسَر. وفي رواية أخرى، أن شارخ المحفوظي، من قبيلة العجمان، هو الذي بنى المرقب. وكان شارخ وأولاده يسكنون الشنانة قبل الخليفة، ثم باعها للخليفة، وانتقل مع أولاده إلى المُطَيّة، وهي قرية قريبة من الشنانة.

شجاعة أهل الشنانة

يتميَّز أهل الشنانة بالشجاعة والبطولة واستبسالهم في دفاعهم عن الأرض، ومن ذلك مشاركتهم إخوانهم أهل الرس في مقاومة الأتراك[١] أثناء حملة طوسون باشا على نجد وحصار الرس عام ١٢٣٠ هـ[٢]، وحملة إبراهيم باشا عام ١٢٣٢هـ، كذلك استطاعوا مقاومة غزوات البدو. وصمد أهلها دائماً في وجه المعتدين، وهو ما تشهد به موقعة الشنانة المشهورة؛ حيث تعرض أهلها للاضطهاد بسبب استبسالهم ومساندتهم للمؤسس الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - لدرجة أن المعتدين ضربوا بعض رجالها حتى الموت لإصرارهم على المقاومة والدفاع عن النفس والأرض.

---

(١) خير الدين الزركلي، (الأعلام)، صفحة ٥٣٠.
(٢) عثمان بن بشر، (عنوان المجد في تاريخ نجد)، الجزء الأول، صفحة ١٨٥.

نشأة محمد الصويان

نشأ محمد بن سليمان الصويان في الشنانة، وهو من عشيرة الزهير من قبيلة بني صخر؛ حيث قَدِم زهير بن فلاح بن سالم الصخري إلى الشنانة من منطقة العلا، واستقر فيها حوالي عام ١١٥٠هـ. ويحتوي الملحقان: رقم (١) ورقم (٢) على تعريف موجز بقبيلة بني صخر وبعشيرة الزهير. وكانت الشنانة بلدة زراعية مليئة بالمياه، يقطنها آنذاك حمولة (الخليفة)[1]، وهي حمولة كريمة من الوهبة من بني تميم؛ فجاور الزهير حمولة الخليفة. ومع مرور الزمن، تملّك الصويان عدداً من المزارع في تلك المناطق، وكان لهم ثروة لا بأس بها من الإبل، وهذا وسم إبلهم (⫲)؛ حيث يوضع هذا الوسم على الفخذ الأيسر بالنسبة للجمال، وعلى الأذن اليسرى بالنسبة للغنم.

وتصاهر الصويان مع حمولة الخليفة والحمايل الأخرى التي كانت تعيش في بلدة الشنانة والقرى المحيطة بها. ويحتوي الملحق، رقم (٣) على عدد من الصكوك القديمة والمبايعات لبعض المزارع التي كان الصويان يمتلكونها في الشنانة.

محمد الصويان نفسه، عاش في مزرعة الصويان (فوزة)، ويصفها بقوله: (عندما غزا ابن رشيد الشنانة، كان فيها خمسة وتسعون حايطاً[2]، كلها عندما أتى ابن رشيد كانت مرجحة بالتمر... مكاننا، مكان الصويان: والله إنها سبعمائة جذع... سبعمائة نخلة! كل واحدة فيها كانت محملة بأربعة أو خمسة عذوق، ولم يرحل ابن رشيد منها، وبها خوصة واحدة. شهر يأكلون من ثمرها.. وشهر يأكلون

(١) عبد الرحمن المغيري، (المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب)، صفحة ٧٠.
(٢) حايط: والجمع حيطان، وهي المزارع والبساتين المحاطة بحاجز أو سور.

من جمَّارها. . . الله يدافع. . . حسيبُه الذي لا تنام عينه. . . ضاع فيها الحمار لمدَّة ثلاثة أيام لكبرها. كانت حوالي نصف الديرة. عليها أربع قلبان. . . كلها للصويان. الصويان أربعون نفساً، كلهم يأكلون من قِدْرٍ واحدة. . . يأكلون جميعاً. . . انظر طيبة الناس تلك الأيام. . . الله أكبر.

إذا أتت قبائل البدو، وضعوا أربعة ثلمان[1] في وسط الحائط، حتى لا ينقلوا الثمار من الباب. يثلمون ثلمان مع الحائط، ويُدخلون دوابهم إلى وسط الحائط، ثم بعد ذلك يبنونه إذا انتهى وقت جداد النخيل. يقول البدوي:

رَجِّع لنا الكَيل بالوافي حتَّى تجِيك الرّيَالِيَّه
لابنْ صويَّانْ زِفْزَافي والا نِصَيْنا البْكَيريَّه

ولم يرحل ابن رشيد - الله يشوف لنا وله - إلا جميع الديرة كلها: مبانيها، ومساجدها، وحيطانها، وجدرانها، قد هدمت. . . كلها. . . لم تبق لبنة على لبنة).

عاش محمد الصويان فترة حياته الأولى في الشنانة، وضعاً اجتماعياً متميِّزاً، فتعلَّم من أهله حُسْنَ الخلق، والشجاعة، والكرم الفائق، حتى مدحهم الشاعر البدوي بقوله:

يا ليتني ما مريت قصر ابن. . . . اللي تخطُّوه الرجال الذهان[2]
ويا ليتهم ما ناسبوه الصويان اللي عطاياهم كبار المثاني

(١) ثلمان: جمع ثلمة، وهي الفتحة في الحائط.
(٢) تجنباً للإحراج لم نذكر اسم العائلة.

لكنه ذهب بعد معركة الشنانة إلى المدينة المنورة، مشياً على الأقدام، وعمل لمدة شهرين في سكة حديد الحجاز، ثم انضم إلى جيش الدولة العثمانية، وتعلَّم العسكرية، حتى رقي إلى مرتبة (برنجي صنف)، وكان مسؤولاً عن سرية العقيلات (أهل نجد) في الجيش العثماني حوالي أربع سنوات، تعلَّم خلالها اللغة التركية، ثم قام جنود العقيلات بعصيان على الجيش التركي، وكان هو أحد قادة ذلك العصيان، فَطُرِد من الجيش التركي.

انتقل بعد ذلك إلى جيش الشريف؛ حيث عمل لمدة أربع سنوات، رجع بعدها إلى القصيم.

عمل فلاحاً في البدائع لمدة سبعة عشر عاماً، ثم انتقل إلى عنيزة؛ حيث عاش بقية حياته، وتوفي - رحمه الله - حوالي عام ١٤٠٦ هـ.

تزوج «محمد» عدة مرات:

الأولى كانت أثناء سكنه في المدينة المنورة، من ابنة أحد شيوخ العقيلات، واسمه (أبو هيلة).

ثم تزوج في عنيزة، بمزنة العميم من قبيلة سبيع. ورُزِق منها بعدد من الأبناء والبنات.

كان محمد الصويان رجلاً ذكياً، يحب الشعر والأدب. رزقه الله شخصية محبوبة، وذاكرة قوية، وقدرة فائقة على سرد القصص بأسلوب جميل جذَّاب.

الأوضاع السياسية في نجد

في بداية القرن الرابع عشر الهجري

عاشت الجزيرة العربية فترة من الفوضى والاضطراب والجهل، ولكن الله منَّ عليها وعلى المسلمين بجمع كلمتها تحت راية الإسلام الخالدة: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، فقام الإمام محمد بن سعود بمؤازرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتأسست الدولة السعودية الكريمة التي اتخذت كلمة التوحيد شعاراً لها، ومنهجاً لحياتها، وأساساً لنظامها. وأكد ذلك الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود حين دخل مدينة الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ (١٥/ ١/ ١٩٠٢م).

(وما إن عادت الراية السعودية، وقضى الملك البطل على نفوذ ابن رشيد في الرياض، حتى تسابقت المدن والقبائل تعلن الولاء والطاعة للملك القادم. وكان أمام الملك مهمَّات جسام، وأهداف وغايات، وخصوم شِدَاد، وأطماع تحدق به من كل صوب، وبغاة يقطعون الطريق، وجهل وخوف، وتشرذم وتشتُّت، وغمارات وزعامات. وكانت همته عظيمة، وإرادته جسيمة، ينشد إعادة الملك، ويطلب توحيد الوطن، ويرجو جمع الأمة، ويؤم الجيوش الزاحفة، ويتقدَّم الرجال الهاجمة)[1].
وبدأ الملك عبد العزيز يبسط نفوذه على المناطق التي كانت تحت نفوذ أجداده؛ فاتجه إلى الجنوب، واستولى على الخرج، وأخذ الحريق والحوطة والأفلاج، وبلغ وادي الدواسر على حدود الربع الخالي، ثم انطلق الملك عبد العزيز يوحد الأجزاء الشمالية؛ فغزا الكثير من القرى والمدن الواقعة شمال الرياض، وسيطر على أقاليم المحمل والشعيب والوشم وسدير، وانفتح الطريق أمامه إلى القصيم.

---

(١) عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان، (بطولة ملك... التحدي والمنازلة)، الجزء الثالث، صفحة ٦ - ٥.

يقول محمد الصويان: (قبل استقرار حكم الملك عبد العزيز في نجد، لم يكن واضحاً كيف ستنتهي الأمور بين الملك عبد العزيز وابن رشيد. كان ابن رشيد مستولياً على أجزاء من القصيم، وكان ابن سعود في منطقة العارض؛ فكانت كل ديرةٍ تحاول حماية نفسها من أي هجوم، ويرقب أهلها الأوضاع ليروا كيف تنتهي الأمور بين ابن سعود وابن رشيد؟ ومن ذلك أن أهل شقراء، جماعة البواردي[1]، حصَّنوا بلدهم، وبَنَوا سوراً لحمايتها. ولكن نفراً منهم، خافوا من ابن رشيد، فكاتبوه سراً. ولَمَّا علم البواردي بذلك، طلب من أهل البلدة الاجتماع للعرضة[2]، ولَمَّا تجمَّع الناس وبدأت العرضة، أنشأ أبياتاً من الشعر. ولَمَّا سمعها الأشخاص الذين كاتبوا ابن رشيد، عرفوا أن البواردي علم بخيانتهم، فخجلوا خجلاً شديداً من أنفسهم، ولكن البواردي لم يعاتبهم عتاباً صريحاً؛ حتى لا يحرجهم. وبعد فترة من الزمن، تبيَّن أن النصر لابن سعود، عندها كاتبه أهل شقراء مكاتبة صريحة (وليست خيانة) ليعلموه أنهم تَبَع له).

ويروي محمد الصويان الأبيات التي قالها البواردي:

ياهلَ الديرهْ اللي طالْ مَبْناها	ما بلادٍ حَماها طُول حاميها[3]
دارُكم صَارْ داها اليوم بِرْدَاها	وشْ يِعْزَ البْلادْ وعَيبها فِيها[4]

(١) ذكر محمد الصويان أن هذه القصة كانت لابن عسكر، ولكن المعروف أن هذه القصة والأبيات التي بعدها، هي للشاعر عبد الرحمن بن محمد البواردي، وقد تولَّى إمارة شقراء لمدة ٢١ عاماً، وتوفي عام ١٣٦١ هـ. انظر - مثلاً - كتاب (الموسوعة النبطية الكاملة)، لطلال عثمان السعيد، الجزء الأول، صفحة ٢٧٩. أما اسم ابن عسكر فهو غير دقيق، وقد كان ابن عسكر في المجمعة.

(٢) العرضة: رقصة حربية.

(٣) اللي: التي؛ طول حاميها: ارتفاع سورها.

(٤) داها برداها: مثل استعاره الشاعر لتوضيح المعنى الذي قصده، فيقال: فلان ناقل داه برداه أي بردائه.

كانْ ما تفزعْ اليمنى ليسْـراهـا فاعرفْ انَّ اللي وطى هاذيكْ واطيـها[١]

(وفي ليلة الخامس من شهر المحرَّم من عام ١٣٢٢هـ (٢١/ ٣/ ١٩٠٤م)، وصل الملك عبد العزيز بقواته إلى قرب الأسوار الجنوبية من عنيزة، وأمر آل سليم (أمراء عنيزة) وآل مهنَّا (أمراء بريدة) أن ينطلقوا إلى المدينة، فدخلوها بسهولة، وكمنوا القائد جيش ابن رشيد وقتلوه، وحاصروا رجال الحامية من قِبَل ابن رشيد في قصر الإمارة، ودخلت كتيبة من رجال الملك عبد العزيز بقيادة عبد الله بن جلوي، فاستسلم رجال الحامية. أما الملك عبد العزيز، فقد توجَّه بعد صلاة الفجر إلى المكان الذي كان فيه ماجد الحمود الرشيد، وما إن رأى أتباع ابن رشيد الخيل منطلقة نحوهم حتى لاذوا بالفرار، وبذلك عادت عنيزة إلى الحكم السعودي. ثم توجَّه الملك عبد العزيز إلى بريدة وحاصر حامية ابن رشيد، ودام الحصار قرابة شهرين ونصف الشهر. ويئس رجال الحامية، وأيقنوا بالهلاك؛ فابن رشيد بعيد عنهم، وولاء المدينة وأهلها للملك عبد العزيز؛ ولهذا قرروا الاستسلام، وتمَّت سيطرة الملك عبد العزيز على القصيم، وانضوت تحت الحكم السعودي في ١٥/ ٣/ ١٣٢٢هـ (٢٠/ ٥/ ١٩٠٤م). وبعد أن سيطر الملك عبد العزيز على القصيم، جاء ابن رشيد، ومعه عدد كبير من رجال البادية والحاضرة؛ حيث استعان بعرب شمَّر في العراق واستنجد بالأتراك، الذين أمدوه بنجدة شملت أحد عشر طابوراً وأربعة عشر مدفعاً ما عدا المؤونة والذخيرة والمال، وأخبره رجاله المنسحبون من بريدة بأن ابن سعود في بريدة فأراد أن يلقاه هناك، ولكن ابن سعود أخلى بريدة عندما علم بذلك ونزل بقواته في منخفض من الأرض بين كثبان من الرمل يوجد فيه ماء ونخيل كثيف في القصيم. وعندما وصل

---

(١) تفزع: تُنجِد.

ابن رشيد إلى البكيرية انتقل ابن سعود إلى الجهة المقابلة لها. وفي الليلة الأولى من هلال ربيع الثاني ١٣٢٢ هـ الموافق ١٩٠٤م، وقعت معركة بين الفريقين، وشاركت القوات التركية في القتال وفيها كثير من الجنود السوريين والعراقيين، وبلغت حدة المعارك أن تكبد الجانبان خسائر كبيرة بلغت من جيش ابن سعود تسعمائة رجل من بينهم ستمائة وخمسون رجلاً من أهل الرياض، وخسر جيش الأتراك نحو ألف رجل من بينهم أربعة من كبار الضباط، بينما خسر أهل حائل نحو ثلاثمائة رجل منهم اثنان من آل الرشيد، هما: ماجد بن حمود، وعبد العزيز بن جبر. وفي هذه الواقعة أصيب الملك عبد العزيز بن سعود بشظايا في يده اليسرى، ووقع ابن رشيد من فوق فرسه، وأصيب في بطنه بعد أن وطأته الفرس التي كان يركب عليها. وهاجم أهل القصيم وعرب مطير بقيادة عبد الله بن جلوي جناح بادية شمر، وفي الوقت نفسه أغار الشمريون على معسكر ابن سعود بمساندة عساكر الأتراك، وعندما عاد أهل القصيم من إغارتهم على بادية شمر إلى معسكر ابن سعود وجدوا فيه ثلاثمائة من الجنود الأتراك فقتلوهم وغنموا مدافعهم، وعاد أهل القصيم إلى بريدة وعنيزة، وعندما رجع إليهم ابن سعود خرج إليه أهلها ورحبوا به وقدَّموا له المال والرجال لمساندته. وعندما بلغ أهلَ نجد خبرُ قدوم ابن سعود إلى عنيزة جاؤوا له متطوعين؛ فاجتمع لدى ابن سعود في أقل من أسبوع، جيش قِوامه اثنا عشر ألف مقاتل، زحف بهم إلى البكيرية، التي كان ابن رشيد قد ترك فيها مؤن الجيش وذخائره. أما ابن رشيد فقد هجم على الخبراء، فدافع أهل الخبراء دفاعاً شديداً ولم تستسلم الخبراء بالرغم من قصف المدافع والكوليرا التي تسربت لها من جنود ابن رشيد. وعندما علم ابن رشيد بزحف جنود ابن سعود إلى البكيرية أرسل إليها سريته الكبرى وقِوامها ألف

وخمسمائة مقاتل على ظهور الخيل، بقيادة سلطان بن حمود الرشيد. وكانت قوات ابن سعود لا تتجاوز ستمائة وخمسين مقاتلاً، ولكن النصر كان من نصيبه، فدخل البكيرية، وقضت قواته على جيش ابن رشيد، الذي لاذ بالفرار)[١].

وقد لخَّص محمد الصويان هذه الأحداث بقوله: (ولي ابن سعود القصيم، ولكن حكمه فيها لم يكن مستتباً. أما ابن رشيد فكان معه أهل الشمال، معه أربعة عشر شيخاً من شمر، أتى بهم مع أهلهم وأموالهم وأنعامهم، ومعه أربعة عشر طابوراً من عساكر الدولة، ومعه أهل الشمال كلهم. وصارت الأكوان، كون[٢] البكيرية... وكون... وكون. ثم اتجه ابن رشيد إلى الخبراء، ووجَّه مدافعه عليها، وحاصرها لمدة شهرين، ولكن الله حماها منه، ولم يستطع دخولها... حماها الله. أمر مقسوم وإلا فليست بشيء أمام قواته... وسورها قصير يطوله الرجل الواقف... ولكن حماها الله).

وقد أشاد الشعراء بموقف أهل الخبراء البطولي، ومن ذلك ما رواه محمد الصويان من أن الشاعر خويلد بن سابل اللحيدان (وهو شاعر من شعراء البكيرية) قال:

قال الـذي مَبْدا كَلامه وقِيلَهْ … ذِكر الولي واثني على اولادْ منصورْ[٣]

والله ماحَسَب دارهم تِرتكي لَهْ … مِير النَّشاما قَايمِين على شـورْ[٤]

---

(١) عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان، (بطولة ملك... التحدي والمنازلة)، الجزء الثالث، صفحة ١٨ - ٢٣ (بتصرف).

(٢) كون: معركة.

(٣) أولاد منصور عزوة أهل الخبراء.

(٤) مير: لكن. يقول الشاعر، لم أكن أتوقع أن هذه البلدة الصغيرة (الخبراء)، بسكانها القليلين، تستطيع الصمود أمام قوة عبد العزيز بن رشيد، ولكن رجال البلدة الأشاوس قد عقدوا العزم والنية، واتفقوا فيما بينهم، على الدفاع عن أرضهم ومحارمهم.

حَزَّب على الخبرا بجْموعِه وخَيله ومِـدافـعٍ تَزقرْ على شَـقَّة النُّـورْ

وحَزَّب عليهم بالجموعْ الثقيلهْ ايْضَا من العَسْكرِ معه كَم طَابورْ

يستاهلونه كـاسبين الطـويله ابطا يضاربهمْ من الدورْ للدورْ(١)

لِعْيونْ بِيضٍ يَنْسِلـن الجـديله اقفي مْعِيفْ وراعي السُّورْ مستورْ(٢)

وطَبّ الرياضْ وقامْ يَقطْع نْخيله منك الخَلَف ياجَابرٍ كل مَكْسُورْ(٣)

يَقطعكْ يا قَاطعْ شْجِرةٍ اصِيلـه مما هَدَم عِزّه ولا هُـوب مَاجورْ(٤)

كما كان هناك تنافس بين مدن القصيم وقراها لمقاومة ابن رشيد، ومن ذلك ما رواه محمد الصويان عن خويلد بن سابل (اللحيدان) أنه قال دفاعاً عن أهل البكيرية عندما انهزم ابن رشيد، وقيل: إنهم تبعوه ليردوه، فلحقهم أهل عنيزة، فقال خويلد:

ياهل الفيحا ذكرتوا بنا شـاره راقبوا رب السمـوات ما خنَّا(٥)

انتـم اللي لاول الحرب جرَّاره يـوم قفيتـوا تقولـون مـا كنَّـا

ميرْ إن ولانا ما سلمتوا من أشراره مير اطلب الله يقلعه عنكم وعنَّا(٦)

(وطارد ابن سعود جنود ابن رشيد المنسحبين حتى الخبراء فرحل منها ابن رشيد

---

(١) أبطا: استمر. من الدور للدور: أي: إن مدة حصار ابن رشيد للخبراء كانت شهرين.

(٢) لعيون: من أجل عيون.

(٣) الرياض: هو رياض الخبراء، وهي قرية بجانب الخبراء.

(٤) حينما حاصر ابن رشيد الخبراء قطع نخيلها ليقطع المؤن عن السكان ويضطرهم إلى الاستسلام، ولكن ذلك لم يؤثر على عزيمتهم.

(٥) الفيحاء: الواسعة من الدُّور، وهو لقب لدمشق والبصرة وعنيزة، والمقصود هنا أهل عنيزة. شاره: علامة، ويقصد الشاعر: أن أهل عنيزة عابوا على أهل البكيرية ما قيل عن أنهم تبعوا ابن رشيد ليردوه.

(٦) الشاعر يدعو الله أن يبعد عبد العزيز بن رشيد عن الجميع.

إلى الرس، وكانت قوات ابن رشيد قد وصلت إلى جنوب الشنانة فنصب مدافعه وقصف الرس، فظل أهلها ومعهم ابن سعود صامدين فيها ثلاثة أشهر منذ منتصف ربيع الثاني حتى منتصف رجب. وكان الجانبان يتناوشان كل يوم، وطال الحصار حتى خاف أهل الرس من أن تنتقل إليهم عدوى الكوليرا. وحرصاً من ابن سعود على رجاله، وخوفاً على أهل نجد من أن تمتد إليهم عدوى الكوليرا، أرسل إلى ابن رشيد، يعرض عليه الصلح، فرفض ابن رشيد واستمر في حصاره حتى منتصف رجب. وعندما حل الربيع، ألحت البادية التي كانت مع ابن رشيد عليه في الانصراف لرغبتهم في رعي مواشيهم بعد أن ملُّوا الانتظار. وخضع ابن رشيد لبدو شمر بالانصراف عن الشنانة على أن تتوزع ركائب ومؤن جنوده على جمال بدو شمر. وفي الطريق هاجم ابن رشيد قصر ابن عُقيِّل، وكانت فيه سرية لابن سعود، وقصف ابن رشيد القصر بالمدافع فعاد ابن سعود لنجدة سريته. وهنا قرر ابن رشيد فك الحصار عن قصر ابن عقيِّل فتركه ابن سعود يفعل ذلك؛ حتى يمنح رجاله الفرصة للراحة، وخرج ابن سعود من قصر ابن عُقيِّل مع رجاله في إثر قوات ابن رشيد المنسحبة فأدركها ومعها الجنود الأتراك في وادي الرمة، وتحارب الفريقان حتى منتصف النهار، وهرب الجنود الأتراك وانهزمت معهم قوات ابن رشيد، وفرَّ بمن تبقى من رجاله، واستمر البدو في جيش ابن سعود يجمعون الغنائم التي تركها ابن رشيد خلفه لأربعة أيام متتالية، ووجدوا فيها صناديق من الذهب، فحملوها إلى عنيزة مقر ابن سعود فوزعها على رجاله هي وبقية الغنائم، ولم يأخذ لنفسه منها شيئاً، وبذلك انتهت واقعة الشنانة أو معركة وادي الرمة بالنصر على عساكر الترك في ١٧ رجب عام ١٣٢٢ هـ (الموافق سبتمبر ١٩٠٤م) (١).

---

(١) أمين الريحاني، (تاريخ نجد الحديث)، صفحة ١٤٠ - ١٤٧ (بتصرف).

ويروي محمد الصويان، قصة معركة الشنانة، فيقول: (يقع قصر ابن عقيِّل غرب الشنانة، ويبعُد عنها حوالي أربع ساعات للماشي. وكانت الشنانة في السابق ديرة عامرة. وبعد الدمار الذي حصل للشنانة وقَطْع نخيلها، هجرها الناس. وحالياً يسكن الناس في أعلى البلدة، وتُعتَبَر من الرس... في الحقيقة كانت في السابق هي الديرة... وكانوا يقولون: (هل أتى من القريَّة أحد؟)... يقصدون بالقريَّة الرس).

ويكمل محمد الصويان: (بعد حصار ابن رشيد للخبراء، وفشله في اقتحامها، توجَّه إلى الرس. وعندما علم أهل الرس بذلك، خرج أمير الرس، ناصر الخالد الرشيد[1]، ومعه كبار البلدة، إلى الجندلية، وهي قرية من قرى الرس، بين الرس والحوطة[2]، وتبعد حوالي ثلاثة أو أربعة كيلو مترات من الرس. وللعلم؛ فإن ناصر الخالد الرشيد من قبيلة العجمان، ولا يمت بصلة قرابة لعبد العزيز الرشيد أمير شمر، ولكنه مجرد تشابُه في الأسماء. وكان ناصر الخالد الرشيد يرغب في التشاور مع الذيب، راعي الجندلية، للتنسيق معه في حماية أهل الجندلية. وشاء الله - سبحانه وتعالى - أن وافق وصولهم إلى الجندلية وصول عبد العزيز بن رشيد وجيشه، فحاصرهم واضطروا إلى دخول المقاصير يريدون الاحتماء داخل القصر. علم ابن رشيد أن ناصر الخالد وكبار أهل الرس داخل القصر، فركَّب عليهم مدافعه، ولم تتحمل المقاصير ضرب المدافع، فسقطت المقاصير، وعلقت فيها النيران، كأنها حطب. وحاصر حوالي أربعين جندياً من جنود ابن رشيد القصر، وقاموا بذبح كل مَنْ حاول الفرار من القصر. وقُتل ناصر الخالد، وجميع من معه من كبار أهل الرس،

---

(١) المعروف أن أمير الرس في تلك الفترة كان صالح بن عبد العزيز الرشيد. ويبدو أن لناصر الخالد الرشيد دوراً قيادياً خلال تلك الفترة.

(٢) قرية من قرى الرس، تقع بين الرس ووادي الرمة.

صبراً. ثم توجَّه ابن رشيد بجيشه إلى الشنانة.

وعندما أقبل ابن رشيد إلى الشنانة، طلب منه أهلها الأمان؛ حيث لم يكن للشنانة سور يحميها، بل كانت عبارة عن مزارع متفرقة، وقرية صغيرة. طلبوا منه الأمان، فأمَّنهم، ودعوه إلى العشاء، فقبل الدعوة. ذبح أهل الشنانة الذبائح، وجهَّزوا طعاماً كثيراً، فلما نزل ابن رشيد الشنانة، ملأت جنوده المنطقة التي بين الشنانة وقصر ابن عقيِّل؛ حيث كان معه أعداد كبيرة من الجند. وفي المساء، أتى ابن رشيد على خيله، ومعه سبعة عشر خيَّالاً، ودخل علينا القصر، وكان طعام العشاء جاهزاً. وعندما انتهى من تناوُل الطعام، قال ابن رشيد: (اسمعوا يا أهل الشنانة، ابقوا في هذا القصر، ولايخرج منكم أحد). هو في الواقع لم يكن قصراً، بل كان حايطاً لحمولة الخليفة في البلاعية، وكان حوله سور، وكان كل أهل الشنانة زابنين فيه، مع حريمهم وعبيدهم. وأكمل ابن رشيد: (ابقوا في القصر، وفي الصباح سوف نرحل عنكم، وعليكم الله وأمان الله. ومن يخرج فإنه سوف يُذبح، واعلموا أن الجنود حمقى، فلا يخرج منكم أحد). عاهدهم مرَّتين، وأكل ذبائحهم، ولا يمكن أن يغدر بهم. بعض أهل الشنانة، لم يكن واثقاً من قول ابن رشيد، وبدأ بعضهم ينصح البعض بالهرب، يريدون الخروج، ولعل الله يحميهم. وبدؤوا يتسللون واحداً بعد الآخر).

ويكمل محمد الصويان القصة، فيقول: (قبل منتصف الليل بساعة، أتى عمي علي الصالح لأبي وقال له: (يا أخي! أرى الناس لم يثقوا بقول ابن رشيد، وبدؤوا بالتسلسل هرباً، فما رأيك أن نجازف ونهرب معهم؟)، فأجاب أبي: (لا أعرف لنا جرماً أذنبناه فيعاقبنا عليه ابن رشيد، وعاهدنا إلى الآن ثلاث مرَّات، وأكل طعامنا، وشرب قهوتنا، ولا يمكن أن يغدر بنا، والله لو أنه كافر لا يغدر بنا!... أبداً لن

أهرب). خرج عمي من عندنا، وإذا بحوالي خمسة وعشرين رجلاً من أهل الشنانة يرغبون في القفز من على السور، واحداً واحداً، ليفروا. وكان ابن رشيد مستعداً لذلك، فحاصر جنوده الحايط من جميع الجهات. وعندما بدأ الرجال بالقفز من فوق جدار الحايط، وإذا بجنود ابن رشيد يحيطون بهم، فتسلقوا الجدار عائدين إلى الداخل، ولكن الجنود قبضوا على عمي علي الصالح، ثم ألقوه تحت الجدار وذبحوه ذبح الخروف. استمرت محاولات أهل الشنانة، واستطاع حوالي ثلاثين شخصاً منهم الفرار قبل الفجر. وفي الصباح، دخل ابن رشيد علينا في الحايط، ومعه خيله وعبيده، وجمع جميع أهل الشنانة، وصفهم بجانب الجدار خارج الحايط، وعدَّهم، فكانوا اثنين وأربعين رجلاً. وكنت جالساً معهم في أطرف الصف. ثم قال لهم ابن رشيد: (هيّا قوموا، واعطونا سلاحكم... قوموا هاتوا سلاحكم). عندها تغيَّرت وجوه الرجال، وأيقنوا أنه قد خانهم. من كان عنده سلاح، قام وأحضر سلاحه. ومن لم يكن عنده سلاح، قال: (والله يا عبد العزيز، ما عندي سلاح!). قال ابن رشيد: (لا... ما تطلعون سلاحكم إلا إذا جاء ابن سعود وناصر بن خالد يا عيال ....). جمع ابن رشيد السلاح من بينهم، وأمر بفتح أبواب أحواش الغنم... أربعة أبواب... غنم الديرة كلها، وقال: (فرقوها على العسكر... ذبائح)، وأمر بفتح أبواب أحواش البقر، وقال: (فرقوها على الحضر يأكلونها)، ثم أمر بفتح أبواب أحواش الإبل (حوالي مائتي ناقة)، وقال: (فرقوها على القوم... كلها).

ويكمل محمد الصويان قصته، فيقول: (عندها التفت أبي إليَّ، وقال لي: اذهب مع النساء يا بني.. أنت وأخوك عبد الله، لعلَّكم تنجون؛ لأن الوضع سيء). بحثت عن أخي عبد الله فلم أجده؛ لأنه كان ولداً ذكياً؛ حيث قام بتمزيق ثوبه ونفش

شعره، وخرج مع البدو وكأنه أحد الرعاة، ومن ثَمَّ توجه إلى قصر ابن عقيِّل. أنا ذهبت إلى قسم الحريم، وكانت أصواتهن عالية بالبكاء والعويل... لا تكاد تسمع صوتاً من شدَّة بكائهن، وكان هناك حوالي مائتي امرأة، مع أطفالهن. أمي لم تكن هناك؛ حيث إنها كانت قد ذهبت منذ الأمس إلى قصر ابن عقيِّل، ونجت. كان من ضمن النساء، إحدى خالاتي، وكان لها ابنة في مثل سنِّي، فأحضرت ثوباً من ثياب ابنتها، وألبستني إياه، فبقيت مع النساء، وكان هناك ثلاثة رجال آخرين، لابسين أيضاً لباس النساء. أخرج جنود ابن رشيد رجال الشنانة، وأوقفوهم في وسط الشعيب، في الحر، هواء حار يكاد من شدة حره أن يحمس العصافير، فوق الرمل، وأوقف جنوده لحراستهم. وقبل وقت العصر أخرجوا الحريم، وأوقفوهن في مكان قريب من الرجال، وكان الجميع في رعب شديد.

جلس ابن رشيد تحت الجدار في الظل، ونادى: (ناصر البلاع...)، قال: حاضر، فأحضر الجنود الجريد، وبدؤوا يضربونه، والعبيد مكبلينه حتى لا يتحرَّك. حاول المقاومة في البداية، ولكن مقاومته قلَّت مع ذلك الضرب الشديد. والله إنني كنت أرى قطع الدم تخرج من فمه! حتى خرجت روحه. ثم نادى ابن رشيد فلاناً وفلاناً... سبعة أشخاص، من ضمنهم حمد بن محمد بن صويان. وجميعهم عمل فيهم مثل ما عمل بناصر البلاع. ولم يكن لناصر البلاع ذنب يستحق عليه ذاك التعذيب، إلا أن ابنه قال كليمات في ابن رشيد عند بداية ظهور ابن سعود، ونقلها الواشون لابن رشيد، فحنق عليه، (ودلّى يسن ضروسه، ماينام الليل يبي ابن بلاع يبرد كبده منه)... وينتظر اللحظة التي ينتقم فيها من ابن بلاع... عندما وصل ابن رشيد إلى الشنانة، تمكن ابن ناصر البلاع من الهرب مستتراً بالليل.. فثار ابن رشيد

عندما علم بالخبر في الصباح، ولم تبرد ناره إلا بعد أن قبض على أبيه، و ظل رجال ابن رشيد يعذبون الأب ويضربونه بالخشب حتى فاضت روحه، انتقاماً من الابن الذي فر منه. . رغم أن والده كان من الأجواد الطاهرين (اللي يطهرون الأرض)، و لكنه الابتلاء. ويروي محمد الصويان الأبيات التي قالها ابن بلاع:

مرحبا حَيّ مِنْ جا بالخَبَرْ حَيّ مِنْ جا بِشْيرٍ بالامام[1]

جا بِشْيرٍ يبَشّر بالنَّصرْ جـ بِشِيرْ السَّعَد والدِّينْ قامْ

جَاكْ ابنْ متْعبِ بْمِيَّةْ نَفَر باغ الـدّارْ يِدْعِيها هَدامْ[2]

ياهْلَ الحَزِمْ سِلْسِلةْ الظْفَر فْكّوا الدَّار من وِلْدَ الحَرامْ[3]

زوجة ابن بلاع وثلاث من بناته كُنَّ معنا، ورأين كيف قُتِل، ولم تتحمل ذلك المنظر إحدى بناته فمزَّقت ثيابها، وخرجت من الصف، وإذا بذلك الشيخ من شيوخ شمَّر، يضع عليها عباءته، ويقول لها: (اقعدي. لايراك ابن رشيد فيعاقبك). الجميع (أهل حائل والحضر) كانوا يبكون، ويقولون: (الله لا يسلطه علينا). سبعة رجال من أهل الشنانة، قُتِلوا بالطريقة نفسها ضرباً بتلك الأعمدة، منهم حمد المحمد الصويان.

جريمة حمد المحمد الصويان أنه كان قد ذهب إلى ناصر الخالد الرشيد قبل عدَّة أيام، قبل مجيء عبد العزيز بن متعب بن رشيد، وذلك للتشاور مع ناصر الخالد، حول الوضع الأمني للمنطقة.

---

(١) يقصد الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله.

(٢) ابن متعب هو عبد العزيز بن متعب بن رشيد، والمقصود بالدار الشنانة، وكان مع ابن رشيد عدد كبير من العساكر، ولكن ابن بلاع قال: مية نفر احتقاراً لابن رشيد، وتقليلاً من شأن جنوده.

(٣) أهل الحزم هم أهل الرس، والحزم هو المرتفع من الأرض.

بعدها، ثبَّت جنود ابن رشيد السلاسل في جدار بيت ابن زايد، ووضعت القيود في أرجل الرجال، وتم تعليقهم من أرجلهم بتلك السلاسل، لايصل إلى الأرض إلا نصف ظهر الرجل ورأسه.

أما الحريم، وكنت معهم! فساقوهم إلى الرس. عندها ضاقت بي الدنيا، فقد كنت صغيراً، ولا أعرف أحداً في الرس، ولا أدري أين أذهب، وليس لي أقارب هناك. كان ابن سعود في الرس، ولكنه لم يكن راغباً في مواجهة ابن رشيد في ذلك الوقت، وكان يريد إرسال سرية من هناك لقصر ابن عقيِّل؛ حيث إن ابن سعود كان خائفاً على ابن عقيِّل من ابن رشيد؛ لأنه يعلم أن ابن عقيِّل لا يستطيع الصمود أمام ابن رشيد. ذهبت مع تلك السرية إلى قصر ابن عقيِّل، وعند منتصف الليل، وصلنا هناك، وفُتح لنا باب القصر، ودخلت مع السرية، والحمد لله فقد وجدت أمي هناك.

استقر ابن رشيد بالشنانة عدَّة أيام، وكان البلح في النخل بدأ في النضوج، وكان معه سبعمائة معمور من الخيل ومعه عدد كبير من الجنود، وبدؤوا يأكلون التمر، شهراً يأكلون ثمره، وشهراً يأكلون الجمَّار، ثم أمر بقطع جميع نخيل الشنانة، والذي لم يؤكل أعطوه للبهائم، فجاع الناس جوعاً شديداً؛ حيث إن اعتمادهم بشكل كبير كان على ما ينتج من مزارعهم من خيرات.

بعد ذلك، رحل ابن رشيد من الشنانة إلى القوعي، وهو يقع غرب الشنانة، آخذاً معه من رجال الشنانة، الذين كانوا مربوطين في السلاسل، سبعة عشر رجلاً كانوا مقيدين، وترك الباقين في الشنانة. والأشخاص الذين تركهم، هم الأشخاص الذين ليس لهم شوكة في البلد، مثل العبيد والعمَّال. أما الرجال السبعة عشر الذين قادهم

معه وكان من ضمنهم والدي (سليمان الصالح الصويان)، فوصلوا إلى القوعي وهم شبه ميتين من الجوع والتعب؛ لأنهم كانوا طيلة تلك الفترة لا يأكلون إلا جمّاراً، وكان عبيد ابن رشيد يقودونهم وهم مقيدون بالسلاسل.

يقول محمد الصويان: إن والدي سليمان أخبرني أنه عندما وصل ابن رشيد إلى القوعي، أجلس هؤلاء الرجال، وربطهم بالنياق، وأبقى سبعة من عبيده لحراستهم. نادى هؤلاء أحد العبيد، وكان اسمه مسعود، وقالوا له: (داخلين على الله ثم عليك، إما اذبحنا وريحنا مما نحن فيه من العذاب، وإلا أنقذنا ببعض الأكل)، وبفضل الله، تحدَّث مسعود مع أحد الأشخاص من جنود ابن رشيد، وقال له: (لقد أمرني الله بانقاذ هؤلاء المساكين، وأريد مساعدتك) قال الرجل: (حاضر)، قال مسعود: (سوف أذهب إلى مطبخ ابن رشيد وأسرق قطمة رز)، ولم يتكلم بقية العبيد أو يحتجوا؛ لأن مسعوداً كان هو رئيسهم. وبالفعل قام الرجل الشمري بذبح إحدى الشياه، وأحضر مسعود الرز، وطبخ الشمري الزاد، وقبل الفجر بقليل أحضروا لنا صينية كبيرة، وفكُّوا قيودنا، وأكلنا. يقول سليمان الصويان: (والله إننا أكلنا العظام من شدة الجوع!). ثم أعادوا تقييدهم، وفي الصباح ساقوهم مرَّة أخرى. ويبيِّن سليمان الصويان أنهم حُبِسوا بعد ذلك وأن الذي كسر عنهم باب الحبس وفك أَسْرَهم هو محمد بن عبد الرحمن آل سعود (أخو الملك عبد العزيز، رحمهما الله تعالى).

ويتابع محمد الصويان مُكْمِلاً روايته للأحداث، فيقول: (ابن سعود بالرس ومعه أهل نجد، وكان ابن رشيد موجِّها مدافعه إلى قصر ابن عقيِّل، فركب محمد العقيِّل واتجه إلى ابن سعود في الرس. قال: يا عبد العزيز!... ثم وضع أصابعه في أذنيه ورفع صوته قائلاً: كيف تجمع أهل نجد من الحرَّة للمجرَّة... تسمع المدافع

تضرب قصر ابن عقيِّل، وأنت جامع أهل نجد، لماذا جمعت أهل نجد يا عبد العزيز؟

وكان صالح الحسن بن مهنَّا موجوداً (وهو كبير أهل القصيم تلك الأيام) أراد تهدئة ابن عقيِّل، فقال: معك خير يا ابن عقيِّل، الجيش عاقد، وإذا أتى الجيش مشينا. قال: أهل نجد، لا يريدون جيشاً. . . قصر ابن عقيِّل. . . تسمع الرمي وأنت هنا. . . ليس بعيداً، بس اسمح لهم. . . دعهم يمشون.

فلَّ ابن مهنَّا البيرق، ومشى. . . كان معه أهل بريدة. . . عند ذلك تبعته البيارق تمشي، سبعة عشر بيرقاً، ويأتون مشياً. . . مشياً على أرجلهم إلى قصر ابن عقيِّل.

ابن سعود، عندما رأى ذلك، قال: والله شبُّوها، أهل القصيم. وركبوا خيلهم واتجهوا إلى هناك. . ووصلوا بعد العصر، وكنَّا هناك، وفُتح باب القصر، والمدافع تضربنا. فُتح الباب، وخرج الرجال أمام باب القصر، وصفوا صفين، للخيل. . . يريدونها تعرض. . . خيل ابن سعود أقبلت.

وكان أول من وصل عبد العزيز بن سعود، ومعه حوالي خمسين خيَّالاً. وحين أقبل، كان عليه غتيرة وعقيِّل أسيود دقاق، ففكَّ ردون الغترة ونسفها خلفه، وكان معه باكورة (خيزرانة)، وعندما وصل إلى أول الصف، وكان خلفه خمسون خيَّالاً، كان يقول: يا أهل العوجا، وأنا ابن مقرن[1]. . . وهو يعتزي، وتدبك الخيل قُدَّام القصر ثلاث مرَّات، وهو يعتزي. ونزلوا من فوق خيولهم بعد المرَّة الثالثة. ثم أتت السربة[2] الثانية، وكانت بقيادة أخيه محمد، ومعه قرابة خمسين خيالاً، وعملوا مثل ما عمل عبد العزيز ورجاله (ثلاث مرَّات)، ثم نزلوا من فوق خيولهم بعد المرَّة الثالثة. ثم

---

(١) مقرن: الجد الخامس للملك عبد العزيز.

(٢) السربة من مائة إلى خمسمائة خيَّال.

أتت السربة الثالثة، مع صالح حسن ابن مهنا، ومعه حوالي خمسين خيالاً، وعملوا مثل ما عمل ابن سعود ورجاله، ثم نزلوا من فوق خيولهم بعد المرَّة الثالثة. وعندما دخلت الخيل كلها إلى القصر، وإذا بالبيارق أقبلت، ونحن نراها؛ لأن الوقت كان آخر العصر. وعندما صلينا المغرب، كان بجانب بوابة القصر من الداخل سبعة عشر بيرقاً، من الحرة إلى المجرة كلهم مع عبد العزيز بن سعود، لكن ابن سعود كان رحيماً بالناس، ولم يكن يريد الذبح والمذابح. وعندما اجتمعت الناس، وإذا بمدافع ابن رشيد تضربنا. وعند وسط الليل، وضع أهل الرس سُلَّماً، وقفزوا خارج القصر؛ لأن باب قصر ابن عقيِّل عليه قفلان. قفزوا وصاروا بين القصر وجيش ابن رشيد، آخر الليل. كان ابن رشيد يريد الرحيل والهرب، ولكنه عندما رأى هؤلاء خارج القصر، دبَّر قومَه عليهم. ولا حظ مَنْ في القصر حركة ابن رشيد، فقال أحدهم: يا أهل نجد الحقوا. . . يا عبد العزيز! ترى أهل نجد غِيرَ عليهم. وكان باب القصر مغلقاً، فأتى الناس لعبد العزيز، وقالوا افتحوا الباب، قال: (أصبِحوا . . . يفتح الباب وقت صلاة الفجر المبكرة)، قال بعض الناس: ابن رشيد دبَّر على أهل نجد. . . وقام أحد الناس من أهل بريدة، رجل جبر، عريض، وأطلق الرصاص على القفل، فكسره.

يقول محمد الصويان: (والله إني كنت واقفاً عنده تلك الساعة! وأذكر ذلك، كأنه حدث قبل قليل). وخرج صالح حسن بن مهنا، وذهب أحد الرجال إلى الملك عبد العزيز، وقال له: (أهل القصيم كسروا الباب ومشوا). قال: والله شبُّوها أهل القصيم! . . . وتطلع البيارق.

رحل ابن رشيد، يريد الهرب، ولَمَّا نزل الوادي، أدركته الجيوش ترعد. . . كل أهل نجد، وكانوا سبعة عشر بيرقاً. ولما رأى أنهم استطاعوا اللحاق به، أخذته

العزة بالإثم؛ فاختفى هو وجنوده تحت الأشجار التي في الوادي، وأطلق البهائم والأنعام التي معه باتجاه أهل نجد. وبدأ الجنود الذين معه (وكانوا أربعة عشر طابور عسكر). بدؤوا يطلقون الرصاص على أهل القصيم من مخابئهم. وابتعد أهل القصيم عن الدبش، وهم يقولون: (عنهم يا أولاد علي[1])، وبدؤوا يتراجعون، وكأنهم انهزموا، ولكنها لم تكن هزيمة، بل خدعة. عندما رأى جنود ابن رشيد أن أهل القصيم تراجعوا، خرجوا من مخابئهم، فلما رأوهم أهل القصيم، قالوا: (ردة يا أولاد علي . . . ردة).

كرَّ أهل القصيم، وبدؤوا يطلقون الرصاص على جنود ابن رشيد، الذين تساقطوا كأنهم طيور. وانكسر ابن رشيد وجنوده. وسقط جميع أهل شمر (شيبانهم، وعيالهم، وعسكرهم، وألقوا السلاح. وذُبِح سبعمائة رجل صبراً[2].

ويكمل محمد الصويان: إن الشنانة كانت قد انتهت؛ لأن ابن رشيد كان قد أحرق جميع النخيل، والبيوت، ولم يبقَ شيء، ولكن الحمد لله لقد أخذوا حقهم.

بعد رحيل ابن رشيد من الشنانة، رجع أحد أبناء البلدة، واسمه سعد الحجاب، وبحث عن بيته، وكان بيته بجانب مزرعة الصويان (فوزة)، فبحث عن بيته ولم يجده؛ لأنه كان قد هُدِم، فتأثر، وقال:

سَــلامْ يادِيرةٍ عِقْبَ الطّربْ ما فِيكْ سكّان

ما ظَنّتي يالشــنانةْ عادْ تَنْصاكْ المطــايا[3]

---

(١) أولاد علي: لقب أهل القصيم.

(٢) هناك اختلاف كبير بين الروايات التاريخية في تحديد عدد القتلى، وليس الهدف هنا هو ترجيح رواية على أخرى، ولكن الهدف هو طرح وِجهة نظر محمد الصويان في العدد.

(٣) عقب: بعد. تنصاك: تقصدك وتتجه إليك.

جاكْ الرّشيدي يِعَزِّل له جموعٍ دَفِعْ سـلطان
بَنَّا خْيـامه على الدّيره وخَلانا هَمَايـا
(مَيْر) انا احمدْ اللي نصَرْنا يومْ جا للمِلْحْ ربّان
وَرْدوا ربُوعي على الموت الحمر وِرْد الظّمايا(١)
هُو عِذْرنا مِنكْ هَيلانا على سـكّانْ بَرْزَان
حنَا ذبحنا العسـاكرْ مِثلْ تذبيحْ الضحايـا(٢)

وقد سجَّل الشاعر خويلد اللحيدان فتوحات الملك عبد العزيز بن سعود، وانتصاراته على عبد العزيز المتعب بن رشيد في منطقة القصيم، وقال في ذلك العديد من القصائد التي تدوِّن تلك الوقائع والانتصارات بدقة وصدق، وهو ما يجعلها مصدراً تاريخياً مهماً يمكن الاستفادة منه. ومن ذلك قصيدته التالية التي يرويها محمد الصويان:

عَدّيتْ راسَ الطّويلـهْ من بَنايـاه	واشْرفتْ في راسها شَرقٍ وشامِ(٣)
بَسْ اتفكّـرْ وأقُـولْ الحمـدُ لله	دِنْياً تْقَافَت على النّاسْ الكـرامِ(٤)
هلَ الصَّـخَا والصّحُونْ اللي مِمّلاة	كَبَّـابةْ الزّادْ إلى غِلْـي الطعـامِ(٥)
ما زودٍ الا وبَـاب النّقْـص يَقْفاه	ولا قَطّ دَامـتْ لْحَـيٍ بالـدوامِ

(١) يقصد الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله.

(٢) يقصد بسكان برزان أهل حائل، وبرزان هو اسم قصر حكم آل رشيد، كما ذكر ابن عقيل الظاهري في (آل الجرباء في التاريخ والأدب)، صفحة ٧.

(٣) عديت: ارتقيت.

(٤) المقصود آل الرشيد في حائل، وقد اشتهروا بالكرم.

(٥) الصخا: السخاء.

شَيخٍ وَلى النَاسْ والقيمهْ تعدّاه	مِسْتدعي كلّ مِن صَلّى وصامِ(١)
مَيرْ قِل هيه ياراكبٍ حَمرا مْعَنّاه	ما فوقها الا الرّسنْ هو والخْطامِ(٢)
فوقَه غْلامٍ يْوَدّي العِلمْ مَنْهاه	يِثْني سَلامي على وِلْد الامامِ
عبد العزيزْ الذي جَانا بْطِرْياه	عسى لَياله تِجي له بالتّمامِ(٣)
اولْ فَرحْنا بعَجلانٍ تَعَشّاه	ذِيبَ السّرَايا بِقِي عمْره ودامِ(٤)
وثَاني فَرْحَنا بقَصْرٍ هَدّ مَبْناه	في ثَرمَدا هَدّ سُوره والطّمَامِ
وثالثْ فَرحْنا حسينْ الخيلْ تاطاه	في يَومْ غَبْوٍ عليهم والكْتَامِ(٥)
في رَوضَةْ السرّ ما تحْسب رِزَاياه	والا الصُوَيّغْ طِفَا حِسّه شْمَامِ(٦)
وفْهَيد وعُبَيد بالفَيحا ذِبَحْناه	والحَازْميْ بالحَسَا ودْيَارْ يامِ(٧)

(١) المقصود عبد العزيز بن متعب الرشيد.

(٢) هيه: للنداء بدون تحديد المنادى. الرسن: الشكيمة، وهو الحبل الذي يخطم به رأس الناقة.

(٣) المقصود الملك عبد العزيز بن سعود. طرياه: ذكره.

(٤) حينما احتل محمد بن رشيد الرياض، خرج منها عبد الرحمن الفيصل، وعيّن ابن رشيد محمد ابن فيصل أميراً عليها، وتوفي محمد بن فيصل سنة ١٣١١هـ، وخلفه على الإمارة عجلان بن محمد رئيس الحامية الرشيدية، الذي قتله عبد العزيز بن سعود حينما فتح الرياض.

(٥) المقصود حسين بن جراد، قائد السرية التابعة لابن رشيد، والتي كان مقرها السر.

(٦) الصويغ: هو مندوب ابن رشيد في شقراء. كان الإمام عبدارحمن الفيصل وجّه سرية بقيادة مساعد بن سويلم، استولت على المحمل والشعب، ثم زحفت إلى شقراء، فرحل الصريغ إلى ثرمداء، فتتبّعه ابن سويلم وقتله هناك، وقبض على العنقري أمير ثرمداء، وأرسله إلى الرياض. ثم استرد ابن رشيد هذه المناطق من ابن سعود، ولكن ابن سعود استرد شقراء، وزحف إلى ثرمداء، وكان فيها سرية لابن رشيد بقيادة حمد العسكر أمير المجمعة، فبعث ابن سعود عبد الله بن جلوي فقاتل أهل ثرمداء، واستولى على البلد. أما السرية، فتحصنت في القصر، فهاجمها ابن جلوي ليلاً فقتل بعضها، وفرَّ الباقون.

(٧) الحازمي: من عمال ابن رشيد. كان ابن رشيد قد انتدب الحازمي إلى الشيخ قاسم بن ثاني ليستنهضه على ابن سعود، وذلك قبل فتح الرياض. وبعد أن استعاد ابن سعود الرياض، أرسل=

ومَاجدْ وحَطّ القَرَايا عِنْد يمْنـاه	مِن دُون بَـرْزَان ما واللّه اقَـام
وعِزٍّ مِنْ اللّه قِضَيْنَا من سَـرَاياه	قِلْ لابنْ ضَبْعَان يَظْهر لا يرامي(١)
وبْشِيَّة اللّه ابنْ متعبْ نِصَينـاه	نجيه لو حَال من دُونِه غَسَـام
اللّيْ عَدَوّ الشّريعة صارْ له جَاه	ومْصَلّي الخَمْسْ خِلّي بَالمِظَـام(٢)
جاهْ اشْقَر الرّيشْ عن وَكْرِه وعَدّاه	يالنّمرْ يالليثْ ياالحرّ القَطَـامي(٣)

=ابن رشيد إلى الحازمي مندوبه في الأحساء، يأمره أن يستنهض العجمان والمرّة للهجوم على الرياض من الجهة جنوب الشرقية. أما فهيد، فالمقصود به فهيد بن سبهان قائد الحامية الرشيدية في عنيزة، والذي قُتل سنة ١٣٢٢هـ، كما قُتِل عبيد الحمود بن رشيد في عنيزة أيضاً. أما ماجد أخو عبيد، فقد انسحب إلى حائل، كما يوضح ذلك البيت التالي، وقُتِل في معركة البكيرية.

(١) عبد الرحمن بن ضبعان: هو عامل ابن رشيد في بريدة، الذي احتمى في القصر بعد فتح البلدة، ثم استسلم في أوائل ربيع أول عام ١٣٢٢هـ.

(٢) اللي: الذي. عدو الشريعة: البدوي. والحقيقة أن البدو ليسوا أعداءً للشريعة، بل هم أنصار الشريعة وحُمَاة الدين؛ إلا أن حياتهم القاسية قد تضطرهم إلى ممارسة الغزو، كما أن بعضهم يجهل بعض أصول الدين بسبب أمّيّتهم. أما مصلي الخمس، فالمقصود به الحضري. ويدّعي الحضر أن عبد العزيز المتعب بن رشيد كان يميل للبدو.

(٣) أشقر الريش: الصقر، ويقصد الملك عبد العزيز.

العودة إلى القصيم

بعد رحلة الخروج من القصيم والذهاب إلى المدينة المنورة؛ بحثاً عن الرزق والأمن إثر معركة الشنانة، عمل محمد الصويان لمدة شهرين في سكة الحجاز، وبعدها انضم إلى جيش الدولة العثمانية، وتعلَّم العسكرية، حتى رُقِّي إلى مرتبة (برنجي صنف)، وكان مسؤولاً عن سرية العقيلات (أهل نجد) في الجيش العثماني حوالي أربع سنوات، وحين قام جنود العقيلات بعصيان على الجيش التركي، كان هو أحد قادة ذلك العصيان؛ لذا جرى طرده من الخدمة، لينتقل إثرها إلى جيش الشريف؛ حيث عمل لمدة أربع سنوات، هرب بعدها إلى القصيم.

لم تكن رحلة الهرب أمراً سهلاً، بل مغامرة محفوفة بالأخطار، ومعاناة شديدة تعرض خلالها للموت والوقوع في أيدي الأتـراك، أو الشريف، أوحتى قطاع الطرق.

عن هذه الرحلة يحكي محمد الصويان لأحد معارفه مجيباً على أسئلته:

مغادرة الشنانة والانضمام إلى جيش الدولة العثمانية:

سؤال: بعد قطعة الشنانة، وأنت كنت وقتها صغير السن... ماذا عملت؟

جواب: والله إني كنت شاباً يافعاً... وبعدين حدثت مجاعة، وسُميَّت تلك السنة سنة الجوع[1]. وذهبت إلى المدينة، أنا وأبي مشياً على الأقدام، وهناك اشتغلت مع البنَّائين... ثم اشتغلت في سكة الحديد[2] أول ما بدأت السكة؛ حيث اشتغلت لمدَّة شهرين، ثم ذُكِر لنا أنه من يرغب بالانضمام للعسكرية، يذهب للمدينة، فذهبت

---

(١) سنة ١٣٢٧هـ.

(٢) سكة القطار من الحجاز إلى الشام.

وسجّلت في العسكرية.

وكانت طريقة تسجيل الشخص في العسكرية، أنهم يدخلونه على خمسة أطباء، ويطلبون منه أن يخلع ملابسه، ثم يفحصونه، يفحصون عيونه، وسمعه، وقلبه... وكل شيء فيه. ثم يطلبون منه الخروج، وفي اليوم التالي يعلنون أسماء الأشخاص الذي نجحوا في الفحص الطبي، وأسماء الأشخاص الذين لم ينجحوا.

ترك خدمة الدولة العثمانية والالتحاق بجيش الشريف:

سؤال: لماذا لا تحكي لنا عن هروبك منهم في ذلك الوقت.. (يقصد هروبه من الشريف ومن قَبْلُ الأتراك)؟.

جواب: ذلك الوقت (ما أظن أنه جرى مثله)، لكن الله - سبحانه - الحافظ. ولو قيل: إن أحداً حدث له ما حدث لي ما صدقته.

سؤال (مقاطعاً): في ذلك الوقت كنت مع الدولة أو مع الشريف؟

جواب: مع الشريف يوم يحارب الدولة (يقصد الأتراك).

سؤال: طوال هذا الوقت (ثمان سنوات) كنت مع الشريف؟

جواب: قضيت مع الدولة أربع سنين، ثم التحقت بعسكر الشريف بعد العصيان، وكنت حينها (برنجي صنف)، مسؤولاً عن سرية العقيلات (أهل نجد). وكان العصيان حين أمرنا ضابط تركي قائلاً (إرياط... إرياط) يقصد انبطحوا وتمرغوا، فرفضنا هذا الطلب الغريب وقلنا: (يوك[1]... حنّا ملابسنا نظيفة ولا نسدح على أرض وسخة)، هو يأمر ونحن نرفض... وكان العصيان، وسلّم

(١) يوك: كلمة تركية تعني: لا.

ألف ومائتا رجل من العقيلات أسلحتهم في وقت واحد للدولة العثمانية. بعدها عادوا يطلبون التوظيف؛ لأن ظروفهم المعيشية سيئة، وما معهم شيء، ومضطرين للعمل في العسكرية. وعندما حاولت أن أكتب مثلهم قال القائد: (لا . . . أنت برنجي صنف، أنت السبب في العصيان، اذهب . . . ما فيه عسكرية). صحيح، أنني كنت المسؤول، ولا أريد أن أمدح نفسي، لكنني كنت في حاجة إلى العمل والرزق.

توجهت بعد ذلك إلى الشريف شحات بالعوالي في طرف المدينة المنورة، وقلت له: (يا أبا هاشم أنا زهدت في خدمة الدولة، وأريد من الله ثم منك مساعدة، فالشريف بدأ يوظف الناس بالطائف ومكة. قال: ماذا تريد؟ قلت: تساعدني أتوظف عند الشريف، سيد الجميع. قال: وهل معك جماعة؟

- قلت: معي

- قال: كم عددهم؟

- قلت: لا أدري.

الذي يترك الدولة يذهب إلى الشريف . . . والشريف بدأ يحارب الدولة. والذي يترك العمل مع الدولة، ولا يذهب للشريف تنهبه البدو؛ فهم يكرهون عقيل.

ويكتب الشريف شحات إلى الشريف حسين قائلاً:

(من الشريف شحات إلى سيد الجميع . . . حسين باشا، **وبعد**:

هذا محمد بن سليمان الصويان وخوياه، تركوا خدمة الدولة، ويأملون من الله، ثم منكم أن يعملوا في خدمة جنابكم، وهم أناس يوثَق بهم، وينشار بهم، ويقومون

بما يسند إليهم، ويريدون الخدمة.).

أخذت الرسالة وذهبت إلى زملائي، فقالوا كلهم: كلنا معك، كلنا معك.

بعد ذلك، قابل محمد الصويان الشريف حسين، وانضم إلى جيشه، وعمل معهم لمدة أربع سنوات، قرَّر بعدها الهرب من جيش الشريف والعودة إلى القصيم.

الهرب من جيش الشريف:

وعندما عزمت على الهرب من جيش الشريف تحدثت مع بعض زملائي في ذلك، فقالوا: نحن معك، قلت: يا إخوان لا نستطيع الهرب؛ الشريف أعطى أمراً لكل البدو أن العقيلي[1] الذي يهرب أو يترك الخدمة اذبحوه. قالوا: (عاد أبد) نحن معك.

وكنَّا أثناء تلك الفترة نستعد لهجوم على نقطة للدولة قريبة منا. وكان من حُسْن الحظ، أن مجموعتنا كانت في ذلك اليوم مكلَّفة بحراسة المخيَّم.

سؤال: كم قضيت مع الدولة ومع الشريف؟

جواب: أربع سنين مع الدولة وأربع سنين مع الشريف.

سؤال: أين كنتم في ذلك الوقت؟

جواب: كنا خلف العقبة قريب (الشوبك)، أقصى الشمال نحارب الدولة... نسوقها سوقاً.

سؤال: وحكاية الهرب من الشريف، كيف كانت؟ ومن الذي ساعدك؟

---

(١) المقصود بالعقيلي هنا: القصيمي.

جواب : ذهبت للذويبي ناهس مساءً (الذويبي من شيوخ حرب) وقلت له :

(أنا داخل على الله ثم عليك يا الذويبي . . . أنا أريد أهلي ، لي ثمان سنين مع الدولة والشريف ، لم أرَ أهلي . . . ضاق صدري ، وصرت ما أنام الليل ، أريد أهلي ، وأريد من الله ثم منك ، رفيقاً دليلاً) ، فأنا لا أعرف الطريق .

قال الذويبي : إيه . . . هذا باين (اسم أحد رجاله ، كان موجوداً عنده) ، لكن ماذا تعطيه؟

قلت : أعطيه الذي يطلب .

سؤال : الذويبي هذا . . . أليس مع الشريف؟

جواب : بلى .

سؤال : وكيف يساعدك على الهرب؟

جواب : البدو لا أحد يقول لهم شيئاً ، يأخذون السلاح ، والمعاشات ، ويذهبون لأهلهم . ولا يمنعهم أحد .

سؤال : إذاً عقيل فقط ، هم الذين يُمنعون من الهرب؟

جواب : عقيل عسكرية نظاميون . أما البدو فليسوا بعسكر .

سؤال : وماذا حدث بعد ذلك؟

جواب : قال الذويبي : أجل ما يخالف . . . متى؟

قلت : بعد العشاء . . . خيامنا كانت قريبة من خيامهم .

بعد العِشاء جاء البدوي باين إلى المخيم.

قال زملائي: والله لا يبقى هنا أحد منا... كلنا معك وكانوا سبعة أشخاص.

سؤال: كلهم من ربعك؟

جواب: نعم كلهم من جماعتنا: من القصيم، والبدائع، وعنيزة. المهم جاء البدوي، وحملنا أمتعتنا وليس على ذلولي سوى خرجي... أما قهوتنا وجميع المؤن فكانت مع أصحابي... وذلولي ليس عليها شي. وبدأنا نحوف[١] على ركايبنا[٢]، نريد التسلل من المخيم، حتى لا يشعر بنا أحد؛ لأنهم لو علموا برغبتنا في الهرب لمنعونا... والمخيم كان فيه مجموعات من الأشراف، وبدو، وعقيل... كثير.

وبعد أن مشينا حوالي عشرة أبواع من خيمتنا، صار هياج من المخيم، انتبهوا أننا نريد الهرب؛ فقاموا لمطاردتنا. المخيم كان فيه حضر وبدو، والأشراف... وانتبهوا أننا نهرب فهاجوا.

زملائي كلهم ترجلوا عن ركائبهم ونكسوا إلى الخيمة[٣]... والبدوي باين، الذي كان معنا، فرَّ هو الآخر إلى قومه... أما أنا فقد رفست ذلولي، وانطلقت وحدي... وكان أمامي جبل شاهق فاتجهت إليه، وصعدت إلى أعلاه، وليس معي ما يفطِّر الصائم: لاماء، ولا طعام.

أنخت ذلولي في أعلى الجبل، وربطتها بجذع شجرة، وخلعت ملابسي ووضعتها بالخِرْج، وبقيت بالسروال... ومعي أربع بارودات على الذلول، وبندقية

(١) الحوف: الإحاطة، والاستدارة حول المكان، وهي من حافَّة الشيء أي: جانبه.

(٢) الركايب: الإبل.

(٣) نكسوا: عادوا.

بيدي، ومائة وسبعون جنيهاً.

كانت ليلة مقمرة، فكمنت مكاني بجانب ذلولي، تحت ظل تلك الشجرة. وكان رجال الأشراف يبحثون عني، وظنوا أنَّني توجهت إلى أحد الشعبان، واستمروا في البحث عني لفترة، وأنا كامن أراقبهم. . . إلى أن أصبحوا قريبين من المكان الذي كنت مختبئاً فيه، وعندما أقبلوا عليَّ قالوا: (لا نعتقد أنه جاء إلى هنا؛ فهذا جبل شاهق. وعادوا يبحثون من جديد في الجهات الأخرى)، وأنا أراقبهم إلى أن يئسوا من العثور عليَّ، وعادوا إلى المخيم.

ولما اطمأنيت أنهم صرفوا النظر عن البحث عني، بدأت أفكر أين أتجه؟ والجبل الذي أنا فيه جبل شاهق، والنزول منه من الجهة الأخرى، التي عكس المخيم، صعب جداً. فكَّرت ملياً، ووجدت أن أفضل طريق هو أن أعود من جهة المخيم؛ حيث إن بجانبه ريعاً كنت ألاحظ أن بدو نجد يسلكونه عندما يريدون نجد.

فككت عقال ذلولي، وأطلقتها من الشجرة، وقدتها باتجاه المخيم، باتجاه ذلك الريع. ووالله إنني وأنا أسير إلى هناك، مررت بالأشراف في سكون، وهم يشربون قهوتهم، ولو التفتوا إليَّ لشاهدوني.

ومضيت أقود الذلول حتى وصلت إلى ذلك الريع، ثم قفزت على ظهر ذلولي، وأطلقت لها العنان. . . وكانت ذلولاً جيدة تسبق الخيل، واسمها: نهبة. انطلقت، وبعد فترة رأيت أمامي مجموعة من البدو، جمَّالين. خشيت أن يظنوا أنني مجنون، فأوقفت ذلولي، ولبست ثوبي. وعندما اقتربت منهم، قلت: سلام عليكم.

قالوا: وعليكم السلام، من أنت أيها الدايج؟

قلت: نجَّاب(١) للشريف شحات (الشريف شحَّات كان في مطلع الفَرَع على الدرب الشرقي على السهل) وأريد منكم أن تصفوا لي الديرة.

قالوا: الديرة لا يعرفها إلا أهلها ياعقيلي... هذه شِعبان متشابكة... تشمل وتجنب، وجبال شاهقة لا تصعدها الطيور، ولا نستطيع أن نصفها لك.

وعندما قالوا لي ذلك الجواب، ضاقت بي الأرض، (واستأخذت واستذبحت). وهم صادقون فيما قالوا. إنها شعبان تشمل وتجنب، وأنا أريد الاتجاه إلى الشرق ولا أدري أي طريق أسلك... وأرفس ذلولي متوكلاً على الله حتى وصلت إلى ذلك الشعيب الذي فيه أشجار طلح مثل الأثل، وأنوَّخ ذلولي، فالتفت، فرأيت نور الصباح بدأ يظهر، فنوخت ذلولي، وتيممت، وصليت الفجر. ما معي قطرة ماء للشرب... وأنا ميت من العطش. عندما انتهيت من الصلاة... والتفت من جهة اليسار، فرأيت عن بُعْدَ ناراً بين الأشجار... فكّيت ذلولي، وقدتها باتجاه تلك النار، ثم أنخت ناقتي عندما وصلت قريباً منهم؛ بحيث لا يرونني، وحاولت التنصُّت على كلامهم لأعرف من أين هم؟ إن كانوا بدو نجد ذهبت إليهم، وإن كانوا بدو الحجاز هربت منهم؛ حيث إن الشريف أعطاهم الأوامر بذبح العقيلي. ورأيت مجموعة منهم عند جيشهم(٢)، يحوفون إبلهم، وهي حوالي سبعة عشر ذلولاً... وعرفت أن لهجتهم لهجة بدو نجد... ورأيت مجموعة من كبار السن، حوالي خمسة جالسين حول النار. ولم ينتبهوا لي، إلا وأنا واقف على رؤوسهم، وقلت: السلام عليكم

(١) نجاب: الرسول الذي له خبرة بالسبل والطرق.

(٢) الجيش: المجموعة من الإبل، المعدَّة للسفر، وحمل الأمتعة، ومن ذلك قول الشاعر المشهور فرَّاج بن ريفة القرقاح:

(يالله انا طالبك حمراً هوى بالي لروَّح الجيش طفّاح جنايبها).

(الله المسهل)

التفت إليَّ أحد الشيوخ. . . و كان أقربهم لي، وقال: وعليكم السلام. . . أبشر بأهلك.

قلت: مبشَّر، وسالم من الشر.

قال: وين خواياك؟

قلت: ما معي أحد.

قال: وين مطيتك؟

قلت: هذه هي.

قال: أحضر ذلولك. . . وتوكل على الله.

أحضرت ذلولي، وسرت معهم، وكنَّا سنمُرُّ على منطقة الفْرَع، وبها نقطة للشريف. وعند جنوده الذين في النقطة، تعليمات من الشريف بالقبض على أي عقيلي هارب وإعادته لمعسكر الشريف. ومن الجهة الأخرى للربع، كان الشريف شحَّات مسيطراً على الطريق.

كنت خلال مسيرتنا، أتأمَّل في الرجال لأعرف من فيهم الشخص الذي أستطيع الاعتماد عليه، فلا حظت أن واحداً منهم إذا تكلَّم أنصتوا له، يسمى: محارب.

سؤال: هم من أي قبيلة؟

جواب: من حرب.

سؤال: وذلك الشايب الذي كان معهم. . . هل عرفت من هو؟

جواب: الشايب معهم، لكن أنا كنت أريد الاتفاق مع الرجل الذي يُعتَمَد عليه، فرأيت أن محارباً إذا تكلَّم سكتوا، فعلمت أنه رئيسهم.

وإذا بمحارب يقول لي: ضع ملابسك، وأغراضك بالخِرج، واجعل فوقها الخيش، وخذ هذا الثوب الخَلِق، البسه الآن. وأعطاني غترة سوداء من شدة الاتساخ، وطلب مني إذا وصلنا الفرع أن لا أتكلم مع أحد، وأن أتظاهر بأنني مريض أخرس، وقال: إياك أن ترفع رأسك إلا عندما نغادر النقطة فرجال الشريف سيأتون ويبحثون عن أي عقيلي هارب.

وعندما وصلنا أعطيته أربع جنيهات ليشتري قهوة وطعاماً ودلَّة.

أنا استلقيت عند الإبل، وكأنِّي مريض، إلى العصر.

أثناء ذلك الوقت، أتى رجال الشريف يفتشون، وسألوا: ما معكم أحد من العقيل؟ فيجيب محارب: أبداً. . . ما معنا أحد.

مشينا وعندما تعدينا النقطة بمسافة، إذا بذلول محارب تنقطع، وكان عليها ستة صناديق ذخيرة، وأربعة وعشرون بندقية عيار أحد عشر، وأغراض أخرى. وقد حصل على تلك الأسلحة؛ لأنه ذكر أن معه قوماً كثيرين، وفي الحقيقة إن الذين معه قليل. وانقطعت ذلوله؛ لأنها كانت ضعيفة.

نادى محارب قومه قائلاً: يا حرب لكم على كل بندقية نصف جنيه وعلى كل صندوق جنيه، (احملوا السلاح)، فقالوا: والله نحن بالكاد نحمل أغراضنا.

قلت: يا محارب ضع أغراضك وسلاحك على ذلولي، ودع ذلولك تمشي

خالية، و أنا و أنت نتعاقب الركوب على ذلولي.

وحملت كل أغراض محارب على ذلولي، و صرنا نتعاقب أنا ومحارب الركوب عليها... كل واحد يمتطيها ساعة حتى وصلنا إلى أهله بقاعة أبان.

و هناك ذبح لنا ذبيحة، وأكرمنا ابن الحلال...

وفي الصباح، وحين أردت أن أواصل مسيرتي قال: إلى أين؟ والله لن تذهب إلا وأنا معك

قلت: يا محارب أنا أعرف الديرة (وأنا صادق فدرب المدينة أعرفه، وأنا والله دليلتهم أثناء سفرنا من القصيم إلى المدينة، والعكس).

قال محارب: يا أخي القضية ليست معرفة الطريق، لكن والله لن تذهب إلا وأنا معك أنا أو أخي... لا أريد أن يقال: أخذ خوي فلان.

قلت: كما تريد. ومشينا أنا وأخوه.

سؤال: محارب أيش؟

جواب: من الدهاليس، من شيوخ الفردة (فريدي... هو أصله).

ومشينا، أنا وأخو محارب. وعندما وصلنا مفيض الوادي، وجدنا بعض البدو، فبتنا عندهم إلى ما قبل صلاة الفجر، ثم أكملنا سيرنا... وعندما أسفر الصبح، كنّا وصلنا شعيب القوعي... أسفل الشعيب... والشعيب في بدايته حزم[1] رفيع، وينقسم الشعيب إلى قسمين: الشعيب الذي كنّا فيه، وشعيب وراء الحزم. وفوجئنا بالهيج أمامنا... والمذابح... والهيلات... إنّا لله وإنّا إليه راجعون... ونحن

(١) الحزم: المرتفع من الأرض وهو صلب التربة صالح للطراد.

اثنان فقط، فجهزنا سلاحنا وحثينا السير، وإذا بذلك الرجل أمامنا، رأسه مكشوف، وشعره ثائر، ويصرخ: (العيال... ربعي... يا أهلي... هذولا عيال الحرام ذبحوا خوياي... وأخذونا)... كان رجلاً حضرياً.

وعندما فضنا من الوادي، هالنا ما رأينا... رأينا فرسان قبيلة شمَّر على مائة وسبعين ذلولاً، منوخين على أباعر لابن عقيّل، ومر بهم شخص اسمه: الزوين من أهل العوالي (تاجر) معه مال كثير يريد الشراء من البدو... فذبحوه، وأخذوا ما معه.

لَمَّا رأينا ذلك، تراجعنا أنا وزميلي الحربي، لنسلك الشعيب الآخر هرباً منهم، باتجاه قصر القوعي... ولكنهم رأونا، فلحقوا بنا... وانطلقت الغارة وراءنا؛ طمعاً بنا.

ومع شدَّة ركض النياق، وكان في ذلك الشعيب أشجار طويلة، فعلق رسن ذلولي بإحدى الأشجار، فسقطت الناقة، وسقطت من فوقها مسافة عدة أمتار أمامها، وبارودتي في يدي.

التفت إليَّ الحربي، وقال: عساك سالم؟، قلت: الحمد لله، ما بي إلا العافية، قال: اركب... اركب... انحش[١]. وفرك ذلوله، ووجهها باتجاه القوم، وبدأ بإطلاق النار على الجيش الذي كان يلاحقنا... أطلق مشطين من الرصاص. عند ذلك، توقفوا... وتفرَّقوا يميناً وشمالاً... ورأوا أننا اثنان فقط... وعلموا أنَّ أَخْذَنا لن يكون سهلاً فتراجعوا عنَّا.

---

(١) انحش: أهرب.

سؤال: ما اسم أخي محارب؟

جواب: والله إني نسيته الآن لكن هو أخو لمحارب.

سؤال: والله ما أطيبه

جواب: إي والله... إنه والنعم... مكتسب الطيب من أخيه.

عند ذلك، قال: لن نذهب إلى القوعي، بل دعنا نتجه مباشرة إلى ديرتك الشنانة... ثم حثّينا المسير إلى الشنانة، حتى وصلنا، ونوّخنا عند أبي زايد، زوج عمتي، سليمان بن زايد - رحمه الله تعالى - وبتنا تلك الليلة عنده.

من الشنانة إلى عنيزة:

بتنا تلك الليلة عند أبي زايد، وفي الصباح، أعطيت رفيقي الحربي كسوة لأهله، وبعض المال... وودعته.

وكان هناك تعليمات من ابن سعود أن من أتى من الحجاز سواء من الدولة أو من الشريف، أن يؤخذ السلاح الذي معه. من كل بلد من جاء ومعه سلاح أخذوه منه. وكان ولد القحص بالرس يتلقف الذي يأتي ويأخذ سلاحه. وأنا بالشنانة عند أبي زايد، فذهب المناجس إلى القحص، وقالوا له: ترى ابن صويان أتى من الشريف... وتراه عند ابن زايد بالشنانة، وسوف يمر في الصباح.

وفي الصباح، اتجهت إلى البدائع أريد أهلي، وجعلت الروضة على يميني والرس على يساري، وإذا برجّال ابن مساعد قابلني يركض... ولد القحص... قائلاً: يا ابن صويان محمد قف أريدك، أريد أن أتكلّم معك، ما هب أحسن لك، ما هب أزين لك.

أنا عرفته. . . فتركته، ورفست ذلولي. . . ولم أرد عليه.

وصلت إلى أهلي في البدائع. . . وإذا بالغنيمي أمير البدائع يأتي إليَّ بعد العصر. . . وقال لي: يقول لك الأمير أعطنا البندق التي معك. . . بندق الشريف.

أنا كان معي ثلاث بواريد.

قلت: والله لن أعطيك شيئاً أنا أتيت من الشريف في إجازة. . . وبندقيتي لي. . . ولن أعطيك إياها.

قال: لازم تسلِّم البندق، وإلا تمشي معي إلى الأمير. . . الأمير عبد العزيز بن سليم تلك الأيام.

قلت: ما يخالف. . . موعدنا الصبح أمرَّك، ونروح للأمير.

وفي الصباح، شدِّيت ذلولي. . . ومرَّيت على الغنيمي. . . ابن سلطان. . . ودخلت أنا وهو إلى عنيزة. ابن سلطان يذودني. . . يريدني أن أذهب معه للأمير. وعندما وصلنا باب الشافية، وإذا بالمؤذن يؤذن الأذان الأول لصلاة الجمعة.

قال: موعدنا، بعد الصلاة قهوة الأمير؟

قلت: ما يخالف.

وكنت لابساً لباس العسكرية. . . وعليَّ شطفة، من شغل القوم، بأربعة جنيهات. . . ومن رآني قال هذا حاكم وبعد صلاة الجمعة، خرجت من المسجد، متوجهاً لمجلس الأمير. . . وإذا بذاك الرجل ينتظرني. . . وناداني، وقال خذ

الخطاب[1]. . . وإذا بالخطاب من حسين العسَّاف. . . أمير الرس. . . وولد القحص، رجل ابن مساعد. . . إلى ابن صويان. . . لازم تسلِّم هذا الرجل، حامل الخطاب، البندقية التي معك. . . وإلا سوف يأتيك خادم من بريدة يسحبك سحباً.

أخذت الخطاب، وتوجهت إلى قهوة الأمير.

وعندما دخلت، كانت القهوة مليئة بالرجال إلى الباب. . . الأمير عبد العزيز رحمه الله. . . وكان جالساً في صدر المجلس، وبجانبه (الكاينات) ابن ميمان. . . من كبار الجماعة. وعندما دخلت، قام واستقبلني في وسط القهوة. وعندما سلَّمت عليه، أردت الرجوع لأجلس في طرف المجلس، قال: تفضل. . . تعال هنا. . . واجلسني بجانب (الكاينات). وإذا بابن سلطان، الذي أتى بي من البدائع، جالساً أمامنا.

وعندما سلَّمت عليه، قال ابن سلطان: هذا ابن صويان. . . يا طويل العمر. . . قلت له: أعطنا بندق الشريف، ورفض، فأحضرته.

قال الأمير ابن سليم: وهل أنا قلت لك أحضره، إذا لم يكن معه بندق للشريف؟

قلت: مير يا أبا خالد. . . هذه هي الساعة المباركة. . . أحضرني أسلِّم عليك قبل أمي وأبي. . . وأنا الآن لا أعلم من أنا له. . . ولد القحص يركض خلفي إلى أن تعدَّيت الجندل. . . وابن سلطان أتى بي إليك. . . كم بندق معي؟. . . من أنا له؟. . . وقد أرسل هو وابن عسَّاف خطاباً لي مع أحد رجاله. . . وهذا خطابه، طال

(١) الخطاب: الرسالة.

عمرك. وأعطيته الخطاب.

وعندما قرأ الخطاب قال: من أعطاك الخطاب؟

قلت: أعطانيه فلان (نسيت اسمه الآن، ولكنه من أهل الرس).

قال: قم يا عمرو... قم ابحث عن الرجل... ولا تأتِ إلا وهو معك.

والله إنه كان ممسكاً بالخطاب بين أصابعه، إلى أن أحضر عمرو ذلك الرجل... عمرو، من رجال ابن سليم.

قال ابن سليم مخاطباً الرجل: أنت الذي أحضرت هذا الخطاب لابن صويان، من رجال ابن مساعد، ومن ابن عسَّاف؟

قال: إي والله، أعطوني خطاباً لا أعلم مضمونه؟ (ولكنه لم يكن يذكر الصدق).

قال: ما تقول لي... البدائع وعنيزة وطوارفها... من هو المسؤول عنها؟... نحن، والا عمرو والا زيد.. والا ابن مساعد؟ من المسؤول عنها؟... عنيزة وطوارفها... نحن المسؤولون عنها، وليس لابن مساعد، ولا لأحد آخر عليها أي كلمة.

ومزَّق الخطاب، ورماه، وأكمل: وأنت يا ابن صويان... ما دمت أنك لم تحضر بندقية للشريف... قم في أمان الله، واطمئن فلن يزعجك أحد.

وخرجت من عنده، والحمد لله، لم يقل لي أحد بعدها أي شيء.

سؤال: وماذا عملت في البنادق؟

جواب: بعتها... رخيصة... تلك الأيام كان سلاح الشريف منتشراً في الأسواق[1].

(١) كان السلاح يؤخذ من جيش الشريف، ويباع في كل المناطق.

روايات محمد الصويان الشعرية

الشاعر: ابن بلاّع[١]

كان صالح بن ناصر البلاع يعشق إحدى البنات من حمولة الخليفة، ولكنه كان متهيباً من خطبتها نظراً لمكانة أسرة الخليفة آنذاك من ناحية، ولأنه لا يعلم شعور تلك الفتاة نحوه، من جهة أخرى. وكان يريد أن يعمل عملاً يفتخر به أمام معشوقته، التي لم تكن تعلم أنه يعشقها.

حدثت هذه القصة بعد استيلاء الملك عبد العزيز على القصيم، ولكن قبل استقرار الحكم، وما زال الوضع الأمني مضطرباً، والناس في خوف شديد. وكان أهل الشنانة يجتمعون جميعاً (أهل الشنانة وأهل البلاعية وأهل المطية. . .) عند فوزة مزرعة الصويان، ثم يجعلون أحدهم أميراً لهم وآخر رقيبة[٢]، ثم يذهبون إلى البر لجلب الحشيش. وفي إحدى المرات عندما أقبلوا، حول القشيع، وهو ضلع جنوب الشنانه (يبعد حوالي ٤ ساعات للماشي)، وكان الوقت حوالي الفجر، سمعوا صوت طبقة الخيل، فاتجهوا إلى ضلع قريب، ليزبنوه. وكان هناك حوالي ٧٠ خيَّال، مقبلين عليهم، وإذا (سابق تطبح من مرابع النجوم)[٣]، كانت أول الخيل المقبلة. وكان مع ابن بلاع بندقية مارتين[٤]، اشتُريت له من الكويت بمائتي ريال، فأطلق الرصاص على الفرس، فسقطت وسقط فارسها. وكان من نتيجة ذلك أن خاف الغزاة وانكسروا؛ لأن البدو لم يكن معهم سلاح تلك الأيام، فقال أحدهم: (يا حضر! ترانا شمَّر ملى

(١) هو الشاعر صالح الناصر البلاع، من بني خالد، من الرس.

(٢) رقيبة: حارس يراقب عن علو للإنذار.

(٣) السابق: الفرس، أي: فرس معتادة على خوض المعارك وتوافق فارسها على عزمه، وقوله (تطبح من مرابع النجوم) كناية عن سرعة الفرس وقوة اندفاعها.

(٤) المارتين: علامة مميزة للسلاح (بندقية).

الخير والشر، وعليكم الله وعهد الله، ولاتجونا ولا نجيكم). قال أهل الشنانة: (إيه، ابعدوا وراكم ولا تجوننا ولا نجيكم). وبالفعل ذهب البدو عنهم، فقال أهل الشنانة لبعضهم: سوف نعود الآن إلى ديرتنا. وفرحوا بالنصر. وفرح ابن بلاع وأراد الافتخار أمام حبيبته، فقال:

يـالله المطلـوبْ يامْعـينْ مِـن قَـام وصْبَرْ

يا مَنَشّي الغَيْم يافَارضْ رْكُونَ الصـلاةْ

طَالبينكْ بالتَّيَاسِـيرْ وسْـنُوعَ النَّظَرْ

واليقينْ الى اعْتزَينـا نَهارْ المُوْجبـاتْ[١]

عَـادةْ لجْدُودِنـا مـا كِدْ رَجْـلٍ خَمَرْ

خَبّرْ اللي جَاهلٍ بالفْعُولْ المِقْدمـاتْ[٢]

يومْ جِتْنا غارَةْ الشَّـمري وَقْتَ الفَجرْ

سَـابْقٍ قُومْهْ يلوّم على اهل التَالْيَاتْ[٣]

سَـابْقٍ قومُه وحِسّ البَيـارقْ كِدْ زِجَرْ

ما تَنهّى طافيَ النَـارْ مَنْكوسَ اللغاتْ[٤]

---

(١) التياسير: جمع تيسير، بمعنى اليسر.

(٢) خمر: جبن.

(٣) يلوّم على أهل التالبات: يحث الفرسان الذين وراءه.

(٤) ما تنهّى: لم ينته ويتراجع عن مهاجمتنا. منكوس اللغات: لأن لهجة شمر تختلف عن لهجة أهل القصيم.

نَحْمِـدَ اللّهْ واعْتِزَينـا ونِصَـرْنـا بالظَّفَر

يَومْ وِلْد اللاشْ عَنّا تَخْبًا بالصَّـــفَاة[١]

فِعْلنـا كِلٍّ حَكَى فِيه مِـنْ غَـابْ وحَضَرْ

يَشهَدْ الله واشْهَدي يالهِضَابْ الرَّاسْيَات

كِلَّهـا لعْيـونْ مِنْ قرنها يَكسـا النَّحر

عَنق ريميٍّ يْقُـودْ النّـعَامْ الجَـافلات

سَـمْ حَالي يَومْ جا يَسحَبَ الثّوبْ الحَمَر

ما عَليه الا السِّـبَاهين مـا فوْقه عَباه[٢]

الشاعر: ابن بلأع

قالت محبوبة الشاعر له: (صبَّحك الله بالخير)، فطار فرحاً، وقال:

لعيني قولته صبْحك بالخَيـرْ	اقُـولَ لَه عَـددْ ما طارْ نَسْـرا
ولا وَاونّتـي وَنّةْ مَعَاييـرْ	مَعَاييرٍ سَـرَوا في لَيلْ غَـدْرا
وانا قَلْبي عَلى خِلّي كَمـا الزِّيرْ	ويْنْقرْ فـي قْفَـا المِقْراعْ نَقْـرا[٣]
وانا مَشعُوف واشهر كَنّي الطَّيرْ	واغَـرِّدْ بالهَـوا وادُوسْ وأذْرا[٤]

(١) اللاش: النذل، الذي لا خير فيه ولا رجولة.

(٢) السباهين: ثياب، تكون عادة من الحرير.

(٣) الزير: الطبل.

(٤) أشهر: من شهر؛ أي: طار.

الشاعر: ابن حصيص[١]

هَيَّضْ ابـنْ حْصَيْـص فـي تالـي نَهارِه

الفْ قَافٍ مِـن ضِمْيـره مِدْمجَاتي[٢]

ولَّعَتْني بالهَوى والحُبْ سَـــاره

واذْهَلتني عَن غَناديـر البَنــات

رِيق سَـارهْ مِثِلْ سْكَّر في غَضَـاره

او حَليب ابْكارْ شِقْحٍ مِسْـمِنَاتِ

الشاعر: ابن حصيص

تزوج ابن حصيص امرأة في عنيزة، اسمها ميثا، ولكنه لم يحبها، فقال هذه القصيدة:

لَـعـلّ يَـومٍ جَـاب مَـيْثـا يـوَلّـي

بالعَـونْ ما جَابَه نَهـارٍ سِـعِيدِ

جَتْني من الاسْـبابْ واَخْلَتْ مَحلّي

وانـا مْـن اوّل ماحـدٌ لِـي يِصِـيدِ

مَيـرْ القِـدَرْ ياتـي عَلـى غَيـرْ حِـلٍّ

مَنْجُـومْ يـومْ أطْلَقْ حَلالي من ايدِي[٣]

---

(١) هو الشاعر محمد بن فهاد القحطاني. كان كفيف البصر، سكن ثرمداء فترة من الزمن، ثم انتقل إلى مدينة عنيزة، وبها توفي عام ١٣٥٤ هـ.

(٢) هيّض: أثاره، ذكّره بأحبابه.

(٣) منجوم: تائه في الطريق.

قالـوا عَنُودٍ عَيطَمُـوسٍ تْسَـــــلّي

تِعْطِيـكْ هَرْجٍ مِثْلْ نَقْدْ المجيـــــد(١)

واثْـرْ الكْـذُوبْ إلـى هَـرَجْ لـكْ يِـزِلّ

ماهُوبْ يِعْطِيـكْ الجَوَابَ الوِكيـــدِ(٢)

لِقَيـتَهـا غَمًـا ولا تِســـفِهِلّ

شْــوها، ومِن كِثْرَ اللغَا مـا تبيـــدِ

الله يِبْــــعِـدْ دَارهـا عـن مَحلّـي

ويَجْعـلْ ديـاري عـن دْيـارَهْ بعيـــدِ

---

(١) عنود: ظبي.

(٢) واثر: وإذا.

الشاعر: ابن خليفة[١]

الشاعر ابن خليفة، من أهل الشنانة، كان يسكن في مكان يسمى: (أبو مروة)، يقع بين الشنانة وقصر ابن عقيِّل. تزوج ولكنه لم يرزق بذرية، فتزوج أخرى طمعاً في الذرية، ولكنه لم يرزق بشيء، فاستسلم لقَدَره. ولما كَبُر في العمر، وكَثُر الشيب في رأسه، حملت الزوجتان معاً وولدتا ولدين جميلين، فافتتن بهما. ولما بلغا من العمر حوالي خمس سنوات، وفي ليلة من الليالي، ذهبا للنوم، ولم يكونا يشتكيان من أي مرض، ولكنه وجدهما في الصباح ميتين، فصدم صدمة شديدة، وأصابه حزن كبير، وقال هذه الأبيات. ولما علم ابن اخته (محمد الصالح العقيِّل) بحاله تألَّم لوضعه، فأتى من قصر ابن عقيِّل، وأخذ خاله وجميع أهل بيته وكل حلاله، وهدم القصر، وردم البئر، وأسكن خاله وأهله، عنده في قصر ابن عقيل.

شـقا القلبْ من كِثْر الهُمُومْ وشَـــابْ
وزَادِه من أسْـــــبابْ الزّمانْ عَذابْ

عَـــذَابٍ جَـرَى لي مـن فْرَاقـي مَحَبّتي
أشَـابَن وأنا قَبْلَه بْســـــنْ شَـبابْ

اشَـابون شـبّانٍ غَـدَوا عِقبْ ما نِشَـوا
تَعَرّض لَهم والِيْ السّـــــمَا باسْبابْ

كِما حِـزْن يعقوبٍ علـى ابْنـــه بِغْربتِه
يِهِــلْ بعَبـــراتٍ وجِسْـــمِه ذابْ

---

(١) ابن خليفة من حمولة الخليفة، وهم من الوهبة من تميم، ولكن لا يُعرَف اسم الشاعر.

ودِنْيَـــاً تِهيلَ العَقلْ بافْعَـــالْ قِدْرتَه

وتْغِير على خَيلٍ لها ورْكَـــــابْ

وتْغِيـر علـى خَيـلٍ وتَــاخـذْ نَـوادِرْ

وتْبـدَّل عِقْب التّفْرِحـه بِغْضَـــابْ

فِجْتنـي وفَاجَتْنـي علـى حُـبْ مِهْجتـي

لها بين مَحْنـي الضّـلُـوعْ صَـوَابْ(١)

الى الحَشـرْ ما تَمْحى جْرُوحَه عن الحَشَـا

ولا تِمْحي عَنّي عْجُـــوبْ ثوابْ(٢)

---

(١) صواب: مصاب، أي أن الشاعر أصيب في قلبه.

(٢) ثراب اسم أحد الطفلين.

الشاعر: ابن سبيّل[١]

اللّه لا يجـزي لِيَـالي الشّفَاشِيـــفْ

ايامْ رَاعي السَّـــمِنْ يِخْلِصْ ديونِهْ[٢]

فَرّاقْ شَمْل أهْلَ القْلوبْ المَوَاليـــفْ

كِلٍّ على فَالِـه يِبَـاري ضْعُونِـهْ[٣]

والى نْشِـدْ عن واحدٍ قِيلْ مـا شـيِفْ

عَيّوا اهل القِـعدان لا يَذْكْرونِــــه[٤]

والشّـيخْ كِنَه صَـــايِلٍ يَتبـعْ الرِّيفْ

ياخذْ اسْــبُوعْ البيتْ مـا يبتنونِه[٥]

---

(١) هو الشاعر عبدالله بن حمود بن سبيِّل من قبيلة باهلة. ولد في قرية نفي في شمال نجد حوالي سنة ١٢٧٧هـ، وبها توفي سنة ١٣٥٧هـ عن عمر يناهز الثمانين عاماً. وقد استفدت في شرح معاني الكلمات من كتاب: (الأزهار النادية من أشعار البادية).

(٢) لا يجزي: لا يجزيها بالمطر والرغد. الشفاشيف: السريعة. راعي السمن: صاحبه أي التاجر والتاجر لا يستوفي ديونه إلا أيام الربيع.

(٣) فراق الشمل: هو الربيع؛ لأن البدو يتفرقون فيه ولا يجتمعون إلا في الصيف على المياه، كلٍّ على فاله: أي أن كل واحد على هواه يسير حيث يريد. يباري: يتبع ويمشي مع ضعونه.

(٤) وإلى نشد: أي إذا سئل عن واحد قيل: لم نره لتشتت البدو في المراعي. أزروا: عجزوا، القعدان: جمع قعود، وهو الصغير من الجمال، وأهل القعدان: هم الذين يبحثون عن الضائع من الإبل أو يرتادون المراعي ويركبون القعدان لتدريبها.

(٥) صايل: الجمل الهائج. الريف: رياض العشب، ومن ذلك القول الذي نسبه عائش بن منصور الحارثي في كتابه: (النباتات البرية في المملكة العربية السعودية)، صفحة ١٧٧، إلى حسين بن نويهض بن حريش:

اليوم عافنّي صغار البنات — شافن شيبيي لايحا كنّه الريف

ياخذ أسبوع: يصير له أسبوع.

وسَقوى إلى جَتْ نَقْضَةْ الجَزو بالصَّيف
والشَاوي اخْلَفْ شَربةٍ من سْعُونه[١]
تَنحَروا عِدٍّ قَراحٍ قَرَاقِيف
والبيتْ يِبْنى والظُّعَن يَقْهَرونه[٢]
وتْسعينْ ليلهْ جَانبْ العِدْ ما عِيفْ
ولا للشَّدِيد مْصَوّتٍ يَسمعونه[٣]
وحْضيرٍ مِنْ القريه رْكَيبٍ مَواجِيفْ
وحْضُورٍ من قَبلْ النَّخَل يَصْرمُونه[٤]
يَمّ البْلادْ يدوّرون المِصَاييفْ
واللي لِهْ احْبابٍ لِباب يْجُونهْ[٥]
والى تِقضَوا ما عَليهم تْحَاسِيفْ
ومِنينْ ما طاحَ الحَيَا يتبعُونهْ[٦]

---

(١) سقوى: دعاء بالسقي، وهو أحسن دعاء عند البدو. نقضة الجزو: الاجتزاء هو الاكتفاء بالعشب الندي عن الماء، فإذا جاء الصيف، انتقض الجزو وطلبت الدواب الماء، وعاد البدو للنزول على موارد المياه. الشاوي: راعي الغنم. السعون: جمع سعن، وهو قربة الماء الصغيرة.

(٢) تنحروا: اتجهوا إلى. عدٌّ: العد البئر غزير الماء. قراقيف: بارد. الظعن: الجمال التي تحمل الهوادج والنساء. يقهرونه: يوقفونه.

(٣) وتسعين ليلة جانب العد ما عيف: أي أن مدّة نزولهم على الماء وقت الصيف ثلاثة أشهر. الشديد: الرحيل، من قولهم: شدَّ على البعير رحله.

(٤) ركيِّب: تصغير ركب. مواجيف: مخبرون.

(٥) التصاريف: الحاجات.

(٦) تقضوا: انتهوا من شراء ما يحتاجون. تحاسيف: لا يأسفون على شيء. الحيا: المطر.

أقفـتْ جَرايرُهم تِـدقّ المِشَـــاريـــفْ

العدّ لـوْ هُو بالفِضـا يَشــحنُونِــهْ(١)

ياويّ جِيرانٍ عَليهم تحَاسِـــيـــفْ

لَولا انّهم قَلْب العَنَـــا يَشــعَفُونِهْ(٢)

وان كان رَكْبَوا فوقْ مِثلَ الشّــواحيفْ

كـم مَايـقٍ بارمـــاحهـم يَزْعَجونِهْ(٣)

---

(١) جرايرهم: بقاياهم. تدق: تتردد على المحل تدوسه بالأقدام. المشاريف: المحلات المرتفعة. يشحنونه: يملأونه، أي أنهم يملؤون حول البئر ولو كان في الفضاء الواسع.

(٢) وي: كلمة إعجاب. يشعفونه: يتعبونه.

(٣) الشواحيف: الطيور الجوارح التي تخطف فرائسها كالنسور، ويعني بها الخيل. مايق: متغطرس متكبر.

الشاعر: ابن سبيّل

وَاللهْ يـا خـلٍّ ضَـحَكْ لـي مـن الـرّوحْ
لاجـزاهْ انـا مـن رُوحْ رُوحـي جِزَاهـا
لـو ما هـرج لـي شَـايفٍ مِنْـه مَنْضوحْ
مِنْ مَـدّ كَـرْبْ ايْديـهْ يَبْغـي مْلاها(١)
وانـا إلـى جيـتـه إلـى الصّدرْ مَشْـروحْ
يِبْـدي لي اسْـرارٍ علـى امّـهْ كِمَاها(٢)
مَيـرْ هَنْـيَ دِحْشٍ كِنّـه السَّـدُو مَطْروحْ
حـالـه كِمَـا حالِ البَغْـلْ مِـن غِذْاها(٣)
وَسْـطْ الفيافـي كِنّـه العِدِلْ مَسْـدوحْ
هَمّـه رِقَـادِه والرَّوَابـعْ نِسَـاها
وقَلبـي كِمَـا وادٍ مـن الجِنْـدْ مَمروح
ايـامْ مـا بِـه قِشْـعةٍ مـا رعاهـا(٤)
كِنّـي بغَبّـاتْ البحـرْ راكـبٍ لـوحْ
تلعـب بِـي رْيـاحٍ زْعُـوجٍ هَواهـا(٥)

---

(١) منضوح الكلام: معناه وما يُقصَد منه. مد كرب ايديه: أي مد كفيه بعد جمعهما مع بعض. يبغي ملاها: يريد ملأها، كناية عن السؤال.
(٢) مشروح: منشرح. كماها: كتمها.
(٣) السدو: الخيط الممدود.
(٤) الجند: الدبا أو الجراد. ممروح: مرح به الجراد أي أقام به. قشعة: شجرة.
(٥) غبات: جمع غبة، وهو البحر العميق. زعوج: مزعج.

الشاعر: ابن سبيِّل

واتل قلبي تلّةْ الغَزو لشِرْشُوحْ

ذْودٍ على تالي الدْبَش خاطفينه(١)

مانيبْ مِنْ يَتْعب على غير مَصْلوحْ

يَرْقب لِخْلانٍ وهم ناذفينه(٢)

المقفي أقفي عَنه لو كان مّمْلوحْ

والمِقْبل ارفْع له شْراعْ السفينه(٣)

ما لي بعِدٍّ طُولَ الأيامْ مّميوحْ

ما يِنْتميزْ وَاردِه من قِطينِهْ(٤)

عِدٍّ قِطِينهْ مَالي كِلْ جَابوحْ

لى كَثّروا وِرْده يغثبر دفينهْ(٥)

شَفّي بشِرْبةْ قلتةٍ دربها صْوحْ

خَافي وحِنّا دَرْبنا عارفينِهْ(٦)

---

(١) تل: جذبه بقوة. شرشوح: القطيع من الإبل. ذود: قطيع، مجموعة الإبل. تالي الدبش: آخر الأنعام.

(٢) ناذفينه: حاذفينه مثل حذف النواة.

(٣) المقفي: المعرض. مملوح: من الملاحة، خفة الدم.

(٤) العد: البئر غزيرة الماء، كثيرة الوراد. مميوح: نزحته الدلاء. قطينه: المقيم على الماء، والوارد هو الذي يرد إلى الماء ثم يذهب، ويقصد أنه لا يريد محبوباً كثير العشّاق.

(٥) يغثبر دفينه: يتعكر الماء ويظهر الطين.

(٦) شفّي: رغبتي. قلتة: نقرة في الصخور تحفظ الماء، ويغطيها رمل يمنع الماء من التبخر، ويقصد أنها خفيّة لا يدلها إلا من له خبرة بطرقها. صوح: جبل.

وغْصُـــونـه اللـي ناعمــاتٍ بــلا فْــوحْ

تحتْ خـرامِيـسْ الـدّجـى خارفيــنـهْ[١]

كـمْ ليلـةِ خرســا خَطَرْها علـى الروحْ

نَرعَـى حْمَـاه ومَـرْقـبْـه مِشْـرِفيــنـهْ

الشاعر: ابن سبيّل[٢]

نصيحـه ياللـي تَـودّ النصيـحـهْ

الجيـلْ هـذا كِلّ دِينـهْ سْـمُوحِ

الصبـحْ يَطْـوي فـوق راسـهْ سـريحهْ

وبالليلْ دِينُه مِثِلْ دِينَ السـطّوحـي[٣]

(١) الفوح: الغليان، الحرارة؛ خراميس الدجى: شدة الظلام.

(٢) لم أجد هذه الأبيات في ديوان ابن سبيّل (في أيٍّ من الإصدارات).

(٣) السطوحي: اسم ساحر في وقتهم، كان في النهار يتظاهر بالصلاح والتقوى فيلبس العمامة، وفي الليل يقوم بأعمال مخالفة للشريعة.

الشاعر: ابن سبيّل[١]

لا والله إلا شَدّوا البدو نْجَاعْ

كلٍّ هَدَم مَبْنَاه وارتدْ زَمْلَهْ[٢]

وشَدُّوا ودَنّوا للرّحَلْ كلّ مِطْواعْ

كلّ اشقحٍ زينٍ زِفيفِهْ ورَمْلَهْ

واقْفَوا كِما نَوٍّ نِشَر مَاه وانْزاعْ

بَرْقِه يرفرفْ والسّدا يِرْتِدِم لِهْ

غاديـنٍ مـن فـوق الرّفـايعْ تِنزّاعْ

واللـي نِـوَى دَرْبٍ عَزَل وانْقِسَم له

وابْكرتاه اللي غَدَت بين الاقْطَاعْ

ياكُود دَورتها على اللي جَهَم له[٣]

مادري غَدَت مع وِرْد دِخْنهْ بالأسماعْ

والا مَع اللي سَنْدوا مُستَهمْلِه

راعي هَدَبْ عَينٍ مطاليلْ ووسَاعْ

سُودٍ هَدبْها والمحَاجيرْ جَمْلِهْ

---

(١) المشهور أن هذه القصيدة لفهيد بن عويد المجماج، وليست لابن سبيّل. انظر - مثلاً - (أعذب الشعر الشعبي والفصيح) لمنصور بن ناصر العواجي، صفحة ٤١.

(٢) شدُّوا: رحلوا. دنّوا: قرّبوا. نجاع: من النجعة، وهي الانتقال من مكان إلى مكان آخر بحثاً عن الكلأ، زمله: الزمل هي الجمال المعدّة لحمل الأمتعة.

(٣) ياكود: سوى. غدت: ذهبت. جهم: سار فجراً.

ابو قْرُونٍ فوق مَتْنِه يِجي بـــــاعْ

شـــقْرٍ على بِيض العَواتـق يِعَمْلِهْ

حبُّـه يْخِجّ القلـبْ ما يُوجـعْ وْجــاعْ

لاشِــــكْ قلبـي مِودْعـهْ بيـتْ نَملِـهْ

الشاعر: ابن سبيّل(١)

يـا صاحبـي مـادري عَنْـه هـو نِسـيني
وانا على الابعَادْ واللهْ مانْسَـــاهْ(٢)

مانسـاه كُـود الهِجْـن تَنسـى الحَنـيِن
او الظَّبـا بَيــن الدَّروايـــر مَفْــلاهْ

بـيِن اللهيـب وبـين طِخْفِـه خَديـنـي
تظفـي على خَشْـــم النَريّـعْ رَعَاياهْ

وان كانْ فـي سِـرّ الخَفَـا يمْتينينـي
ياما عَفـا اللهْ كِلّ يَــــومْ اتِمَنَـاهْ

وان كانْ فـي صَــدِره يِجّـرّ الونِيــنِ
وِنيني اكثـرْ لارْحَـمْ حَـيٍ اضْـــنَاهْ

(١) لم أجد هذه الأبيات في ديوان ابن سبيل (في أيٍّ من الإصدارات).
(٢) منساه: لا أنساه.

الشاعر: ابن سبيّل

لـولاي اوسَـــعْ خاطـري بالتّنهّـاتْ
وافْكـرْ بْحالــي مِن خَـلايْ بْخَلايـهْ(١)
لاغْـدي كِمَا المِذْهـبْ وارْمّي بالاصواتْ
خِبْـلٍ علـى ما قــالْ راعـي الرْوايَهْ(٢)
واليومْ شِـــبتْ وتِبْتْ عن كلٍّ ما فــاتْ
وطَويتْ عـن كِـــلّ المَوارِدْ رْشَـــايَهْ
لاشــــكْ يومْ اذكِرْ خْطَاتَ الخَوْنْدَاتْ
اللـي مِقَاديـه تعَـدَّى الخْضَـــايَهْ(٣)
أخـذتْ لي مـع طَـوْرَقَ الغَـيّ عَبَّـــاتْ
يومْ الهَـوى قـــايمْ وانا اتْبـعْ هَوايَـهْ
يومْ انْ لي مع تِلْع الأرقابْ صِرْفَـــاتْ
وابيعْ واشْـرِيْ بَينهنْ بالسّـــعَايـهْ(٤)
وتْجـازيْ الهَـرَّاجْ بغْضَـــايْ وسْـــكَاتْ
ولاهِيبْ تِبديْ لهْ سِـــــــريرهْ وغايهْ(٥)
وتْصِـدْ عَمّـا قـــالْ مِنْ غَيـرْ مَجْفاتْ
وتِبْـدي لِـهْ خَـدْ مِثِـلْ لَـوحْ المْرايَـهْ

(١) التنهات: التنهد. ابصر بحالي: أتفكر في أمري. من خلاي بخلايه: من سرّي بسرّي.
(٢) لاغدي: أصبح. المِذْهب: الصياد الذي يضيع طيره فيتجوَّل ويناديه ويلوّح له بدون هدى، أي: يفقد عقله. خِبْل: قَليل العقل. راعي: صاحب الرواية.
(٣) خطاة الخوندات: بعض النساء؛ مقاديمه: القاديم من شعر الرأس ما أسبل على الصدر؛ الحضاية: حضن الجالس.
(٤) تلع: طوال. صرفات: مصالح. السعاية: السمسرة.
(٥) الهراج: المتكلم؛ الغضاي: الإغضاء.

الشاعر: ابن سبيّل[١]

طـرد الهـوى يالعـينْ وَيـشْ مْحسـوبهْ

ازْرَيـتْ وانـا ابيـهْ يَافِـي حِسـابِهْ[٢]

لاعَـادْ لا طَـردهْ ولاشِـي مْغصُـوبِـهْ

تُوبـي الـى مَـولاي وارْجَـي ثَـوابِـهْ

مـا عادْ عِقْبْ الشـيبْ كُـودَ الغْتُوبهْ

والقلبْ في عَميـاهْ يَطـردْ عَذابِـه[٣]

يالعـينْ عن طَـرْدَ الهَـوى اليـومْ تَوبهْ

اشـوفْ طَـرْدَ الـوِدّ جَابِـه غَتابِـه

مِسْتسلِمٍ ذيـبِـه وغِـفْـرتْ سْـلُوبِـهْ

ويـلاه يـا عَصْـرٍ مِضَـى واسِفَا بـه

يـا صَـاحبي والله مانْسَـى عْجُوبه

الا ان نِسـى الظّامي برايدْ شَـرابِـهْ

حُبّـه بقلبـي والعَـرَبْ مـا دَرُوا به

خَـلّ عَنْـك نَمّـامْ القْفَا مـا حَكى بـه

---

(١) لم أجد هذه القصيدة في ديوان ابن سبيل (في أيٍّ من الإصدارات).

(٢) طرد الهوى: اتّباع الهوى؛ أزريت: لم أستطع.

(٣) كود: سوى.

يومْ الحَسَد وجْيوشَها ما دَرُوا بـه
واهْل العَمايمْ كِلّ هَيش زْلابـه
كن الزهر في مَقرنْ الثوبْ جَيْبه
فَصْلينْ والثالثْ شَرَعْ فِيهْ بابه
ووسْطِ سْواةَ اللوحْ للي قرُوا به
ورْدَايفٍ تْغطي مِثاني ثِيابه[1]

(١) سواة: مثل.

الشاعر: ابن سبيّل

يـا راكـبٍ مـن عِندنـا صَيعريـــاتْ

من سَــــاسْ عَيراتٍ عِـرَابٍ تْلادِ (١)

بنـاتْ حـرًّ فَحّلـوهْ الشَّـــراراتْ

بالعيـــشْ يِغْنَي له جِميعْ البَوادي(٢)

قْطـبْ الفخـوذْ ورُوكهـنْ مِسـتِقلاّتْ

خْضعْ الرقـابْ مفتّـلاتْ العَضـادي(٣)

للشـــدْ وَطْنـاتْ وللرّكْـبْ طَفقـاتْ

غْـرّ المِســامِعْ والنَّواظـرْ حْـدَادِ (٤)

مِرْباعِهـن مـا بـين عَرْجـا وأبَانـاتْ

يَرْعَن زَهَر مـــا لأق في كَـل وادي(٥)

مِقْاطنِهن كَبْشـــانْ للبدوْ مَشْـــهاتْ

لَكَـنّ مِزْنَ الصَّيـفْ بِقْـرانْ حَـــادِ(٦)

---

(١) صيعريات: نسبة إلى قبيلة الصيعر، من بدو الربع الخالي، وإبلهم مشهورة بالجودة. ساس: نسل. عيرات: إبل، ركائب. عراب: سليمة النسب. تلاد: متولدة أباً عن جد.

(٢) الشرارات: قبيلة في الشمال مشهورة أيضاً بجودة الإبل، وما ينتج من إبلهم وإبل الصيعر يجمع كل المزايا. العيش: القمح، يريد أن ذلك الفحل لنجابته لا يضرب الإبل إلا بالأجرة من القمح.

(٣) قطب الفخوذ: مملؤة الفخوذ.

(٤) للشد: شد الرحل عليها. وطنات: هادئات. طفقات: متسرعات. غر المسامع: منصوبات الآذان.

(٥) عرجا وأبانات: أسماء جبال.

(٦) كبشان: اسم مكان في عالية نجد. قران حادي: أول نجوم أنواء الشتاء، فيشبّه أمطار الصيف بأول أمطار الشتاء، فيقول: إن النبت في كبشان أيام الصيف كأنه في أول الشتاء لطراوته وتنوّعه.

مَدّن مِن رَاعي نِفيّ مِسْتلجّاتْ
يَشْدِنْ نَعامٍ جَافْلٍ مع حَمادِ(١)

والعَصرْ في دَار ابنْ عَسكرْ مْويقاتْ
خْفافْ يجفّلهن سَمّار البلادِ(٢)

لَهْ دَكّةٍ فِيها دْلالٍ مْرَاكَاةْ
ونارٍ سَناها طُولْ لَيلهْ ينادي(٣)

ومِحْماسةٍ دَايمٍ على النّارْ مِرْكاة
ونجْرٍ يجَلْجِلْ رَاسْيَاتَ العقادِ

ومْبَهّرٍ كِنّه خْضَاب الخَونْدَاتْ
يَبْراه مِخْتاره نَهارَ الجَدادِ(٤)

يَبْنَ غضَا وصُوفْ وجْلُودْ وآلاتْ
وعْيَالْ سَمْحينٍ خِفافَ التّنادِ(٥)

وساعةٍ جنّا صار بالصدر فرحاتْ
يَومه عَلينا مثلْ يومَ العَيادِ(٦)

---

(١) راعي نفي: يعني نفسه؛ لأنه من قرية نفي. مستلج: مهتم. يشدن: يشبهن.

(٢) دار ابن عسكر: يعني المجمعة عاصمة سدير. مويقات: مطلاّت. يجفّلهن: يخيفهن.

(٣) مراكاة: أي: في المركى، وهو موضع دلال القهوة من الموقد.

(٤) مبهر: هو فنجان القهوة المبهّر بالهيل والزعفران. مختار: منتقى. ليال الجداد: أي وقت جداد النخل، ويقصد به طيب التمر.

(٥) يبن: يردن. غضا: من أنواع الحطب الجيد.

(٦) جَنّا: جئن إلي: العياد: الأعياد.

وساعةٍ جنّا والنّجايرْ مْسَوّاةْ

الخَرزْ ترْزْ وراعي الصُّوف سادي (١)

والى اسْتتميـنا وهِن مِسـتتماتْ

غَرضْك كِنَكْ قاضْبِهْ بالايادي

ومَرَيت مع نجْدْ حِضْرانْ ورِعَاةْ

مِن شافني بِهْ قالْ ويـنْ انتْ غادي(٢)

ورَوّحت جَيشٍ يَمّ دارْ الاَغْوات

وكلٌ حَلَفْ لي عَنْه دِين الوِكادِ (٣)

وخليّت نِصْفَ الجَيشْ حِفْيا ورَبْذاتْ

والنَصْفْ الآخرْ جالهـنّ ارتعادِ(٤)

وعَطيت راعي التّيْلْ حِسْبةْ ريالاتْ

وطَقّه شِمالْ وشرقْ واجْنبْ وعادِ(٥)

وراعي الهوى كَذّابْ وابليسْ ما ماتْ

ودَوّرْ عَشيركْ من فِريقكْ وغادي(٦)

---

(١) مسواة : معمولة . الخرز ترز : أي أن خرازة القرب متقنة . سادي : مددها للنسيج .

(٢) وين أنت غادي : أين أنت ذاهب .

(٣) دين : يمين . الوكاد : المؤكد .

(٤) ربذات : مترديات وعاجزات .

(٥) التيل : التلغراف . طقّه : أرسله ، والطق النقر .

(٦) دوّر : ابحث عن . عشيرك : محبوبك . من فريقك : من حارتك . غادي : وراء .

وِدَوِّر عشــيركْ وانْـذِرْهْ بالحبيـــباتْ

ولاتامـنْ إنّـه يَسْـــمَعكْ لـو تنـادي

والى خِفت فْحِـطّ للرِّجْـل مْرقـــاة

مِـن خَوفْ يَدري بك خَطَاة الرِّبادي[1]

وادْخـلْ على الرّخْمـانْ والعِلْمْ ما فـاتْ

فَيحـانْ بـن قـاعـدْ حَريـبَ الرّقادِ[2]

لك شَــوفْةٍ وَحْده وللنّاسْ شـوفاتْ

ولاوادٍ سَـيلِهْ يْفيْـض بـوادي[3]

ومَشْـعوفْ قلبي قبلْ قَلْبـك وهيهاتْ

ولانـي مِثْلـك يـــارديّ الجَلادِ[4]

ولاتاخـذْ الدنـيـــا خْـرَاصْ وهَقْواتْ

يَقْطَعك مِن نَقْل الصِّميـلْ البَـــرادِ[5]

وترى جْهـادَ النّفسْ عَن كلّ مَشْـهـاةْ

جْهادهـا أكبــرْ مِـن جمِيـع الجهادِ

---

(١) مرقاة: سلم، أي عذر للتردد. الربادي: الكسول.

(٢) فيحان بن قاعد: بن زريبان من الرخمان من مطير، قُتِل في حرب الأحساء عام ١٣٢٣هـ في طراد الخيل. ابصر بحالي: أتفكر في أمري. من خلاي بخلايه: من سرّي بسرّي.

(٣) الشوفة: الرأي والتفكير، يريد أن تكون مفكراً؛ فالناس لهم أفكار، وكل واد يختص بسيله، وفوق كل ذي علم عليم.

(٤) مشعوف: مشغوف ومعذّب؛ الجلاد: التجلُّد.

(٥) خراص: التخرُّص. هقوات: ظنون. الصميل: ما ينقل به الماء من قرب وغيرها، يقول خذ نفسك بالحزم ولا تعتمد على الظنون فيقعدك برد الطقس عن التزود بالماء في سفرك.

الشاعر: ابن سعود(١)

يانديبي فـوقْ طَوعْ الـراسْ حَـايـلْ

حِـرّةٍ هـي مِنْـوةْ الطّـارشْ مْعَنّـا(٢)

الى لِفَيـتْ اللي نِزَلْ بقصـورْ حـايلْ

لـى نِشْـدَكْ حْمُـودْ رِدّ العِلْـم عَنّا(٣)

قِـلْ نِذيـرٍ مـا يَبِـي مِنْكـم جِمَـايـلْ

الهَـرَبْ ياتايهيـنَ الـرايْ عَنَّـا

قَبـلْ يَـومٍ بِـهْ يِضِـيعِـنّ الدّلايـلْ

ذا طِريـحْ وذا صِـرِيـعْ وذا يِونّـا

مِـنْ نِصَـبْكـم للامِـارهْ يالهَبَايـلْ

كَيفْ خِـدّامٍ طِمْعتـوا فـي وِطَنّـا(٤)

وانْشـدُوا كل القِبَايـل والحَمَايـلْ

كانْ مـا قَالَـوا سَـنَامْ الجُـودْ حِنّـا

---

(١) هو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله تعالى - ويقال: إن هذه القصيدة هي القصيدة الوحيدة التي قالها. وفي الجزء الرابع من (سلسلة من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية) لمنديل بن محمد بن فهيد، صفحة ١٨٩، أن القصيدة للشاعر محمد العوني.

(٢) نديبي: منتدب مني بمأمورية. حايل: الناقة التي لم تلد، وكانوا يمنعون عنها فحولها لكي تحتفظ بنشاطها. الطارش: المسافر.

(٣) حايل: مدينة حائل.

(٤) ذكر أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في كتاب (مسائل من تاريخ الجزيرة العربية)، صفحة ٢٥٧، أن آل علي أمراء حائل كانوا أمراءً لآل سعود، ثم ولى الإمام فيصل بن تركي الأمير عبد الله بن رشيد إمارة حائل، وعندما اضطربت الحال بين أبناء الإمام فيصل طمع الأمير محمد بن عبد الله بن رشيد في السلطة بحجة الإصلاح بين الإخوة.

الشاعر: ابن عسكر(١)

ابن عسكر من أهل المجمعة، وقد أرسل إلى ابن سبيل يسأله عن محبوبته، فأجابه ابن سبيّل بقصيدة (يا راكب من عندنا صيعريات)، ومنها: ادخل على الرخمان، ودوّر عشيرك من فريقك وغادي، ولا تأمن أنه يسمع نداءك. فقال هذه القصيدة رداً على ابن سبيّل:

ياهـل الركيـــب اللي لِهْـن اجْتـواشِ
لابنْ سـبيّلْ عَانْيَـــاتِ من الطّـــاشْ
ولـى رَوّحـنْ مِثْـل الطّهَـا بالنّوَاشـــي
لِهن مَعْ الـدّو والدّثَـــاوي تِجيوَاشْ(٢)
قـلْ جِيـتْ باخَبّـرْكْ مـا في بْجَاشـــي
عِـقْـب السّـعةْ ضَرْبتني دَرْبَ الابْلاشْ(٣)
اللـي تقُـولْ اِدْخـلْ عَليـــهم بْـلاشِ
هُم هيلْ من يَســقِطْ علـى غَايةْ الجاشْ

---

(١) هو الشاعر عبد العزيز بن عبد الله بن عسكر، أمير المجمعة. وفي (ديوان ابن سبيل) الذي جمعه محمد بن عبد العزيز بن سبيل الطبيعة الثانية، ص ٣٠ أن الشاعر هو فيحان بن زربيان المطيري وقد أرسل قصيدة لابن سبيل يشكو عليه فقدان حاشي فرد عليه ابن سبيل على بأبيات بالوزن والقافية نفسهما. والأبيات التي رواها محمد الصويان تتضمن بعض أبيات فيحان المطيري وأبيات ابن سبيل، مع بعض الاختلاف.

(٢) الطها: الغيم المتراكم. الدثاوي: الأرض اللينة. تجيواش: تحرك بطيء.

(٣) بجاشي: قلبي.

(ميرْ) يازيـنْ عَطْني حُبْةٍ لو نَـــواشِ

من مَبْســمك يازَينْ انا باغـي اعْتاشْ

(قال) هَيـّا هيّا مِعي وارْقدْ معي بالفْراشِ

وغْلْ ونْهِـلْ كان مِظْمِـي ومِعْطـــاشْ

(قال) وَجْدي وُجود اللي من المالْ ناشـي

ورْعٍ يتيـم ولا دري كيـف يِعْتـــاشْ

ابــوه مـاتْ ولا ورِثْ كُـود حاشـــي

وخِرْفش على الحَاشي ومِنْ عِنْده انْحَاش(١)

وخِرْفِشْ على الحاشـي وجاه الخْراشـي

واتْلـى العَلم به نار مَع حَزمْ نَشّـــاشْ(٢)

---

(١) الحاشي: ولد الناقة. انحاش: هرب.

(٢) العلم به: آخر علمي به. حزم نشاش: حزم من القماش.

الشاعر: ابن مانع

ابن مانع من أهل شقرا، ضاقت عليه الأمور في بلاده، فذهب إلى العراق، بلاد الأكراد، طلباً للرزق. وهناك اجتمع عليه الفقر والغربة، ثم وقع مريضاً، فقال هذه القصيدة الرائعة، وهي الألفية[١]، قالها على حروف الهجاء. ثم توفي بعدها:

الألف:

ألِفٍ واوَلْـفْ ما طَرَى مـن ضِـمِيـري

واعَـدِّلْ القِيفَـان قَبـلَ المسـير[٢]

مِـن عِلَّـة بأقْصَـا الحَشَـا لَـهْ نِفِيـر

مِن هَمّ بَقْعَا والدَّهَرْ شَـيَّبْ الـرَّاسْ[٣]

الباء:

والبـا، بَـلان اللهْ فـي بَـدْعَ الأمْثَـالْ

والحَـالْ منِّـي تِقِـلْ يبـراه سَـلاَلْ[٤]

لا حَـافْـظٍ دِينـي ولا حَـايـشٍ مَـالْ

ولا نَايْلَـنْ كُودْ العَنَـا هُـو والاتْعَاسْ[٥]

---

(١) الألفية هي القصيدة التي ينظمها الشاعر على حروف الهجاء الثمانية والعشرين، لكل حرف بيت أو بيتان، على أن تبدأ أول كلمة بالبيت بحرف الهجاء نفسه. وبالنسبة لهذه القصيدة، لم نذكر أبيات بعض الحروف بسبب أن الراوي (محمد الصويان) نسيها.

(٢) طرى من ضميري: ذكرت في نفسي، خوالج النفس. القيفان: جمع قافية، بمعنى الشعر.

(٣) بقعا: الدنيا.

(٤) تقل: كما، مثل. سلال: مرض السل.

(٥) حايش: كسبت، والحوش الكسب. لا نايلن كود العنا: لاينالني إلا التعب.

التاء:

الثاء:

والثـــا ، ثِبَتْ قَلْبي عَـنْ اللي جَرى لِهْ
كِـدْ قلْتْ لـهْ يـــا قَلْبْ خَـلْ الجَهالهْ
تَـرى الرَّجْـل مــا يَنْفعـهْ كُـودْ مَـالِهْ
اللـي يِعِـزِّهْ عَن حَكِـي كِــلّ تـرَّاسْ

الجيم:

والجيمْ، جِزْنـا عن جِميــعْ التَّحَاريف
وقِصَرْتْ رِجْلِي عَنْ جِمِيعِ التَّوَاقيـفْ(١)
مِـنْ سُـوقْ بَغْدادْ إلـى مَصـرْ والرِّيــفْ
ما شِـــفْت انا ليّـه صِدْيقٍ مَـعَ النَـاسْ

الحاء:

والحَا ، حَبِيـبَ الرَّجْلْ كِيسِـــهْ ويِمْنَاهْ
اللي إلى ضَاعَتْ مِشَـــاحِيهْ يَلْقاهْ(٢)
والعَفُـو ماكْثَـر عَزوتـه مَـعْ دَنَايـــاهْ
لَو هُو غَرِيبَ الدَّارْ مـــا حَولُهْ اونَاسْ(٣)

---

(١) جزنا : تبنا وامتنعنا . التحاريف : الانحراف عن السلوك السوي . التواقيف : ما ينبغي التوقف عنه .
(٢) مشاحيه : الشماحي هي الضيق والشدة ، يقصد أن المال يخدم صاحبه وقت الضيق والشدة .
(٣) والعفو ما كثر عزوته مع دناياه : أطلب منكم العفو في ترضيح أن من بيده مال له أصحاب كثيرون وعزوة ، إضافة إلى أقاربه .

الخاء:

والخـــا، تَخَبّث وَقْتِنا والدَّهَرْ مَـالْ

رَاحَـتْ عَلى الفُرْسَـانْ مَاضِينَ الأفْعَالْ

ما بَاقــي إلا جيـل خَبْثـينَ الأعْمَــالْ

ورَاحَت على الفُرْسَـانْ والحُكُمْ والبَاسْ

الدال:

والـدا، دَوَى بَالقلبْ تِسْــعينْ رَمَّاحْ

مَعْ مِثْلِهِنْ تِسْــعِينْ تفَّاقْ وسلاحْ(١)

واسَـــدِّيْ اللـي كِلْ مـا قِلْتْ يِنْبَـاحْ

العَفُـوْ كِنْ بْثومة القلـبْ حَمَّـــاسْ(٢)

الذال:

والـذا، ذَلّلِنـي زِمَانـي وذَلّيَــــتْ

واللي بْرَاســــي صـارْ بالرِّجِلْ فَرَّيتْ

وابْكِي على رَبْعي وبَاقِيــه كَنْـيَـتْ

واداري المَنْقُود عن هَـرْجْ الانْجَــاسْ(٣)

---

(١) تفاق: نوع من البنادق.

(٢) سدِّي: سرِّي.

(٣) كنيت: أخفيت. واداري المنقود عن هرج الانجاس: أستر من أعمالي كل ما يمكن أن يتكلم به وينتقدني فيه الأشخاص الذين يتصيدون الأخطاء.

الراء:

والـرّا، رِمَــانَ اللهْ بْبــــلادَ الاكْـرادْ
وانـا ونَومي طُولَ الأيـــــامْ بِجْهَــادْ
لا واهَنِــيَ مِنْ قَبِـلْ مَطْـويْ الأَلْحَـــادْ
مِنْ هُوْ رِكَبْ حَمْرَا من الهِجِنْ هِرْمَاسْ (١)

الزاء:

والـزّا، زَوَال الـرُّوحْ بَالِـكْ تَبــاطَاهْ
العبـدْ رزقـه فـي تِدَابِيــــــر مَـولاهْ
يَقْطَعـكْ يالدُّنْيـــا تَـرَاهـا مْخَـلاّه
كَمْ فَــرَّقـتْ حَيٍ وهُم قَبْـــــل جلاّسْ

السين:

والسينْ، سَـــــارْ الحِبِرْ في كَفَ كَتَّابْ
غَرَايْـبِ مـا قَالِهـنّ كِلْ عَجَّـــابْ
أنْظَـفْ مِنْ النيـراتْ في كَفْ حَسَّـابْ
قَـولٍ لابـنْ مانـعْ مْوَازِيــه الإِفْـلاسْ

---

(١) هرماس: أصله ابن النمر، والمقصود ناقة سريعة المشي.

الشين:

والشينْ، انا شَــــفّي بْشُوفةْ هَلٍ لِيْ
رْفَاقِتي يَومَ اللقَــــا ما تِذِلّ
كَمْ واحْدٍ منْهمْ صَوابهْ يِشِــــلّ
اولادْ زَيــدْ مِرْوِيَة كِلّ عَبَّــاسْ[١]

الصاد:

والصـــا، صَبّ الدَّمْعْ من نَاظِرَ العَيْنْ
على رْبُوعٍ باللقَــــا تَطْلبْ الدَّيْنْ[٢]
رَبْعي عَلى حَرْبْ المْعَادي ضِرِيريــن
اخْتص ابويه كَان الأرْيَــــاقْ يَبّاسْ[٣]

الضاد:

والضــا، ضَاعْ الصّدقْ ما نِيــبْ لاقيهْ
وهذا زَمـانْ البْطْل بانَــتْ مَوارِيـــهْ[٤]
وَيْن الذي يَحْكُمْ على الحَـقْ يِعْطِيـــهْ
ياكُـودْ بالبرْطِيلْ مع فَتْـحَ الأكْيـاسْ[٥]

---

(١) عباس: اسم من أسماء السيف.
(٢) الدين: الثأر.
(٣) اختص أبويه: أخص بالمدح أبي. ضريرين: يضرون أعداءهم.
(٤) مواريه: علاماته، أماراته.
(٥) البرطيل: الرشوة، البخشيش. فتح الأكياس: بذل المال.

الطاء:

والطا، طَويْنا اليَاسْ من شَوفَ الأحْبابْ

وانـا غَرِيـبَ الـدَّارْ بِبْـلادَ الأجْنَـابْ

واطْلُـبْ وِلِيَّ العَـرشْ فَتَّـاحَ الأبوابْ

يَفْـرِجْ لِمَـنْ كِنَّهْ علـى البـابْ حَبَّـاسْ

الظاء:

العين:

والعينْ، عَـيْني نَثَّرتْ بَـرْدْ مَـاها

تِسْـعينْ لَيلِـهْ نومَهـا مـا هَناهـا

مـن الهندْ إلـى المسـكوبْ أدوِّرْ دْوَاها

واوجِـسْ بْقَلبي مِثِـلْ دَقَّاقَ الأجْرَاسْ(١)

الغين:

والغـين، غَيْبْنا الجَهَلْ وأقْبَلَ الشَّـيْبْ

رهـذا زَمَانْ شِـفْتْ فِيـهْ التَّعَاجِيـبْ

عْيَـال الحَمَايِـلْ ناطْحِـينْ المَوَاجيـبْ

يَحْكُمْ بْـهمْ وِلْدَ الرَّدي تِقِلْ قَـوَّاسْ(٢)

---

(١) أدور: أبحث عن. أوجس: أحس.

(٢) المواجيب: واجبات الرجال، اللوازم، مفردها الموجب: ما يلزم.

الفاء:

والفـا ، اِفْتَكْـرَتْ البَـــارْحِه في مَنامي

والاي في حَدْ البْـــحُورْ الظَّلاَمِ

يِفْـوُعْ مِنّـي كالجَـرَادَ التْـــهَـامـي

مَـرَاكْـبٍ تَســـبح وذُولِيك غطَّاسْ

القاف:

الكاف:

والكـــافْ ، كَفَّـنْ الهَوَاجِـس عَنّـي

مِـنْ قَبْـلْ وانــا ابْـدع علـى كِلْ فَـنّ

واخَانَـتَ الدِّنْيَــا ، غْبُونَـهْ كَوَنّـي

مِنْ كِثْـرْ لَوعَـاتَـهْ رْمَـتْ كِلْ الأضْرَاسْ

اللام:

والـلام، لَيّمنـا رْكَـــابٍ خْـرَارا

تِســـعينْ بَكْـرهْ مَاشْـيَـاتٍ جْهَارا[1]

اسْـبَقْ مـن اللي صْـف بالرِّيـشْ طـارا

مِثْــلَ الجَرَادَ اللي تْقَفَّـاه نِســـناسْ[2]

---

(١) البكره : الناقة الصغيرة .

(٢) نسناس: الهواء البارد .

الميم:

والميـــم، مَـدْنْ الرّكَـايِـبْ يِـدُورِنْ

يَمْ البَحَـرْ صَــوبْ الجزَايِـرْ يِـدُورِنَ

دارِ عَرَبُسْـــتـانْ للغـرْبْ وَخطـنْ

ولِقَيتْ حَظّي بأسْــــفلَ الجِنْ غَطّاسْ(١)

النـون:

اليـاء:

واليــاء، يمَامـي سَـــيّدَ الكايْنَـــاتِ

طَـهَ رَســـولَ اللّهْ عليـه الصـلاةِ

نَبِيّنـا شِــفيعِنا بالمَمَـــاتِ

قولُـهْ وقـولَ اللّهْ لِقَيـــتُـهْ بْقِرْطـاسْ

---

(١) دار عربستان: ديار العرب، والمقصود توجُّه هذه الإبل في اتجاهات مختلفة بسبب أنها ضلت الطريق، وهذه إشارة من الشاعر إلى سوء حظه في كل النواحي.

الشاعر: ابن هذيل[١]

ذهب الشاعر إلى الشيخ محمد بن رشيد، أمير شمّر، فمدحه بقصيدة، وطلب منه بعض الأمور، فأكرمه ابن رشيد، ولبّى جميع مطالبيه. ثم توجه الشاعر إلى الشيخ ابن هذّال، شيخ قبيلة عنزة، ومدحه بقصيدة، وعاد بعدها إلى نجد، ومر في طريقه بالشطير وهو من شيوخ حرب، فمدحه بقصيدة، وفي نهاية القصيدة مدح أهل زوجته، وهم الربيعان من عتيبة. وكانت زوجة الشطير، تستمع إلى القصيدة. فقال له الشطير: (إذهب إلى العقّر[٢]، واختر منها ناقة)، فقالت زوجة الشطير: (الناقة لو جت خيول بني صخر ما فكتها من ولايفها، ولكن خذ ثنتين، ولعلّك تقواهن)، فقال الشطير: (لأنه مدح أهلك، تريدين مجازاته؟!)، فقالت: (أجل أنت يجوز لك الكلام الزين، وأنا ما يجوز لي!).

قصيدته في محمد ابن رشيد:

يالضيغمي جِيتكْ من الناس مختار

يا مْوُدعٍ روسٍ قواسي تلينا[٣]

شيخْ الشيوخ وإن كان عَمْيَن الأبصار

ضاقت على رَبْعه وقالوا بِلينا

---

(١) أشار منديل آل فهيد في الجزء الرابع من (سلسلة من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية)، صفحة ٢٢٥، إلى أن اسم الشاعر هو مبارك البدري الأطرش، من ضواحي الرس. وحسب ما أشار إليه محمد بن سليمان الصويان أن الشاعر من قرية صبيح، إحدى قرى الرس.

(٢) العقّر: النياق التي تمنع من التزاوج حفاظاً على قوّتها.

(٣) ينسب ابن رشيد إلى قبيلة الضياغم.

شيخٍ تظهّر للعساكر بتدبار

ولا ظَهر مثلك على الضفتينا

للضدّ مثلْ الحضفْ في مُوحشِ الغار

وللي يودَ الطَفْ من امّ الجِنينا[١]

لعلَ عودٍ عقّبكْ ما يجي النار

عساه بالجنَة مع المومنينا

عقّب غلامٍ كنّه الحر ، وان طار

صقرٍ الى اومى يِفْرح القانصينا

تلقى مِداسك فيه حافرْ وقبّار

ومن غبّ كونك كلّ قلبٍ حزينا[٢]

مير ابي ذلولٍ سابقٍ يا حجا الجار

قل جكَ ، هي وإيّا الكلايف وشينا[٣]

وخطرٍ توافَقْ مثل مرجات الأبحار

ونفرّح اللي قفونا محترينا[٤]

---

(١) الحضف : الأفعى الكبيرة .

(٢) الحافر : الذي يحفر القبور . قبّار : الذي يقبر القتلى . غب كونك : بعد المعركة ، يشير إلى شجاعة ابن رشيد ، وأنه يقتل الكثير من الأعداء في المعارك .

(٣) حجا الجار : يلجأ إليه الجار فيأمن . جك : أتتك . الكلايف : ما تجهّز به الناقة . شينا : أشياء أخرى غير الأشياء الأساسية التي تجهّز بها الناقة ، مثل الزاد والمؤونة .

(٤) خطر توافق : في حالة موافقتك فأنت في كرمك مثل البحر . وتفرّح اللي مقفنا محترينا : أي : سوف يفرح أهلي الذي تركتهم في انتظاري مما تعطيه لي .

قصيدته في ابن هذّال:

عدّيت انــا راس حمــرا رِجْمهـا عالـي
وانـا مْرِيــح الخواطر قَبْـل اوايقها[١]

ولّفـت في راســها مــن زَيـن الأمثـال
واعـدّل أبيــاتْ قيـلٍ لـين اوافقها

يـا راكـبٍ فـوق حمـرا تَقْطـع الـلال
وْسِــيعة الزّورْ عن حِــرْوةْ مرافقها[٢]

عامـين تَرعى الحيـا بدعوثْ ما ســال
ترعـى قــرارٍ زَهـى لـه فـي مدافقـها

عنيـت من نجـدْ يمّـك يابــنْ هذّال
ولـي حاجـةٍ وارجـو إن الله يوفقــها

الدَّيـن يـا رِيــف الأنطا مـوزيٍ حالـي
غَديـك من باقـي الضــيقـات تعتقها

ابـو عقيـلٍ عِـدْاه فِـدْاه مـا حالــي
وشـيوخْ ضــدّه قْطَعهـا مـن مرازقهـا

وابـو عقيــلٍ عـداه فـداه مـا حالـي
ســتر العذارى إلى طارت بخانقها[٣]

(١) عديت : ارتقيت . رجمها : الرجم كوم من الحجارة يوضع كعلامة .
(٢) اللال : الصحراء .
(٣) البخنق : غطاء الرأس .

الـى اومى على الخيل جنكَ صمع جفّال

مثل الفهد للجميله يوم يصـــفقها[١]

قصيدته في الشطير:

لى صَـاحْ صيّـاح الضحى والدبش زيح

وطقّوا بقاسـي . وِسـهن كل مصراع[٢]

وإلـى الشــطير معـوّدٍ هبّـة الريـح

إلى ثار من صم الرمك قاسـي القـاع[٣]

ضيّـق عليهـن الســهال الصحاصيح

كنّـــه يضربهن على بعض الأريـــاع

ركّاز مهتـش الغلـب بالنحانيـــح

لا جنّهـم وارقابهـن مثـــل الانبـــاع

(١) يصف ابن هذال بالشجاعة، حتى إن الخيل تخاف من صوته فتقف لتلبي نداءه، وأنه يطارد أعداءه في المعارك مثل الفهد عند مطارته للظبا.

(٢) يصف شجاعة الشطير عند هجوم الأعداء ومحاولتهم نهب الإبل. مصراع: العنان، ويقصد الخيل.

(٣) الرمك: أنثى الخيل.

الشاعر: ابن هذيل

كانت قرية صبيح غزيرة المياه، فحفر ابن هذيل قليباً في أعلى القرية، طمعاً في الماء الغزير الحلو، ولكن وجد طبقة صخرية فلم يستطع إكمال الحفر، فنصحه بعض الناس بأن يحفر قليباً أخرى في أسفل القرية، ولما حفر في المكان الجديد، فوجئ بنفس الطبقة الصخرية، فقال:

بدعت بجوٍ به ثمانين عيلم
وصار الصفا لي مسهم ونصيب(١)
وقالوا تحدّر عن قراح بدعنا
لقيت ضلع ما لقيت قليب(٢)

---

(١) عيلم: بئر ماء.
(٢) قراح: حلو.

الشاعر: أبو رشيد[١]

عدّيـت بالمرقـاب يَـوم انّـي اضْـحَيت

وهَيّضْ على القلبْ المْشَـــقّى فنُونه[٢]

وانـا بقَصْر جَويّ ما شِـــفْت ولاريت

الا بِحَلْـمْ الليـلْ دَاعِـجْ عْيُونــــه[٣]

يـا مَرحبــا باللـي لِفَـا مـا تَحرّيــتْ

وَصْـلـه بَضْلع طْوَيقْ قِـدْ حِيْل دُونِهْ[٤]

يامَرحبـاً بـه عِـدْ مـا زَارَوا البَيـــتْ

او عِـدّ ما يُومـي الهَوا فـي غْصُـونِهْ[٥]

عَلـيّ نَـذْرٍ كانْ أنـا بـه تِمْخَليـــتْ

لاطْـوي علـى كَفّـي مِثـانـي قْرُونِـهْ

ياراكـبٍ مـن فـوقْ مايِنْتِـبْ البيـــتْ

لـولا الرّسَـنْ بـه كانْ مـا يَقهرونِـهْ

فْوقـه نِديبـي فاهـمٍ يْـوم وَصّيـــتْ

بالنّـوم مـا واللّه تَهنّـى عْيونِـــــهْ

---

(١) لم أعرف اسم الشاعر.

(٢) المرقاب: المرتفع الذي يرقب عليه.

(٣) جوي: اسم موقع قريب من مدينة الرياض.

(٤) لفا: وصل.

(٥) يومي: يهز.

سَـلِّم علـى كِلّ الجْمَاعهْ إلـى الْفيــتْ

اللـي الـى جَـا طَـارشٍ يِفْرحــونِــهْ

وإن سَـايلوا عَنَـي فانا اليومْ سَـجّيتْ

مَـع رَبْعِـةٍ جَمْـع العْـدَا يَكْســرونِهْ[١]

لـولا محمّـدْ فـي جَنَـابِـهْ تَلاجَيـتْ

اللـي مِشَـاكيلْ العَـرَبْ يَنْحَرونِـهْ[٢]

ياصَـخَيّـفَ الأقْـدامْ ياليـتْ ياليـتْ

تِجْلَـبْ بِسُـوقَ البَيـع وأنـا زْبُونِـهْ

---

(١) سجيت: سلوت، نسيت، ابتعدت.

(٢) محمد: المقصود الأمير محمد بن رشيد. تلاجيت: لجأت إليه. مشاكيل: أقوياء، شجعان، كرام.

الشاعر: سرور الأطرش[١]

حصل خلاف بين والد سرور الأطرش وزوجته، ولم يكن سرور حاضراً؛ حيث كان ذاهباً للقنص. ويبدو أن والده خاصم الزوجة أو ضربها، فتركت البيت وذهبت إلى أهلها. وعندما عاد سرور سأل عن زوجته، فحاول بعض أهله إخفاء الأمر، ثم صارحوه أن أباه أغضب زوجته، فتركت البيت وذهبت إلى أهلها. فارتقى رأس حزم يقال له: (الأسمر) بين الدليمية وقصر سرور، وقال هذه الأبيات:

أَمَسْ الضَّحَى عَدّيتْ في راسَ الاسْمَرْ
وقَعَدت بِهْ لما غَشَاني الظَّلامِ

وقَعدتْ في راسِهْ وقِمْت اتعَبَر
وأهِلْ دَمعٍ بالخَفَا لَيْن بانِ

ذكَرْ عَليّ اللي كِمَا الظَبي الاعفَرْ
عِفْريَةٍ تَرْعى بْجِلّ الادَام[٢]

وتَرْعى بياح الارض وتجَنّب الغرّ
وتَقْطف نواوير اليَهَق والخْزَام[٣]

يا مرحبا تَرْحيبةٍ ما تِكَدَّر
ومْكَثَّرٍ فيها رْدُودْ السَّلام

---

(١) سرور بن عودة الأطرش، من منطقة الرس، ولد حوالي عام ١٢٠٠هـ، وتوفي حوالي عام ١٢٨٥هـ.

(٢) الأعفر: الأبيض مع سمرة. عفرية: ظبية. ترعى بجل الادامي: تقود بقية الظبا الأقل بياضاً.

(٣) بياح الأرض: المناطق الواضحة، تجُنّب الغر: تتجنب المناطق التي قد تغر وتخدع.

بِكْ يـا عَـفَـرْ يا لابِـسَ الثوبْ الاحْمَرْ

بِـك يـا قِمَر سَـبْتين عِقْـبْ العَسَـــام

يـــا فَـاتِـحٍ بابَ الضَّميـرْ المْعَسْــكَرْ

ومْعَسْكَرٍ ذالــه ثَـلاثَـــة عـــــوام

وصافـي ثِـمَـانِـــهْ مِثْل شَبٍّ يِكَـسَّرْ

ومْبَـيــســم مـا ردّعـه بالوْشَـــام[1]

ولَـعـلّ مِـــن كَـــدَّرْ عَليـهْ يِـتِـكَـدَّرْ

عامِيــنٍ اقشــــر ومـا يـذوق الطعـام

كَــدّرْ عليهْ مِنْ المَلا وَجْـــهٍ اقْـشَــرْ

قِـــلْ ويشْ حَدّكْ يـا لِعِين الرّسَـــام[2]

---

(1) الثمان: الثنايا، مقدم الأسنان.

(2) كدَّر: نغَّص عيشه، الرسام: الأصل.

الشاعر: سرور الأطرش

كانت صيتة . . . [1] فتاة جميلة جداً، فرغب الشاعر سرور الأطرش، راعي الدليمية، في رؤيتها. وفي أحد الأيام صلى في مسجد الحي الذي يسكن فيه أهلها، ولما رآه والدها، دعاه لزيارته، فقبل سرور الدعوة. ولما وصلا البيت، قال أبوها: والله إن صيتة تسأل عنك، لماذا لا تسلِّم عليها حتى أجهز القهوة؟ فقبل سرور ذلك، قائلاً: ما يخالف. توجه الرجلان إلى قسم النساء في بيت . . . .، والذي كان بيتاً كبيراً عامراً بكثرة النساء والجواري. طرق الأب الباب، فأتت إحدى الجواري لترى من الطارق، فطلب منها الأب أن تنادي صيتة؛ حيث إن رجلاً يرغب في السلام عليها. أتت صيتة لترى من الشخص الذي يريد مقابلتها، فرأت رجلاً أسمر كهلاً، غزا الشيب رأسه. قالت: من هو الذي يريد السلام عليَّ؟ قال: خادمك سرور الأطرش (فهي بنت سيد من سادات القصيم)، قالت: ياليتني اسمع بك ولم أرك، أنا أسمع بسرور الشاعر، صاحب القصائد الجميلة، وكنت أظنك شاباً مليحاً، فإذا أنت رجل كهل، غزا الشيب رأسك، فقال هذه الأبيات:

يازَيـنْ شِـفْني لا تْوَصِّـي وِصَـايَـا
مـا دامْ عِنْـدك حاضــرٍ قِلْ وانـا اقُولْ
عَذْربـتْ شَـيبي يـا جِميـل الحَلايـا
ياطُـول مـا يبداك مَـعْ كِلّ مَجْـدُولْ[2]

---

(١) اسم الأب والعائلة موجود لديَّ، ولكني آثرت عدم ذكره تجنباً للإحراج.

(٢) عذربت: انتقدت، أظهرت المثالب.

يَبـدا بْشِـقْرٍ مِثْـل عِصْـمَ الرَّوايــا

عَليــه مِن نَظْـم اليَــدَقْ دل ودلُـولْ

وفي نهاية اليوم، طلب سرور الأطرش السماح له بالمغادرة، فأذن له صاحب البيت، وقال له: خذ كيس القمح هذا، هدية لأولادك، فقالت صيتة: إنه لن يقسم هذا الكيس إلى قسمين ليوازن الحمل على دابته، ولكن ليأخذ أيضاً كمية من التمر، لتعادل القمح.

الشاعر: شمهليل(١)

كيَف لنا ياهـيـبـةَ الرَّبـعْ فِنـجالْ

واهْجرْ لـه الزَّلـهْ بـنَـزْه المَعاميـلْ(٢)

وخَلّـهْ على الفِنْجـالْ وَصْفه إلى سَـالْ

وِرْسٍ خَـمَـرْ مـع ناسعاتْ المجاديـلْ

يـا حِلُـو شِـرْبهْ عقْـبْ هَرْجـهْ وتِعلالْ

إلـى قـلّ وأخْلـوكْ الدّحُـوشْ الدَّعابيـلْ

ومْصَـفُرٍ عنـه الـدَّخَـنْ يـومْ يِـنْجَالْ

كِنّـهْ مـن الحَـرِّي عَـذيّ الـزّهـاليـلْ

لعْيـونْ مِـنْ يَزْهَـى المِشَـانِيفْ وهْلالْ

ورْدوفْ عَنها الثوب غادي شِمَاشيلْ(٣)

لْـه لَبّـةٍ مِثْـلَ القـمَـرْ يَـومْ يِنْجَالْ

وضْـواحكٍ تِـشْـبِهْ لِميعَ القَناديـلْ(٤)

مِن يـومْ شَـدّ صْخَيّـفَ الوَسْـطْ رَحّـالْ

مْتذكـرٍ داجـيَ الغـروسْ المِظاليـلْ

يبـي ظِـلالَ الغِـينْ عَـن وَاهِـجَ الّـلال

ذكّـرْ عَليـه القيـظْ بَـرْدَ الشّهاليلْ(٥)

---

(١) في (فهرست الشعر النبطي)، للدكتور سعد العبد الله الصويان، أن الشاعر هو مبارك البدري الأطرش الرشيدي.

(٢) المعاميل: أدوات صنع القهوة.

(٣) المشانيف: نوع من الحليّ، وهو عبارة عن حلقة تعلّق في سلسلة بين الأنف والأذن.

(٤) لبّة: صدر، ينجال: ينجلي.

(٥) الغين: الشجر والنخيل.

الشاعر: عايد الرشيدي

يـا حمودْ خِلّـك نـاعمْ العُـودْ مَـاجـودْ
وقْرَّيـبِ تِبـدي عَليه الشَّـكِيَـهْ(١)
وإلى بَغيـت مْوَاجْهِـه مانَـتْ مَـرْدُودْ
لا يتْهِمُونِـك بالـعْلـومْ الـرْديَّـهْ
مَيـرْ البَـلا اللـي دُونْهم تَتعبْ القُودْ
أيضـا لا ياصْـلْـه خَطْـو المِطْيَـه(٢)
دونِـهْ مَرَاقيـبٍ زِمَتْ رُوسَـها سُـودْ
ورَهْـرَاه خَـزْ وسِـهْلةٍ جَرْهَديـهْ
ومِـنْ العَنا مَع بِعْدهُـم شَـارةٍ زَودْ
لَـو جِيتُـهم ما لي عَليهـم دِعِيَـه
يابـو محمَـدْ يـا حَجَـا كِلْ مَضْهـودْ
يـا مِظْهـرِ المَضْيُـومْ فـي كِلّ هَيِّـه(٣)
لـو يِيتِفـي لـي كان مـا عَـنْ مَنْشُـودْ
وشْ أنـتْ شـايفْ يـا زْبُـونَ الونِيَّـه(٤)
هيا نْسَـيْـرْ يَمْ اهَلْ زَيدْ بِجْـرُودْ
نِـجِيـهْ لَـو رَزَّوا عَلينـا الجِنِيِّـه

---

(١) حمود: هو حمود الوابلي من أهل البدائع، كان يحب فتاة من المنطقة، ولا حظ ذلك عايد الرشيدي، فقال هذه القصيدة.

(٢) القود: الإبل.

(٣) أبو محمد: هو سليمان بن محمد السلطان الغنيمي، أمير الخبراء تلك الأيام، وكان رجلاً شهماً نبيلاً صاحب مروؤة ونخوة.

(٤) زبون: ملجأ؛ الونيه: الضعيف.

الشاعر: عايد الرشيدي

كان عايد الرشيدي يتعلَّل مع بعض البنات، لتبادل الشعر والقصص، ولكنهن بعد فترة مللن منه. وفي أحد الأيام، عندما زارهن كالمعتاد، قالت له إحداهن: ماذا تريد؟ فقال: (ماالخبر؟ ما الأمر؟ . . . نستانس قليلاً كالمعتاد). وكان يظن أنهن يداعبنه، فحاول دفع الباب للدخول، فأخذت إحداهن عصاً بالقرب منها وأرادت تخويفه، وقمن بإقفال الباب في وجهه، فقال عايد:

البـارحـة خـلّـي تـروَزْ عَـمُـودِهْ
صَكَّـوه صَكَّـة بـعَـةٍ لَهْ بمْعمـالْ
قِلْت القَـدَرْ يـا الرَّبـعْ مانـي طْرُودِهْ
وِشْ الخبـرْ مـن قَبـلْ يَمْضِنْ الافْعَـالْ
قـالتْ تـنـزَحْ بـقْـعنـا لا تْـرُودِهْ
تَرى لـي ابطت هَرْجتك تَلْهد البـالْ[1]
يـالله دِخِيـلكْ صِرْتْ أنا تِقِلْ شُـودِهْ
مـا احْتَقْ هـذا مِنْك يـا طَيّـبَ الفالْ
حِتـى رِفيـقي صَايرٍ فـيـه زَودِهْ
وهـو مْـنَ اوَّلْ صَافـي مـا لـهْ أمْثـالْ
يـقـولْ يَـسْـحَرْ بَابنـا مِنْ يْـعُـودِهْ
والله مـا نـسـاه لوكـلْ شِ قـالْ

---

(١) تروده: تزوره.

(مَيرْ) تَرى الفتى تَبْـــعْ المْقَفّي يْكُودِه

لـى صارْ لـه مَيْــز مـن العَقـلْ رَجّـالْ

وإن كـــانْ هو دْحْشٍ ولا فيــه زَودِه

تراه مايزْرى علـى النَفْسْ لـــو عالْ(١)

مَيْــر حْبِّــه بقلبــي كامْيَـــاتٍ لْهُــودِهْ

أنت ورفيـقـك لو تَـهزّون بالحـــالْ

ياللي كمـا عِـصْـم الـرّوايـا جْعُـودِهْ

سُـمْـرٍ تَـنـثَرْ والنَّهد تِـقِل فِـنجَالْ

والخَـــدْ بَـرَّاقٍ سَـرَى في رْعُودِهْ

والعَيــنْ شَاهينٍ على نَـايـفْ الجَـــالْ

عنـــدي وكـلٍّ مُـولَـعٍ في جْنُـودِه

مـا شَـــاقْ لي غَيـرُهْ وهو عَنّ ما سـالْ

---

(١) دحش : كبير الجسم بلا قلب .

الشاعر: عايد الرشيدي

زار شخص من الهلالية، يلقب بعويذا، خاله صالح في مزرعته (المطيرية) في البدائع. وفي المساء أخذ عويذا ديكاً وذبحه ولفَّه ووضعه تحت عباءته، وذهب مع خاله لزيارة محمد بن سليمان الوهيبي. ولما دخلوا قهوة الوهيبي، قال عويذا للوهيبي: (والله يا عم لن نخجل منك... نريد نتعشى معك)، وأعطاه الديك المذبوح. ذهب الوهيبي إلى زوجته، موضي بنت صالح القرناس[1]، وسألها إن كان عندهم ما يقدمونه للضيوف، فأخبرته أن لديهم قليلاً من الرز، كانت تدخره للضيوف، فطلبه منها؛ لأنه كان رجلاً كريماً، وكان يعلم أن الديك الذي أحضره عويذا لا يكفي للعشاء؛ حيث إن عويذا كان رجلاً أكولاً.

أخذ محمد الوهيبي الرز، وأخذ ديكاً سميناً من عنده. وكان في ذلك اليوم قد ذهب للبر يرعى إبله فصاد ضباً، وأعطى الضب لابنه الصغير عبد الرحمن (دحيم) ليلعب فيه. وكان دحيم قد خلد للنوم عندما زارهم عويذا وخاله، وقد خبأ ضبه تحت قِدْر من القدور حتى لا يهرب الضب.

أخذ محمد الوهيبي ضب دحيم، والديك، والرز، والديك الذي أتى به عويذا معه... أخذ الجميع إلى القهوة حيث عويذا وخاله، وأشعل النار، وبدأ طبخها.

كان عايد الرشيدي عاملاً عند محمد الوهيبي، ويسكن في مزرعة الوهيبي. وحيث إنه رجل يحب السمر والأنس وتبادل الحديث، فقد كان يأمل أن ينادوه ليشاركهم السمر. ولكنهم لم ينادوه. أتى عدَّة مرَّات إلى باب القهوة، ولكرامته

(١) وجدت في بعض الوثائق القديمة أن اسم زوجة محمد الوهيبي هو مضاوي بنت الشيخ صالح القرناس، وأمها هي نورة بنت محمد الخليفة.

وعزة نفسه، لم يشأ الدخول بدون أن يقوموا بدعوته . . . ويبدو أنهم لم يلاحظوا ذلك. ولما رأى عايد أن طعام العشاء قد نضج، وأنهم استعدوا لتناوله، ذهب إلى بيته للنوم، ولم يدخل عليهم.

عندما انتهى الرجال من الأكل، أخذ الوهيبي ما بقي من الطعام إلى أهل بيته ليأكلوه. وفي الواقع لم يكن بقي شيء من الطعام يذكر، فقالت زوجة الوهيبي (موضي بنت صالح القرناس): (أعوذ بالله . . . مسعبلٍ عليهن عويذا وتبينا ناكلهن!)، ثم رمت ببقايا العظام خارج البيت.

وقد سجَّل عايد الرشيدي هذه القصة الطريفة بأبيات شعرية، فقال:

البارِحهْ جانا عويذا وخَالُهْ
مِسْتَدَخِلٍ دِيكهْ ولا فيه تَشكيكْ
وهَلاًّ ورَحَّب عَمِّنَا مِن جَلالُهْ
ومن الكرامهْ حَطْ دِيكٍ على ديكْ
ورزٌ على حنجرّته له خْفَالْه
وضبٌ من المِجْناب زَودٍ على الديك
وانا أتوحى مَير مابي جهاله
لو كالموني كان عندي بَعَد ديك
رالى عويذا ماضياتٍ فعاله
دبٌ لكَ الله يضهد الدّهكْ ويحيك

دجاجنـــا يتـــمــتْ وعَدْمــت رجـالـه

والصبــح ينعـــن فاقداتٍ هــاك الديك

ودحيــم عِقْــب الضــب وشٍ جــرى لـه

مـــا بـــيده الا صــفــقـةٍ قال يبيّــك

مير عاشـــــت يمينَه عمتي به شـكاله

مـــا دكّ في بالــه كثيـر الدواكيك[1]

شَــامَتْ عن الفَضْلهْ ولاهِيــبْ بـــالَــهْ

تقُول هاذولي يِجُــوزنْ مَحَــاكيــكْ[2]

(١) شكاله: أنفة وعزة.

(٢) شامت: ترفّعت. ولا هيب باله: لاتهتم لها.

الشاعر: الوضيحي(١)

كان الوضيحي يجر الربابة في العراق(٢)، فقال:

يـاليـتـنـي نَـدَافْ قِطْنٍ وابيــــعـه
مِتْحَضْـرِي ما افُـوتْ أنا سُــوقْ رَاوا
وأشـوفْ غِـزْلانٍ يَـاردنْ الشَّـــرِيعه
تَسْحَب ثـيــابَ البِزْرِقَــان الغَنَـاوى
بنـتْ الفهيـدْي مَـالْ قلبـي رِبِـيــعه
عَليّـه صناديق الضَّـمَايــر تَـهاوى
اسـوقْ بَـه تِسْـعين قَبَـا طِلِيـعــه
تسـعينْ من مالْ البْعَـيجي الغَنـاوى(٣)

---

(١) هو الشاعر بصري الوضيحي، من قبيلة شمَّر.

(٢) يقال: إن الوضيحي كان في بيت الشيخ صفوق الجربا، أحد شيوخ قبيلة شمَّر، ولم يكن صفوق موجوداً، وكانت البندري ابنة الشيخ مطلق الجربا زوجة صفوق موجودة في البيت، فأخذ الوضيحي ربابته يغني ليدخل السرور في نفس الأميرة. وكان في البيت أسير من قبيلة عنزة، وقد كُبِّل بالحديد، فلما سمع شعر الوضيحي طلب منه الربابة، فأعطاها له، وطلب منه مساعدته في الجلوس، فأجلسه، فأمسك الأسير الربابة، وقال: (تسعين... إلخ). ولما أنهى العنزي قصيدته، خرجت البندري من خدرها، وفكت قيده، وأمرت له بكسوة، وأمرته بالجلوس حتى يعود الشيخ صفوق. ولما عاد الشيخ صفوق، وجد الأسير متسنداً في وسط المجلس، فسأل عن خبره، فأخبرته البندري بما قال، فأمر له الأمير براحلة، وأطلق سراحه.

(٣) القبا: الفرس.

فرد عليه شاعر آخر، يلقب بداهن قناته:

تسعينْ طقعه للوضيحي نفيعهْ

مَعْ مِثلهنّ واحْدرْ بِهن سُوق رَاوا

ربعٍ يتاجرْ به، وربعٍ يبيعِهْ

وربعٍ فْرَاشٍ له، وربعٍ غطاوا

مدّاحْ بنتْ مْكَبّرين الوِشيعهْ

خِطّار اهْلَها بالاشاتي مِقَاوى[1]

ما قالها بالبنْدري يالرفيعِهْ

بنت الذي ذَبّاحْ كُومٍ عَدَاوى

مِن طَلْعتِهْ ضَاقَت عَلينا الوِسيعهْ

وطْعُونُهمْ بشْيوخِناماتِشَاوى

---

(١) خطّار: ضيوف، ويقصد أن أهلها لا يقومون بحق الضيف.

الشاعر: الوضيحي

يـا مـن يعاونّـي علـى وَصْـف كنّـه

اشْـقَحْ شِـقَاخْ ولاهـقٍ بالبَيَـاض

ونْهودْ لَلشْـوبْ الحَـمَـر شْـولَعنّـه

حمْـرٍ ثمْرهـا غِطْسـن بالبَيَـاض

دَنَـوا لهـا مـن زَمْـل ابوهـا مِظنّـة

اشْـقَحْ يدَانـي خِطْوتـه يـومْ نـاض(١)

يـا شْـوفْ عَينـي والخَـدَم يرْكِبنّـه

بنـتْ الشّـيوخْ مْدَفّقـين الحِيَـاض

(١) دنُوا: قرّبوا. ناضي: ناض أي نهض وانطلق.

الشاعر: مجهول

سلام ياللي هَرْجُكم يِنْعِش الحَال

عْدَاد وَبْل مْطرٍ مِن مِخيله[١]

وسَلامْ عِدّة ما يْسَمّى مِن المال

وعْداد اسام الدّارْ واسْمَ القِبيله

وعِدّ الشّهورْ وعِدّ ما هَلّ بِهْلال

وعِدّ النّهار وعِدّ ما مْسى بْليله

وعِدّة نُفودَ السّرْ فِنْجالْ فِنجالْ

لي لَقى قَلبٍ لِبيبٍ يِكيله

قِل لي هَلا يا صَاحبي طَيّبَ الفَال

لا يا ربيعَ القلْبْ مرْوي غليله

يا مِشْخِصٍ ما قَلّبَه كلّ دَلال

في قاعة الصّنْدوق تُوحِي صِليله[٢]

يا غَرْسةٍ بالْحَوض الادْنَى على الجَال

تَوالي المَا والشّجْرةَ الظّليله

ما تِنْخرِف لِقليّلْ المالْ والذّال

يا كُودْ راعي مَالْ والا فْعيله

---

(١) يسلّم على حبيبه عداد ما هلّ المطر. ومخايلة البرق: متابعته أين يمطر.

(٢) المشخص: نقد ذهبي.

الشاعر: مجهول(١)

دنيــاكْ لو لقّت لكْ الوَجْه بِسْــــرورْ

شَـيْنَهْ يزْيـن ولـوْ عَمْـيَنّ البِصَايــــرْ

والـى ادْبَحَتْ ما يَنفعْ الرايْ والشّـــورْ

ولـو مَلْيـت مـن الحَـرَصْ كِلّ عَـايـرْ

والـى قَـدَّرَ اللّهْ مـا جَـلا كِلّ مَحْــذورْ

والهَـــمّ زْود ومـا بَغـى اللّهْ صَـايِـــرْ

الشاعر: مجهول

وَاجَـرّ قلبـي جَـرّ سَـبْر الرْشِــيـدِ

جِذْعـانْ مِن عَبْده وهِجْـنٍ تِقْل صَــيْد

سَــبّرهِن الحَاكـم وجَـنّ بالوِكيــدِ

وجَـرّ الجُمُـوع اللـي مِصَابِيحهـا بْعِيد

عَليـكْ ياللـي مِثْـل هَـرْج الوْغَيــــدِ

أقَفـتْ مَع الفِدْعـان تتلي عَـرب عِيـد

---

(١) لم يذكر الراوي محمد الصويان اسم الشاعر، ولكن هذه الأبيات جزء من قصيدة للشاعر زيد الخشيم. انظر – مثلاً – كتاب: الأزهار النادية من أشعار البادية، لمحمد سعيد كمال، الجزء الثالث، صفحة ١٥٠.

الشاعر: محمد بن إبراهيم الصويان

كان محمد بن إبراهيم الصويان يعيش في المدينة المنورة، وطلب من زوجته هيا بنت سليمان الصويان أن تلتحق به، ولكنها رفضت، فعزم على الزواج من امرأة أخرى. وكان أحد أقاربه، واسمه سلطان الحمود، أميراً للحناكية. فخطب له إحدى فتيات الحناكية من أقاربه، واسمها جوزاء، التي كانت فتاة جميلة، يتمنى الكثيرون الزواج بها، فوافقت على الزواج من محمد الصويان، الذي أغلى لها المهر. وفي ليلة الزفاف، الذي كان في المدينة المنورة، وعندما دخل عليها محمد البراهيم، وقع بغضه في قلبها. وكلما حاول الاقتراب منها، ولولت وصرخت بصوت عال، وقالت: (لا تجر البخنق[1] تراها عارية)، فيبتعد عنها. حتى إنها في إحدى المرات صرخت بصوت عال فأتى رجال الأمن ظناً منهم أن هناك مشكلة، فقيل لهم: إنه زواج، فانصرفوا. المهم أنه مضى الليل ولم يستطع محمد بن إبراهيم الاقتراب من زوجته. وفي الصباح، خرج إلى السوق أملاً منه في أن تثوب إلى رشدها، ثم في الضحى رجع إلى البيت للمقيل، فوجد أنها رحلت من البيت إلى أهلها في الحناكية، آخذة معها كل ما في البيت من أثاث. فقال هذه الأبيات:

يقول المعنّى وإن بدا راس مشـذوبـه

ويقنب من الفرقا كما الذيب سرحانِ[2]

---

(١) البخنق: نوع من الملابس النسائية، وهو الخمار، والشيلة: وهي غطاء الرأس.

(٢) بدا: صعد، مشذويه: الجبل المرتفع ذو الفرع كأنه منحوت. يقنب: يصيح، والقنيب هو عواء الذئب لذيب آخر يستنجده.

على اللي نهار السبت قرّيت مكتوبه

وظفّيت روحي هُمْ عَزّلت دكاني[١]

تزوجت لي جيزة غرابيل وعقوبه

دخلت بكلايف والمطاليع مجّان[٢]

وتنجدت في سلطان، سلطان والكوبه

يقول انت ما بك خير يا بن صويانِ

هديتك على جوزا وهي بنت مطلوبه

تعجز عن اللي كنّها عود ريحانِ

انا كيف انول النار، والنار مشبوبه

بروس العلالي دايم تذّن اذّانِ

اذا قلت يا بنت الحلال اصبري نوبه

تهيّض بلاه وركبها قَرن شيطانِ

غزال يدور الدوم والدرم مطلوبه

ولا يرتع إلا في مفايض بطيحان[٣]

أثر خالتي تصلح لجردان منجوبه

حرادب ظهرها تلتوي تقل ديبان[٤]

---

(١) قريت مكتوبه: كان كتب كتابه عليها يوم السبت. هم: بعد ذلك. ظفيت حالي: رتبت أموري وأخذت لوازمي.

(٢) دخلت بكلايف والمطاليع مجان: مهرها كثير ولكن فراقها سريع وبدون تكلفة.

(٣) الدوم: نوع من النبات. بطيحان: اسم واد قريب من الحناكية.

(٤) جردان: الشيطان. ديبان: أفاعي.

الشاعر: محمد الخليفة

الشاعر محمد السليمان الخليفة، من أهل الشنانة، وهو شاعر شجاع. يُذَكر أنه دخل مرّة على ضبعة وركبها وأتى بها من القشيع وأدخلها في داره وذبحها. كان له في صباه مغامرات كثيرة، منها أنه سمع بفتاة جميلة جداً في قرية تسمى: (خب البُصُر) جنوب مدينة بريدة، وكان اسم تلك الفتاة رقية. فركب ناقته، وأخذ غلامه وذهب لرؤية تلك الفتاة، ولما وصل إلى بيت أهلها، سأل عنها، فقيل له: إنها في المزرعة. فذهب إلى هناك، وطلب من إحدى الفتيات أن تناديها. فذهبت تلك الفتاة لتخبر رقية، وكانت تظن أنه من أقاربها. ولما أتت رقية لمقابلته، فقالت: من الذي يسأل عن رقية؟ فابتعد الغلام قليلاً، وجلس على حجر بالقرب منهم، ولكنه أحدث صوتاً عندما جلس، وسمعت رقية ذلك، فقالت: (من أنتم ياللي جايين تجيبون. . . ؟) فالتفت إلى غلامه، قائلاً: عرفها بنا يا شيخ لا تفضحك. . . فعرّفها الغلام، ثم دار بين ابن خليفة ورقية حديث قصير، عاد بعده إلى قريته. ومما قيل في رقية:

ياهـل البـصـــر ما بكـم حميّـــه
مـا بكم واحـــد رايــه ســــداد
مـا بكـم مـن حضــر طيحـة رٌقيّـه
يوم طاحت غدا بســـــــــره بداد
يــاعـطـــاك الـمجمّـــر يالوديّـــه
جعل نــجـــم جــمّـــارك بـــداد[1]

---

(١) الوديه: الفسيلة من النخل.

الـوديّـه نـعـيـصـيـص رديّـــه

طلعها خمس بســـــــرات عداد

وفي آخر عمره، كان ابن خليفة رحمه الله يطيل المكث في المسجد، يقرأ القرآن ويصلي. ومّما قال في صباه:

ياهلَ الهَوى مِن بالهَوى ضِـيمْ واشْتَـال

حِمْلٍ وغِربلْ به كِما وَصْف هابيـل(١)

وقَلبي دِوَى في غَبةْ الغَي مِهْتـال

ما ظَنّي اسـمعْ هَرْجْكم ياعَذاذيـل(٢)

وقَلبْ الخَطا لَو يَنْصـحه كِلّ عَذّال

وِبى وعَيّى يَسْـمَع القَول والقيـل(٣)

بالتِّيه تَـاه وصَـابـه اليومْ ذِلّـذال

قَلبـي غـدى مع لابسـاتْ المِقافيـل

مِـن لامِني فـي صَاحبي زِيـلْ وازْتَـال

يِحْشـر مَـع الطاغـوتْ زَوله إلـى زِيل

عَسـاه يِحْشَـر مَع قِبيحين الاعْمـال

اعمـىً اصَـمٍ تايـه الـرايْ مـا سِـيل

---

(١) غربل به: عاني.

(٢) عذاذيل: لائمون، والعذل: اللوم.

(٣) قلب الخطا: القلب التائه، المتمادي في غيه. وبى: أبى ورفض.

وحَياة من حطّ أشرفْ الخلقْ مِرْسال

ما زَلّ وَقتٍ عنك يازَيْن ما سِيْل

مَيرْ انت مِعْطيني بالاقفا والامْهال

وانا على لامِك تعنّيتْ بالحَيل(١)

مَيرْ ازّني مِن غِرّ الأنْياب سِلسال

مِن دَرْ غرّ كاللوالو مَعَاسيل(٢)

واردوفها لْمِدنّق الثوبْ شَيّال

ورُزَمّةْ نهودٍ كِنّهن الفَناجيل(٣)

ووسْطٍ كما رَخّ طوْيّ طَيّة الشّال

وسَاقٍ زها بْوصُوف زيْنْ الخَلاخيل

وان جا يداني بالْخطا منْه تِهْتال

مِثل المَها بْوصُوف سِيدي تَنافيل

وصلاةْ رَبّي عِقْب ما وَادي سَال

واخْضرّ نَبْته عِقْب ما هَلّه السّيل

---

(١) على لامك: بسبب تألّمي منك. بالحيل: بقوّة.

(٢) ازّني: أسقني. اللوالو: اللؤلؤ.

(٣) دنّقت: انحنت.

الشاعر: مشعان الهتيمي

يـقول مشعــان الهـتيمي تِــفَلْـهَـم

قيلٍ رْجَسْ بين الضَّلْوعْ المَغالِيـــق(١)

قِيــلٍ حَـلَــى مِن دَرْ عِـــرْبٍ تِــرَزَّم

لى ضَيِّـعَــت لِوْلَيـــدَها بالتّـفَـاهِـيق

لــى رَوَّحْت من حَاجْـرٍ فيه خَـمْـخَـم

غَيـر الشَّــقَارا نَابتٍ له زِمَــالـيـق(٢)

يـا ذا المْـرَاحْ اللي رِبى بك مْسَـــلّـم

سِقْتك رْبّـــان السَّـحَـــاب الغَـواريق

أبـــو قُـرون يَـــاصْلِــــن المحْـزَّم

يَشْرِبْ به العَطْشَـان مِن ماء بْرَيْرِيق(٣)

---

(١) تفلهم: تذكَّر. رجس: دق وضرب.

(٢) روَّحت: راحت إلى بيت أهلها بعد أن شبعت من نبات الخمخم والشقارى والزماليق، وذلك أطيب لحليب الناقة؛ خمخم: نوع من العشب ترعاه الإبل، وقد قال فيه عنترة بن شداد في معلقته:

ماراعني إلا حمولـة أهلهـا　　　وسط الديار تسف حب الخمخم

الشقارى: عشب طيب من الأعشاب التي تنفرد برعيها الإبل، وله رائحة طيبة، ومن ذلك القول الذي نسبه عائش بن منصور الحارثي في كتابه: (النباتات البرية في المملكة العربية السعودية)، صفحة ٢١٩، إلى الشاعر تركي بن حميد:

البل تبي وادي الرشا يارجاجيل　　　تبي لها رمث وخلطه شقـارى

زماليق: جمع زملوق، وهو عود النبات.

(٣) بريريق: بئر ماء معروف في جبال رغبا بنجد.

خِلّـي طَوَاني طَيّـةْ الثّوبْ ابُو كُمّ

رانا طَويتُه طَـي بِـير المَـرَازِيـق

هـو طَوَانـي كِمـا طَـي الثّيـاب المْخَدَّم

اللي تَخَـيّـطْ بالسّـلوكْ اللبـابـيق

ليتُـه سِـقَاني مِن ثَنـايـاه يـا عَم

مـن مَبْسـمِه ما شِفْتـه إلا ترامـيق(١)

قالـوا عَليـلٍ أو دَاخْلِك سَـايرْ السّم

والامْهَايـمْ قِلـتْ مافِي تَـبْريـق(٢)

انـا لِـقْيت دَواء العَليـلْ المَهايـم

مَزّ الثّمـانْ إلـى تِـذايـب بها الرّيق(٣)

---

(١) ترامیق : تلاميح .

(٢) تبريق : نظر .

(٣) الثمان : الثنايا ، مقدَّم الأسنان .

الشاعر: مشعان الهتيمي:

مشــعان عـدّى بالطّويـلْ المْدَمْلَـج

كلٍّ على قــاف الهتيمي شِـــــفَاوي

يـا مِـلّ قلـبٍ وان ذِكَـر صَـاحْبِـه لَـجّ

لَـجّ المَحَـال اللـي لِفيـــفٍ هَـواوي(١)

لَجّـةْ مَحَـالَ البيـرْ يـومْ يِـدْرَج

وتِقْبِـلْ بِـه ثمـانٍ عـداوي

لـولاي فـي زَيـــنْ اللحُـونْ أتْهَـرَّج

لاعْـوي عْـوا ذيـبٍ حَـدُوه الشّـــوَاري

لاعْـوي عْـوا ذِيـــبٍ علـى المَـرَح دَوَّج

زَاويـه مِـن قِـدْ لِـه مِـن البَيـــن زَاوي

عَليـك يـا للـي للمَحَاجيـــر تِدْعَـج

ويـا ليـتْ وارْحَـم ياعْيـون النَـــدَاري

يـا عُـودْ رَيحــــانٍ عليـه المـدي دَج

عَليـهْ عِيـدَانْ الرّكِيَـة حَنَـــــاوي(٢)

---

(١) يا مل قلب: يا من لقلب؛ المحال: جمع محالة، وهي البكرة التي تجرها الدواب لنزع الماء من البئر، ويقصد هنا صوت المحال.

(٢) الركية: جانب البئر.

عليه عَضَادْ الرَّكِيَة يِسَهْرِج
سهْرَاج رَكْبِ مِبْعدين الهَقَاوي[١]
من لامِني جعْله مَع القَلبْ يِهْدَج
يِهْدَجْ بْرمْحٍ مِن وَرا الجُبّ هَاوي
بْمَشَنْشَلٍ ما بَه كْعُوبٍ ولا عُوَج
في فِجَاجيج القَلب ما هُوبْ ياوي[٢]
ونّيت وَنَة مَن رْمَنَه وارْهَج
خَلْنَه العَيرات والليلْ غاوي
يَبي مكان الجَيشْ والجَيشْ قِدْ هَجْ
واصْبَح يْصَفّق والرَّوَابعْ خلاوي[٣]

---

(١) الهقاوي: الظنون.
(٢) ياوي: يرحم.
(٣) هج: هرب.

الشاعر: نهار المورقي[(١)]

يقولــه المورقــي بَــــادٍ بالألْحـــان الطّريَه

مِن خَاطرِه يوم يَبْدي بالمِثَل ما يِسْــتِحير

قِيـلٍ كِمَا الذّوب وإلا التّمرْ مِن فَرعْ الوديَه

في شــوبة القَيظ و الجَنّاي فيها يِســتدِير

اللي مِضَى لي شَرْيت الوِدّ لو يِجْلَب عَليَه

يِقُودِني مَع طَوارِيقْ الهَوى سِلْك الحَرير[(٢)]

واليومْ يــا نَفسْ يِقْنِعني مِنه رُبعْ الوِقيـــه

هجْسِنّي أجُوزْعَن تَبْع المْقَفّي واسْتِخير[(٣)]

يا غصــنْ موزٍ نَعَم بَين القَــراحْ وبين فَيَه

مَرْبُوعْ في قِيمته ما هُو طْويل ولا قِصــير

لَبّسْــتني للهوى لِبسـةْ جَراب النّافْعِيَه

شغْلْ البَياطير ولِبْسـتْ الجْرابْ مع الجِفير[(٤)]

لو اطْمَعْ اني لي مِنّي سَرقْتْ أصْبِح جِنيَه

وازْبِنْ على دَار ابْنْ مِسْمَار وأحَارِب عَشْيري[(٥)]

وأزْبنْ على حَربْ مِرْويةْ الغَلْب في كُل هَيَه

رَبْع مِشَاكيلْ وقْرُوم يِفْكُون القِصِير[(٦)]

---

(١) نهار المورقي من قبيلة عتيبة.

(٢) طواريق: جمع طاروق، وهو الجادة التي ترسمها أخفاف الإبل، ويقصد الطرق.

(٣) هجسني: أظن أنني. أستخير: أطلب الخيرة.

(٤) النافعية: الخنجر. البياطير: جمع بيطار، وهو الماهر. جفير: الوعاء الذي يدخل فيه الخنجر.

(٥) أزبن: ألجأ إلى.

(٦) قروم: شجعان. القصير: الجار.

الشاعر: نهار المورقي(١)

يا ملّ قلبٍ من الفرْقا حَنّ ويرْزم إرْزامْ

إرزامْ خلْجٍ طلوعْ سُهيلٍ يومْ القيظ حامِ(٢)

سَلامْ سَلامْ يا جِرّةْ قِدَمْ ثلاّبْ سلامْ

سلامْ لو كانْ جِرّهْ ما تْرِدّين السلامِ

يا ليتْ أنا وأنْتْ يا ثَلاّب لاما لَو مْيَة عام

ناخذْ مْيَةْ عام انا وايـاك يا ثلاّب لامِ(٣)

والى وفى يوْمنا نِدْفنْ جِميـعْ وكِلّنا لام

واظنْ بالقبرْ عِظْمانك تْلايِمْهن عِظامي

(١) في (أعذب الشعر الشعبي والفصيح) لمنصور بن ناصر العواجي، صفحة ٤٥، أن الشاعر هو عبد العزيز بن ناصر بن الشيخ، وهناك بعض الاختلاف بين الروايتين.

(٢) يرزم: يصوِّت، يقال: أرزمت الناقة أي حنت على ولدها، أو صوتت حنيناً على ولدها، وأرزم الجمل أي قوي حنينه ورغاه، والمرزمة هي السحابة الكثيفة التي يتوقع لها أن تمطر مطراً غزيراً.

(٣) لام: اجتمع، أي: التأما جميعاً.

الشاعر: نهار المورقي

يقول المورقي نهـارْ في روسْ الحْيودْ أَوَاقْ

مْعَـدٍّ بين حَاذه والمَحانـي والمِجَـاديرا[١]

مْعَدٍّ بالهَوى وأَمْسـيتْ غَادٍ كِنّي المِحْراقْ

والجْلجْ بالهوى لِجلاجْ صَلفاتْ الزِّمَامِيرا

والايا عايضْ بِنْ مِسْيفرْ اخْبرْ والهَوى طَراقْ

والا يامَـلّ قَلْـبٍ وَلّعِه حُـبّ الغنـاديرا

عسى من شَارْ بالفرقا يِطْيح بِجُمّة المِغْراقْ

ياخذْ مِقدارْ سَاعةْ لا حْبَالْ ولا حَداديـرا

والى مِنَه ظَهرْ منها سِلْيم صارْ عَظْم السَّـاقْ

مِن الرّكْبهْ الى حَدّ القَدَم غَادٍ شَعَاثِيـرا

والى شَدّوا يِشْيلُونه على وِسْقْ ازْرَقٍ صِعْفَاقْ

يْصفّ ايدَيه بالْمَمْشى وياخذْ به مَغَاريـرا

---

(١) الحيود: الجبال، والحيود المذكورة في البيت هي جبال بين مكة المكرمة والطائف.

الشاعر: ولد الهزاني

من المعروف أن الشاعر محسن الهزاني من كبار الشعراء. كان له ابن صغير لايتجاوز عمره خمس سنوات، أتى إلى أبيه في أحد الأيام بعد صلاة الفجر؛ حيث كان الأب يقوم بإعداد قهوة الصباح، وقال الطفل لأبيه:

حلمت البارحة والاي شاعر
والى انّه تافلٍ بافمي ابليس
يفوع القيل من صدري واكنّه
كما فوع الجراد من الغميس

فقال أبوه[1]: أعوذ بالله... هذا وهو بلح... كيف إذا صلح!.

فسقط الولد ميتاً.

---

(١) قالها - والله أعلم - إعجاباً بابنه.

روايات محمد الصويان القصصية

أبو ... :

أبو . . .[١] من شيوخ الرس، وكان شيخ عقيل تلك الأيام. أخذ إجازة، ورجع لأهله بالرس. وكانت هناك ابنة لشخص يدعى (أبو . . .)[٢] . . . فلاَّح من أهل المطيَّات . . . مطيات الشنانة. وكانت تلك الفتاة جميلة، فرغب أبو . . . في الزواج منها، وتقدم إلى أهلها لخطبتها، فوافق أهلها نظراً لمكانة أبي . . . الاجتماعية. مكث بعد الزواج عدة أيام، ثم انتهت إجازته، فسافر تاركاً زوجته عند أهلها. وعندما أتى وقت صيد القطا (نوع من الطيور المهاجرة)، قامت تلك الفتاة بصيد مجموعة كبيرة من القطا مستخدمة شبكة أبيها، ثم قامت بتنظيف الصيد وحمسه، ووضعته في كيس لحفظه، وأرسلته هدية لزوجها أبي . . . في المدينة المنورة، مع إحدى القوافل. وعندما استلم أبو . . . الكيس، ووجد الهدية، كتب خطاباً لزوجته، وختم الخطاب بقوله: (من الشايب الأشمطا . . . إلى وصَّالة بالقطا . . . ترى البطا ما من بطا . . . إن كان معه شيٍ . . . . . ، فأنا معي شيٍ . . . . !).

---

(١) كان أبو . . . معروفاً بدماثة خلقه، ومن ذلك أنه سمع بعض الشباب يغنُّون (يا أهل الهوى . . . جرح الهوى . . . ويش يبريه)، فجاوبهم من بعيد (يبريه أبو موسى ثلاث الوجاب)، وأبو موسى هو الجوع، ويقصد بذلك: أن الشخص إذا مرَّت عليه ثلاث وجبات لم يأكل شيئاً، فإنه لا يفكر إلا بسد جوعه.

(٢) حذفت اسم العائلة منعاً للإحراج.

قصة عن عبد العزيز بن متعب الرشيد:

كان عبد الرحمن بن دبيس، رجلاً من خيار الرجال، وكان من أتباع عبد العزيز بن متعب بن رشيد، ثم تركه، وذهب إلى المدينة المنورة، وهناك قابل محمد بن سليمان الصويان، وذكر له هذه القصة عن ابن رشيد. يقول: كنا مع ابن رشيد في إحدى غزواته في جهة العراق، وكان الجيش عائداً من تلك الغزوة، وكان لابن رشيد كلب سلوقي... ويبدو أن أحد الأشخاص من أتباع ابن رشيد أصاب عن طريق الخطأ ذلك الكلب فكسر رجله... فلما رأى ابن رشيد الكلب، سأل: من الذي قصم السلقة؟ من الذي كسر رجل السلقه؟... فلم يجبه أحد... فقال: والله لاعطي من يخبرني بالذي كسر رجل السلقة خمسمائة ريال نقداً... ولكن لم يذكر أحد من أتباعه شيئاً... فعمل خدعة، بأن أوهم الذي كسر رجل السلقة أنه عرفه، وصرخ في الجند: أنت يا من كسرت رجل السلقة، انتظرنا في الريع الذي أمامنا، وسوف أرسل إليك بالخبر... وعندما تجاوز الجيش الريع، سأل ابن رشيد أتباعه: هل وقف في الريع أحد، قالوا: نعم، فلان. فأوقف ابن رشيد الجيش، وقال: أحضروه. وعندما أُحضر: قال له: ما هو السبب الذي جعلك تكسر رجل السلقة، قال الرجل: والله يا طويل العمر إنها كانت بطريق الخطأ... ولم أقصد ذلك... وأقسم الرجل الأيمان المغلظة على صدق قوله... فقال ابن رشيد: مد يدك... ولما مدّ الرجل يده، سحب ابن رشيد السيف، وقطع يد الرجل، وقال: حيث إن عملك كان عن طريق الخطأ، قطعت يدك، ولو كان عملك عمداً لقطت رأسك.

ويكمل عبد الرحمن بن دبيس أنه كان جالساً في مجلس ابن رشيد عندما حدث ذلك، ولمّا وصل الجيش إلى حائل انتهز الفرصة، ورحل إلى المدينة.

ويعلّق محمد الصويان بأن هذه القصة دليل آخر على ظلم عبد العزيز بن رشيد وجبروته.

الخوير:

حدثت هذه القصة في مجلس الأمير محمد بن رشيد؛ حيث كانت القهوة تصب للحاضرين من شيوخ البدو والحضر، وكان الخوير جالساً بالقرب من ابن رشيد. . . وعندما أراد الخوير شرب فنجال القهوة شم فيها رائحة غريبة، انتهز غفلة الأمير عنه، وسكب فنجال القهوة خلفه. . . وكرَّر ذلك مرتين أو ثلاثاً، فانتبه الأمير، فقال له: يا الخوير، لماذا نثرت قهوتنا؟ قال الخوير: لم أنثرها يا طويل العمر. . . ها أنا ذا اشربها. . . قال الأمير: تخسا. . . مير أنا معاهد الله لأن لم تخبرني عن سبب نثرك القهوة، لأقطعنَّ رأسك. . . قال الخوير: يا طويل العمر. . . الدلَّة صايدة.

استغرب الأمير، لأن الجميع يشربون من القهوة. . . شيوخ البدو والحضر. . . ولم يلاحظ أي منهم طعماً غريباً فيها. . . فقال الأمير: وأنا معاهدك، إذا لم نجد شيئاً لأقطعن رأسك.

وعند الفحص، كبوا المبهرة فلم يجدوا شيئاً إلا الهيل، ثم كبوا اللقمة فلم يجدوا شيئاً إلا القهوة، ثم كبوا الخمرة، فوجدوا وزغاً كبيراً ميتاً[1].

أعجب الأمير محمد بن رشيد بذلك، وقال: كلُّ ما تحتاجه، أثناء حياتك وحياتي، فهو عليَّ.

وأصبح يضرب المثل بالخوير، فيقال للشخص الذي يجيد معرفة القهوة: مثل الخوير.

---

(١) اختلفت الروايات عن ماتم العثور عليه، ومن ذلك أنهم وجدوا عنكبوتاً صغير الحجم.

سكران:

كان أهل الشنانة ينامون في الصيف في الشعيب؛ وذلك لأن الجو يكون جميلاً، فيستمتع الناس بالنوم... وينام الجميع... الكبار والصغار... الرجال والنساء... ينامون في الشعيب. وقبل صلاة الفجر، يقوم المؤذن بإيقاظ النائمين للصلاة. وكان من ضمن هؤلاء، أحد عبيدهم، واسمه سكران، وكان خفيف العقل. وهو الذي يقول فيه القاضي:

لى اطل من بين الخلايق هبيلي

واصير في الوغى مثل سكران

فلمَّا أيقظه المؤذن، قال لماذا توقظني؟ قال: للصلاة... قال سكران: أنا لست مثلهم... فلا توقظني...

تكرَّر ذلك عدَّة مرات، فقرر سكران الانتقام من المؤذن. وفي أحد الأيام، وبعد أن صلى الناس الفجر، ذهبوا لتناول قهوة الصبح، قبل انطلاقهم للعمل. وكان المسجد في ركن مزرعة (فوزة)، مزرعة الصويان. وبقي المؤذن في المسجد، لقراءة القرآن وذكر الله، حتى تشرق الشمس، فيصلي ركعتين، اقتداءً بالنبي محمد، صلى الله عليه وسلَّم، وإذا بسكران يدخل على المؤذن في المسجد، بعد إشراق الشمس، ويأمره بأن يؤذن للصلاة، فقال له المؤذن: هذا ليس وقت صلاة، فقال له سكران: إما أن تقوم وتؤذن، وإلا والله لتذوقن طعم الموت... وكان المؤذن ضعيفاً، بينما كان سكران رجلاً قوياً، فخاف المؤذن منه... وقام سكران بدفع المؤذن دفعاً إلى منارة المسجد ليؤذن... ثم قال له: أذِّن... ووالله لو اختلف أذانك، لأرمينَّك من فوق

هذه المنارة. . .

بدأ المؤذن المسكين يؤذن، فخرج الناس من القهوة. . . ويشيرون بأيديهم له. . . يتساؤلون عن سبب أذانه في هذا الوقت. . . فأكمل الأذان بصوت مرتجف، وهو يشير إلى سكران.

مرشاد:

قبل عدة سنوات، عندما كنا في البدائع، وكان إمامنا في الصلاة صالح الهذلول . . . وكان يقوم بقراءة الحديث بعد الصلاة . . . ويبدو أنه كان متضايقاً من الشباب الذين يقومون بتأليف القصائد يتغزلون بالفتيات، فتضايق من ذلك، وفي أحد الأيام لم يقرأ الحديث، ولكنه بدأ يَعِظ الناس، ويقول: (ها الحين ما يغثك، إلا مثل ها السفهاء اللي ما لهم هم إلا قالت حصيصة . . . وقالت نويرة . . . أما كلام الرجال اللي فيه ذكر الحروبات واللي إلى جاء للشي موجب فهذا مباح . . . ما يخالف، مثل: أشقر مخلبه ما عاش ما ناشي).

ومن الطريف أن عبداً اسمه مرشاد، كان في طرف الصف، فأتى عند الإمام، وقال: عاش . . . يا عم . . . عطنا!.

فما كان من الناس، إلا أن انفجروا بالضحك من تصرف هذا العبد.

هدلان:

كانت عادتنا في البدائع، أن نسمر كل ليلة عند أحد الأشخاص من أصدقائنا، ونتناول الحديث إلى وقت متأخر من الليل. وكان من ضمن الأشخاص الذين اعتادوا السمر معنا، شخص يلقب بـ: هدلان.

وفي إحدى الليالي كنا عند شخص من الوهابا، نجلس في عشّة له خارج البيت... وأثناء ذلك، بدؤوا بالحديث عن هدلان... يغتابونه... وصل هدلان خلال هذا الوقت، ووقف عند باب القهوة في الخارج، وسمع طرفاً من الحديث الذي قيل عنه، فغضب غضباً شديداً... ثم دخل إلى القهوة، ولم يسلّم على الحاضرين... فقال له أحدهم: لماذ لم تسلّم يا أبا عبد الله؟... هداك الله.

فقال هدلان: (والله إني سمعت نمامة الرقابة... كل نفس لا بد الله محاسبها... أبو تركي تولانا بمشذابه... وأبو راشد مسجل في مكاتبها).

أبو عيد:

كان الناس يعانون من الجوع تلك الأيام. . . ولذلك كانوا يحرصون على اغتنام الفرصة إذا وجدوا الأكل. وفي إحدى السنين، أصاب الإبل مرض يسمى: (السلاق)، وهو إسهال شديد، يُفقِد الجمل قوَّته، ويموت، ولذلك كان الناس يقومون بذبح الجمل قبل موته، ليستفيدوا من اللحم. . . والمشكلة، هي أن من أكل من لحم الجمل، يصاب هو أيضاً بالإسهال، ومع ذلك كان الكثير من الناس يأكلون اللحم لندرته. وكان هناك شخص يسمى: الجبالي، صاحب إبل، أصيبت بالمرض. فذبح جملاً، وطبخه، ودعا بعض الناس، ومن ضمنهم شخص بدوي كفيف يدعى (أبو عيد). يبدو أن أبا عيد، أكل الكثير من اللحم. وكانت الفترة في الشتاء، فذهب أبو عيد للنوم في القبو الذي في المسجد. وفي الليل، تحرَّك بطنه، فأراد الخروج من القبو، ولكنه ارتبك، فضل طريق الباب. في البداية، كان يمشي بحثاً عن الباب. . . ولَـمَّا اشتد مغص بطنه، بدأ يركض، فيصطدم بأحد الجدران. ولَـمَّا اصطدم بأحد الأعمدة، قال: (يالله . . . ومن رزَّه). سمعه أحد الأشخاص الذين كانوا نائمين في القبو، فرفع رأسه، وقال: ما بك يا أبا عيد؟. . . قال: أظهرني. . . أظهرني. . . فمسك الرجل يد أبي عيد، وقاده للخارج. . . يبدو أن أبا عيد لم يستطع تحمل المزيد من المغص فأخرج ما في بطنه عند باب المسجد.

خجل المسكين أبو عيد خجلاً شديداً، وسقط خارج المسجد، وكأنه ميت. وقام الرجل بإغلاق ذلك الباب، ووجهوا المصلين لدخول المسجد من الباب الآخر. . . وكان كل شخص يمر من عند الباب، يتضايق من الريحة والقذارة، ويسب الرجل. . . ولكن أحد الناس رحم أبا عيد، وقال: (حرام عليكم. . . الرجل لم يقصد ذلك، ولكنه غُلِب على أمره). . . فرفع أبو عيد رأسه، وقال: (إي والله. . . والله إنه غصب عليَّ).

نظرات محمد الصويان
في الجوانب السياسية

خصص محمد الصويان جزءاً من رواياته للحديث عن الجوانب السياسية والأمنية؛ حيث إنه عاصر - في مقتبل عمره - معركة الشنانة، وعاش جزءاً من حياته قبل استقرار الحكم السعودي، ورأى كيف تفاعل الناس مع الملك عبد العزيز، وأحبوه وأحبهم. كما عاش محمد الصويان تغيُّر الأوضاع بعد استقرار حكم الملك عبد العزيز، فرأى الأمن بعد الخوف، والغنى بعد الفقر، والعلم بعد الجهل... وكل ذلك أثَّر في شخصيته وتحليله للأحداث.

شخصية الملك عبد العزيز:

كان محمد الصويان معجباً بشخصية الملك عبد العزيز؛ لأنه رأى حكمة الملك وشجاعته أثناء تأسيس المملكة وتوحيدها. ورأى بنفسه كيف تصرَّف الملك عبد العزيز في معركة الشنانة، فوجد الشجاعة والرأي، كما رأى السماحة والرفق، ورغبة الملك في تجنيب المسلمين القتل والقتال، مع الإصرار والعزيمة.

كان محمد الصويان، عند تحدُّثه عن سيرة الملك عبد العزيز، يصفه بأنه (طويل الذراع)، (أبو تركي... دين ودنيا)، (حظيظ... حظٍ من الله). وروى العديد من القصص والأشعار، ومنها مقابلته للملك عبد العزيز، عندما أتى محمد الصويان إلى القصيم في إجازة من جيش الشريف، وكان الملك عبد العزيز في القصيم. يقول محمد الصويان: (زارنا في أثناء عملنا في جيش الشريف، شخص من بريدة اسمه ابن مديفر، فقمنا بإكرامه خير إكرام، فلزَّم علينا بأن نزوره في بريدة. وشاء الله - تعالى - أن آخذ إجازة، وكان معي أيضاً شخص آخر من القصيم، اسمه سليمان الحمادا. ولَمَّا وصلنا القصيم، مررنا بابن مديفر في بريدة، فأكرمنا إكراماً كبيراً، جزاه الله كل خير. وعندما أردنا مغادرة بريدة، خرج ابن مديفر معنا إلى خارج البلدة لتوديعنا. أثناء وقوفنا للحديث مع ابن مديفر، سمعنا جلبة وأصواتاً، وقيل لنا: إن ابن سعود سوف يمر من هذا الطريق قادماً من عنيزة إلى بريدة، فتنحينا جانباً لنوسع الطريق... وإذا بالخيل أقبلت... وكان في مقدمتها الملك عبد العزيز... فلمَّا رآنا، تقدَّم إلينا، وفك ردون غترته... وسلَّم علينا واحداً واحداً. ووالله إن ابن مديفر قال لي بعد سنوات إن الملك عبد العزيز سأل عنَّا، وقال: من هم العيال الذين كانوا معك... والله إني كنت راغباً في التعرَّف عليهم).

وقد روى محمد الصويان عدداً من القصائد التي تؤكد محبته ومحبة الناس للملك عبد العزيز. يقول محمد الصويان: (أول ما ظهر ابن سعود تلك الأيام... كان الأمن غير مستتب... كانت الدنيا هبهب وانهب... ولم يكن مع ابن سعود قوم... معه الله فقط... معه نفر قليل، فقال أحد الشعراء:

نشـا من العـارض خيالٍ وانحدر

عياز مزنه كالخشوم الطايله[1]

سيله عجاج الخيل والدم الحمر

ورعـوده البـارود في سلايله

وان قيل: ابو تركي من الديره ظهر

كلٍ بلا داعي ركب رحايله[2]

ويصف محمد الصويان الشعّار الذين تسابقوا إلى مدح الملك عبد العزيز، بقوله: (والقصاصيد تولجوه... يوم إن ابن عوض يشعّط به هاكالمشيخيات)[3].

(ابن عوض من أهل الشنانة، أتى لابن سعود، وكان مخيماً في العاقلي شمال الرس. وابن سعود لم يكن معه تلك الأيام إلا الشيء القليل... الثلاثة على بعير... ولم يكن ابن سعود ولي نجد... وأتاه ابن عوض... وقال: الرخصة يا طويل

---

(١) خيال: سحاب. عياز: مؤخرة، يصور الشاعر زحف ابن سعود بجيوشه من العارض بالسحاب المتراكم الذي يشبه الجبال في كثافته.

(٢) حالما يظهر ابن سعود (أبو تركي)، ويسير غازياً، يركب الناس رواحلهم، ويسيرون وراءه، بدون دعوة منه، ثقة بأن النصر سيكون حليفه.

(٣) تولجوه: أي ألحوا في الطلب. يشعّط: ينظم قصائد قصيرة... وهذا تعبير لطيف يصوّر سرعة نظم هذه القصائد وانتشارها بين الناس كسرعة اشتعال عود الكبريت، كما أن هذه القصائد القصيرة عادة ما تكون أفكارها مركزة متوهجة كشعلة عود الكبريت.

العمر[١].

قال الملك عبد العزيز: يا شين، ليس معنا الآن شيء... كما ترى... الثلاثة على بعير... منين لنا؟[٢].

قال ابن عوض: أريد إسماعك كلمتين... وأسلّم عليك... والله لن أرجع بها.

قال الملك: إيه... على هواك... خير إن شاء الله.)

يقول محمد الصويان، فقال ابن عوض هذه الأبيات:

سلامْ يا شيخْ تْناحون الضّديد

يا للي تِسْقَون العدو امْرارها[٣]

يَتلونك المِقرنْ هلَ الباسْ الشّديد

يومَ اللقا جلابةٍ لاعْمارها

يا مْوَرّد الهِيّاب مِفْراص الحَديد

دِنياك عِقْب العْسر زان يْسارها[٤]

---

(١) قبل أن يلقي الشاعر قصيدته بين يدي الحاكم أو السلطان، يطلب الإذن أولاً.

(٢) منين لنا: من أين نمنحك العطايا والهبات إذا مدحتنا. ونودُّ أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أنه لا يمكن أن نأخذ هذا الكلام على أنه هو ما تلفَّظ به ابن سعود... ولكننا نورد الحوار كما ورد ذِكْره على لسان الراوي؛ لأنه يضفي على الرواية طابعاً قصصياً شيقاً.

(٣) تناحون الضديد: تهزمون الأضداد.

(٤) الهُيّاب: الذين يهابون الموت، يقول الشاعر: إن شجاعتك وإقدامك تمنح الثقة لمن يهابون الموت، وتشجّعهم على الاستبسال، فأنت في عزمك وبأسك كالمقص الذي يقص الحديد.

انا احمدْ اللي حطّها بين الرشيد

تحيّنت بكْبارها وصْغارها(١)

تحيّنت بأرقابهم خِضْر الجِريد

يومْ ان اهلْ حايلْ كلوا جِمّارها(٢)

أنا احمدْ الله جانيَ العلمْ الوكيد

الكل مِنهم واقعٍ في نارها

لعل ابو تركي يجسّم بالعبيد

اللي على الدنيا تْشيع أذكارها

ابي ذلولٍ مَشيها دايمْ فِديد

تقطع بِعيدْ الدوَ في معبارها(٣)

وصلاةْ ربي عِدْ يومْ أو عِدْ عيد

او عِدْ ما هَلّت حْقُرق أمطارها

ويكمل محمد الصويان القصة، فيقول: إن ابن سعود، قال: إيه، إذا رجعنا... أبشر يا ابن عوض... ليس بعد ما ذكرت شيء... لكن الآن كما ترى... كل ثلاثة على بعير... من أين لنا ذلول؟

---

(١) بعد مقتل عبد العزيز المتعب بن رشيد، تولّى السلطة بعده ابنه متعب، الذي قتله أبناء حمود العبيد (فيصل وسعود وسلطان)، ثم إن سعود بن حمود قتل أخاه سلطان، بعد فترة وجيزة، وهو ما يشير إليه الشاعر.

(٢) يشير الشاعر إلى معاملة عبد العزيز المتعب الرشيد لأهالي الشنانة؛ حيث قطّع نخيلهم، وأعلف ثمارها وجمّارها لعسكره وخيله.

(٣) الدو: البر، الخلاء.

ويرجع ابن سعود، ويأمره ويغير على فيصل الدويش في المجمعة. الدويش كان في تلك الأيام (قوماني) محارباً لابن سعود... بالمستوي... النفود الذي في شرق القصيم. وعندما غزا ابن سعود على العرب الذين على الفوّاره، ثم عاد... هرب الدويش، والتجأ إلى المجمعة... ويريد الله... ويأمره الكريم الأكرم... عزٌّ من الله ونصر قريب. ويغير ابن سعود على الدويش في المجمعة، وينتصر...... ويسيطر على المجمعة.

ويلحق ابن عوض بابن سعود، وعندما خيَّم ابن سعود بجانب الملحا، وإذا بابن عوض واقفاً أمامه، قال ابن عوض: الرخصة ياطويل العمر.

قال الملك: أنت ابن عوض؟.

قال: نعم.

قال ابن سعود: (هذا والله الطلب اللي يفك... خير إن شاء الله... هات ما عندك)[1].

قال محمد الصويان، قال ابن عوض:

يقولْ صالحْ بدا روسْ الطوالْ من الطّعاميس

غَدَى بـروسْ الطّوالْ وهَيّضه رِزْق الحمام[2]

اوّل كَلامـي ذْكـرتَ الله وخَزّيت الابـاليس

سَـــلام منّـي عليكـم ياالامامْ ابـنَ الامام

---

(١) بما أن الراوي محمد الصويان لم يكن حاضراً، فإن الكلام الذي نقله عن الملك عبد العزيز قد لا يكون دقيقاً بلفظه، ولكنه من تعبير الراوي.

(٢) الطعاميس: كثبان الرمل.

يا دايسَ الخيلْ فوقَ الخيلْ مِدْعِيها كَراديس

وان سَمْعَت الخيل حِسك جَوّلَت مِثل النّعام

يا دايسَ الراي فوقَ الراي يومَ الراي ما دِيس

........................[١]

انتَ الإمامْ الذي تعطي الْمَهار وتِنْفد الكيس

وانتم هَلَ العرفْ والمعروفْ ما فيكم كَلام[٢]

يومَ الْمطيري نَوى البْوقه نَواه الله بتَنْكيــس

تِزَبّــن المجمعــهْ والمجمعــهْ وِلْيــتْ شْــمَام

وصارتْ فقايدَ مطيرْ الخيلْ ورجالٍ وفرّيــس

وخلّـى عيالَ الدّويش مْجَدّعـينٍ بالمِضَــام[٣]

مَيرْ ابي وِعْيدَك لي يا شيخْ يا محذي المفاليس

........................[٤]

قال الملك: اهب... الله يتولجك يا ابن عوض مثل ما تولجتنا... شف رعيَّة الجيش... تخيَّر لك ذلول... وهاتها نكلفها لك.

فاتجه ابن عوض إلى باطنية[٥]، من أفضل الهجن، واختارها. أراد خدَّام ابن

---

(١) نسي الراوي شطر هذا البيت.

(٢) المهار: جمع مهرة، أي: فرس. تنفد الكيس: تبذل المال.

(٣) فرّيس: جمع فارس باللهجة، وبالفصحى فرسان.

(٤) نسي الراوي شطر هذا البيت.

(٥) الباطنية: الإبل الباطنية نوع من كرائم الإبل، وهن أشهر من غيرهن، وموطنهن الأصلي قطر.

سعود طرده عنها، وقالوا له: هذه ذلول الإمام.

قال ابن عوض: الإمام قال لي تخيَّر... وأنا لا أريد إلا هذه... وهذه التي وقع نظري عليها.

قال ابن سعود: خلّوه... خلّوه... أنا قلت له اختر... لا نستطيع أن نتراجع الآن.

يقول محمد الصويان: (والله إن ابن عوض بنفسه حلف لي قائلاً: (إن أتلى ما علّقوا عليه... الباكورة... بشداده... بخرجه... بمزهبه... بقربته... بزهابه[1]... بجميع ما يلزم... إلى الخيزرانة معلّقينه عليه).

هذه القصة، التي سمعها محمد الصويان من ابن عوض مباشرة، توضح الجوانب التي أردنا التركيز عليها في شخصية الملك عبد العزيز... محبة الناس له... وفرحهم بانتصاره... وسعة صدره... وتفهمه لحاجات الناس.

---

(١) الزهاب: زاد المسافر.

الأمن:

أورد محمد الصويان العديد من الروايات التي توضّح انعدام الأمن، والخوف الذي كان سائداً في نجد قبل استقرار الحكم السعودي، وقد نقلنا بعض تلك الروايات ضمن رواياته الشعرية أو في قصة عودته إلى القصيم. وكان محمد يصف تلك الأيام بأنها: (هبهب... وانهب). وقد كُتِب الكثير عن الحياة الأمنية قبل الحكم السعودي، وكيف كانت الصراعات والغزوات والإغارات هي السائدة[1].

(١) عبدالله بن يوسف الشبل، (تاريخ ابن ربيعة تأليف محمد بن ربيعة)، صفحة ٣٨ - ٤٠.

ثورة الأشراف في الحجاز على الحكم العثماني:

عندما قامت ثورة الأشراف في الحجاز على الحكم العثماني (المسماة بالثورة العربية الكبرى) بقيادة الشريف حسين، جنَّد لها الكثير من الجنود، من الحضر ومن البدو. وقد أشار محمد الصويان إلى مشاركة أعداد من عقيل في جيش الشريف. ويبدو من كلام محمد الصويان، أن عددهم كان حوالي ألف ومائتي جندي، وكانوا جنوداً نظاميين. وقد أشار إلى أن هدفهم الأساس، كان البحث عن مصدر للرزق، ولم يكن عن قناعة بأهداف تلك الثورة.

مقابلته لورنس العرب:

سؤال: هل سبق أن قابلت لورنس؟

جواب: نعم... أخذت مدَّة أنا وإياه... جيناه بالموقر... الموقَّر أقرب من عمَّان قليلاً. أنا أخذت رخصة من جيش الشريف... ثم ذهبت مع صالح المحمد الصويان (الأصقه) ومجموعة من العقيلات إلى غزة... وكان لورنس في الموقَّر... هو ساكن برأس الضلع... والدرب تحت الضلع... درب الذين يأتون مع أدباشهم، وعقيل الذين يذهبون إلى مصر... الدبش[1] التي تذهب للغرب... وعندما يمر دبش يحسبه، ويأخذ عليه الضريبة... يأخذ ضرائب أكثر ممَّا يأخذ الشريف... مرِّينا بالموقر... فأرسل لنا لورنس أحد رجاله، ودعانا للقهوة... لَمَّا ذهبنا إليه كان لابساً لباس البدو... عليه حطَّة حرير... وعليه مقصَّب... شطفة... وثوب. وهو رجل أحمر، نحيف... له شوارب يقوم بفتلها بين آونة وأخرى... بليَّة... عيونه تلاقط مثل الجمر... وكلامه مثل كلام البدو... لاتكاد تميِّز بينه وبين البدو. بعد القهوة... دعانا للعشاء، فاعتذرنا... فقال: لماذا تعتذرون؟... هل أنتم تحرِّمون أكلنا لأننا إنجليز؟ الذين يطبخون لكم عرب... انظروهم... وذبح لنا... وأكرمنا إكراماً فائقاً. وكان معه أبو تايه.

هو بليَّة... متحدِّث... ومن المؤكد أن الإنجليز لم يضعوه في ذلك المكان إلا لأنه... على كل حال... كل قوم يقدِّمون خيارهم. أثناء الحديث معه، قال: (هل تظنون أننا نأخذ الضريبة طمعاً في المال؟... لا... لكن الإنجليز يأخذون ضريبة كما يأخذ الشريف... وحكم الإنجليز أعز من حكم الشريف... ولو لم يأخذ

---

(١) الدبش: الأنعام، يقال للحيوانات: دبش؛ أي: لا تفهم.

الشريف لما أخذنا). (افم مفتتح . . . متحدِّث . . . بليَّة).

ثم بدأ لورنس يسألنا: (أهل نجد . . . حكَّامهم ماذا يعملون؟ هل يظلمون الناس؟) . . . أسئلة سياسية لأجل أخذ معلومات منَّا ويرسلها للإنجليز . . . بليَّة من البلاوي . . . شيطان.

قال له أحدنا في إحدى المرات: (لماذا لا تُسْلِم يا صاحب؟). قال: (لا . . . كل واحد، دينه يكفيه).

ومن الملاحظ في هذه القصة، دهاء لورنس في أسلوب تعامله مع أهل نجد من حيث إكرامهم طمعاً في كسب قلوبهم، آخذاً في اعتباره العاطفة الدينية لدى العرب عندما ذكر قضية الأكل، ثم طَعْنه في حكم الشريف من حيث أَخْذه الضرائب على العقيلات، وكذلك إثارته التساؤلات عن حكَّام نجد . . . وكل ذلك لنشر الأحقاد . . . وتفريق الصف. وكان لمحمد الصويان، رأيه المحنك في شخصية هذا الرجل، كما كان واعياً لأهداف لورنس.

نظـرات محمـد الصـويان

في الجوانب الاجتماعية

مصادر الرزق:

كانت الحياة في نجد تعتمد على ثلاثة مصادر رئيسة: الرعي، والزراعة، والتجارة. ولكن التجارة البينية تزدهر أكثر، تلك التي تركز بشكل كبير على نقل البضائع على ظهور الإبل بين نجد والبلدان المجاورة: كالحجاز والأحساء وبلاد الخليج، وكذلك الشام والعراق ومصر، ويسمى هؤلاء التجار بالعقيلات. وقد سافر محمد الصويان مع العقيلات إلى الشام، كما عمل فلاحاً في الشنانة والبدائع.

العلاقات الاجتماعية:

يُثني محمد الصويان على طِيبَة الناس تلك الأيام، وعلاقاتهم الحميدة، مثل قوله: (يا زين الناس منوَّل)، و(شف نظافة قلوبهم)، وغيرها من الجمل التي تؤكد الروابط بين أفراد المجتمع القروي. وأشار إلى الترابط الأسري الذي كان موجوداً تلك الأيام؛ فالصويان - مثلاً - كانوا أربعين شخصاً يأكلون من قِدْرٍ واحد. بل كان هناك ترابط كبير بين أفراد القرية جميعهم.

ومن الملاحظ أن العلاقات بين أفراد المجتمع في المدينة الواحدة أو القرية الواحدة، علاقات مبنية على المصالح المشتركة، بغضِّ النظر عن الانتماء القبَلي. ولذلك نجد في قرية الشنانة - مثلاً - أن أبناء القرية من قبيلة بني تميم وبني صخر والعجمان وبني خالد... وغيرهم، يعملون يداً واحدة، كأبناء الأسرة الواحدة.

وضع المرأة:

وضع المرأة في المجتمع المسلم وضع مميز؛ حيث إنه ينبع من كونها أمّاً، أو أختاً، أو زوجة، أو بنتاً؛ فهي نصف المجتمع، ولها حقوق، وعليها واجبات، حسب ما وضّحت ذلك الشريعة الإسلامية الغرّاء. وقد ذكر محمد الصويان عدداً من النماذج، التي توضح تقدير المجتمع في القصيم للمرأة خلال تلك الفترة. ومن النماذج التي ذكرها، نموذج (ربّة العمل): هيا المقرن، من قرية الهلالية التي صانعت الحكّام[1]؛ حيث كانت تصدِّر الجريش (القمح المكسَّر) إلى خارج القصيم، وكان لها وضع مميَّز، فدعاها أمير البدائع عبد الله بن حسن بن صغيِّر إلى القهوة عندما زارت البدائع. ومن النماذج التي ذكرها محمد الصويان، مضاوي بنت الشيخ صالح القرناس[2] زوجة محمد السليمان الوهيبي، والقصيدة التي قالها عايد الرشيدي في مدحها. ومن النماذج كذلك، صيتة الخليفة، وهيا السليمان الصويان، وجوزاء (من الحناكية)... وغيرهن.

وقد ذكر محمد الصويان حادثة طريفة؛ حيث كانت الفتيات اللاتي يرغبن في الزواج ولم يتقدَّم لهن أحد، يقمن بعمل قرص خبز بالجمر (قرص مجمار)، ثم يأكلنه، ويعتقدن أن من رأت حلماً تلك الليلة فإنها سوف تتزوج!، ولذلك يُسمَّى: (قريص لحد).

---

(١) صانعت: تعاملت تجارياً مع شيوخ القبائل.

(٢) ذكر محمد الصويان في القصة أن اسمها: (مويضي) بنت الشيخ صالح القرناس، ولكن المذكور في مصادر أخرى أنها مضاوي بنت الشيخ محمد بن قرناس الذي توفي عام ١٢٧٦هـ. أما موضي فهي أختها زوجة صالح بن عبد الله الخليفة.

النواحي الأخلاقية:

كان مجتمع القصيم مجتمعاً محافظاً، طابعه العام الالتزام بأسس الخلق الإسلامي الحميد. ولعلَّ قصة تَرْك محمد الصويان لجيش الشريف، وعودته للقصيم، توضح مكارم الأخلاق في موقف الشيخ محارب الفريدي الحربي وأخيه من محمد الصويان. كما أن موقف الشيخ الشمَّري من ابنة ناصر البلاع، أثناء قتل مجموعة من رجال الشنانة على يد عبد العزيز بن متعب الرشيد، يؤكد أن ما حدث كان بسبب سوء تصرُّف من عبد العزيز المتعب، وليس برضا وموافقة من بقية شيوخ شمر، بل كانوا يبكون (البدو والحضر) ويقولون: (الله . . . لا يسلطه علينا). بل إن الموقف النبيل لمسعود، أحد عبيد ابن رشيد، عندما أحضر الرز من مطبخ ابن رشيد، والشخص الشمَّري الذي قام بذبح شاة، وإطعام الأسرى، لدليل واضح على الخلق العربي الإسلامي الكريم.

ولكن محمد الصويان، أشار إلى جوانب من التفكك الأخلاقي عندما تحدَّث عن الأمسيات الشعرية؛ حيث ذكر أنه في أحد الأيام اجتمعت مجموعات كبيرة من البدو في الشنانة، والمطيَّة، عند المياه. وكانوا في الليل يجتمعون مع الحضر لتبادل الشعر (المرادّ)؛ حيث تبدأ الأمسية بجر الربابة، ثم يقف البدو في صف والحضر في صف، ويترادون في الشعر. ويذكر أن عادة بعض البدو آنذاك، أن يحضروا فتاة ترقص بين الصفين. وفي تلك الليلة، وعندما بدأ المرادّ، قال الشاعر (عطونا حاشي)، وهو الاسم الذي يطلق على فتاة تقوم بالرقص بين الصفين، فجاءت فتاة لترقص، وكانت فتاة بيضاء، شعرها قصير؛ (إذ لم تكن محجبة)، ولكنها لم تعجب الشاعر سعد الحجاب (أبي حجاب)، فقال: (الجلوبة . . . كنها الدباية . . . لو تقول

بصاع ما نشريها!)، فخجلت الفتاة، وعادت من حيث أتت، فذهب البدو واختاروا فتاتين من أجمل الفتيات، فجاءت الفتاتان تهنفان، بدون حجاب أو غطاء للرأس، وكانتا فتاتين من أجمل النساء بشعر طويل، فلمَّا رآهما أبو حجاب قال: (يا مرحبا يا النجمة السرَّاية، يوم بانت والقمر يتليها). فرقصت الفتاتان بين الصفين، وكان مع كل منهما باكورة، لتحرك شعرها أثناء الرقص. ولما اشتد الرقص، اقتربت إحداهما من الشاعر، وكان أخوها في صف البدو، فخرج من الصف ليبعد أخته عن الشاعر، فما كان منها إلا أن ضربته بالعصا الذي كان معها؛ حيث إن من عاداتهم عدم التعرض للفتاة بأي عتاب، بسبب رقصها.

وقال أبو حجاب:

يابَكْرتيـــــنٍ مَـــا لِهـن حِيـران

يِـسْــــوَن ثـمـانـين ألـــفْ دنَـــان

الله عـلـى مِـن طَقَـــــــهن بِـقْـزَان

واقـــفــي بــهــن شَـــلّـــنْ بــالأيمـــان

فرد عليه أحدهم، بقوله:

والله يــالــولا الخــرف مــن ســـبهان

لاطـــا عــلــى كــبــدك بـحـذيـانـــي

وصف محمد الصويان تلك العادة بقوله: (سَلْم الشّر)، أي: عادة قبيحة. ويعتقد محمد الصويان أن هذا العمل من أسباب عقاب الله لأهل الشنانة على يد عبد العزيز بن متعب الرشيد، وأن عملهم ذلك، من الطغيان ومجاوزة الحد.

كما تحدث محمد الصويان عن جوانب من التفسخ الأخلاقي في الأجزاء التي كانت تحكمها الدولة العثمانية، فذكر أنه كان في المدينة المنوَّرة بيوتاً للداعرات (الخايبات)، وكان هناك شارع طويل مخصص لذلك، وكان عددهن كبيراً، وكانت الواحدة منهن تدعو الشخص الذي يمر أمام بيتها. وكانت هؤلاء الداعرات، من كل مكان، فكان منهن العربيات وغير العربيات، والحضريات والبدويات، بل كان منهن حوالي عشرين واحدة من منطقة القصيم. ويبدو أن ذلك كان بسبب وجود أعداد كبيرة من الجنود الأتراك في المدينة المنوَّرة.

ويذكر أيضاً حادثة، رآها بنفسه، عن شخص مارس الزنا مع إحدى النساء في أحد شوارع المدينة المنورة الرئيسة، أمام المارة. وعندما قبض عليه رجال الشرطة الأتراك، لم يعاقبوه بل أثنوا على جرأته.

هذه الحوادث التي رواها محمد الصويان، تؤكد أهمية جهود الملك المؤسس في توحيد بقاع الجزيرة العربية تحت لواء التوحيد، ونَشْر الخير، ومحاربة الفساد بكل أنواعه.

نظـرات محمـد الصـويان
في الجوانب الثقافية

كان هناك حركة علمية لا بأس بها في القصيم خلال تلك الفترة؛ فقد كان هناك عدد من المشايخ والعلماء الذين يشار إليهم بالبنان، مثل الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ)، والشيخ صالح بن قرناس القرناس (١٢٥٣ - ١٣٣٦هـ)، والشيخ سالم بن ناصر الحناكي (١٢٩١ - ١٣٧٩هـ)، والشيخ سليمان بن عبد العزيز البسام (١٣٠٠ - ١٣٧٧هـ)، والشيخ صالح بن عثمان القاضي (١٢٨٢ - ١٣٥١هـ)، والشيخ إبراهيم بن محمد الضويان (١٢٧٥ - ١٣٥٣هـ)، وغيرهم[١].

ولكن يبدو أن تلك الحركة العلمية كانت مركزة في المدن الرئيسة (بريدة وعنيزة والرس)، وغيرها. وفي الوقت نفسه، لم يكن هناك نشاط علمي موازٍ في القرى، بسبب ظروف الحياة الصعبة، والانشغال بالبحث عن لقمة العيش، ولذلك لم يتحدَّث محمد الصويان عن الناحية الثقافية والعلمية، بشكل كبير؛ فهو لم يتعلَّم القراءة والكتابة، ولكنه كان رجلاً حريصاً على جلسات الأدب والشعر، وكان يحصل على زيادة حصيلته الثقافية من خلالها. وقد وصف علاقته الحميمة بالشاعر سعد الحجاب الذي كان من أقرب الناس إليه عندما كان في الشنانة؛ حيث كانا يسهران بشكل يومي لتبادل الحديث والشعر. كما أشار إلى علاقته بالشاعر خويلد اللحيدان الذي كان شاعراً كفيفاً فقير الحال، وكان يأتي كل صيف من البكيرية إلى البدائع لطلب الرزق، وفي المساء يذهب إلى مزرعة محمد الصويان للسمر. ويذكر محمد الصويان الشاعر عايد الرشيدي، وأن علاقتهما استمرَّت حتى بعد سفر الرشيدي من البدائع إلى الكويت. وقد نقل محمد الصويان عن هؤلاء الشعراء بعض القصائد، أوردناها

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، (علماء نجد خلال ثمانية قرون).

ضمن راواياته الشعرية.

ومن الشعراء القريبين منه ابن عمه (وزوج ابنته) عبد الله بن إبراهيم الصويان، وهو أحد الشعراء المعروفين في عنيزة أثناء تلك الفترة، ومن قصائده:

أهلاً هَلا باللي عليه الحيا ضاع
ولى نهيت القلب عيا يطيعِ[1]
الصاحب اللي كل ما جيت مطواع
في شوفه احلى من مراعي الربيعِ[2]
ولاّ على غيري قطوعٍ وطمّاع
ما يبدي الهرجه وراسه رفيعِ[3]
ياما صفا لي والعشاشيق جزّاع
متولّعٍ قلبه علينا يريعِ[4]
وياما هنف لي والمقاديم نسّاع
وياما ضحك بحجيّجٍ له لميعِ[5]
من خاطرٍ سمح ولا هوب جزاع
ولاَ سمح لي كاسب بي صنيعِ[6]

---

(١) عيا: أبى.
(٢) مطواع: منقاد. أحلا: رؤيته أحلى وألذ من المرعى في الربيع.
(٣) ولا: وإلا.
(٤) يريعي: يعطف.
(٥) هنف: خضع. المقاديم: الظفيرتان. نساع: متدليتان. حجيج: تصغير لحجاج وهو الجبهة.
(٦) كاسب بي صنيعي: صنع بي معروفاً.

يـا مـا عليـــه القـلـب يـالـه ويـلاّع

قبـل الفلـك ينـدار عجـلٍ ســريعِ

والـلـي يـــعـل القـلـب رده الــى راع

وان طَـوَّل الغيبـه فقلبي يضـبعِ

مـن علـة مـا تنشــكي مثـل الاوجـاع

ولا ودَنــا لـلـنــاس فعلـه يشــيعِ

ياما لوينـا بـه مـن القيـل مصــراع

ومـن لامنـي يـرمـى بـنـار الصـــريع(١)

لـو حـال دونـه حفـرةٍ خمســة ابـواع

قـلـب المـولـع مـثـل قـلـب الرضـــيع

وداورت انـا قلبـي علـى كل الاســناع

وازرى يـطـيـعـن بـالمـوده يـذيــع(٢)

ومـن لا يحوشـه خاسـرٍ لـو شـرى بـاع

قَســمه يصير من الفواكـه رجيـع(٣)

يـا عنـق ريمٍ طالـع الـزول ونْصَــاع

قَنَـاصـهـا يـاطـا الـوهـط والـنـقيـــع(٤)

---

(١) لوينا به من القيل مصراع : قال من أبيات في الشعر . الصريعي : الهشيم .

(٢) وداورت انا قلبي على كل الاسناع : لم يطاوعه قلبه في جميع ما أراد . أزرى : أبى . يذيعي : يذعن أو يعلن مودته .

(٣) يحوشه : يدركه . رجيعي : نفاية .

(٤) ونصاع : انحرف بسرعة . الوهط : نوع من الشوك .

الى عطا للدعب راغت مع القاع

تعطي النوازي قلبها مستليع(١)

ولاّ طِليعٍ قافلٍ عقب مفزاع

ومضرّيه بالكون رد القطيع(٢)

ركابها بالكون بَتْعٍ وقطاع

مضراب رمحه تقل مدخال ريع(٣)

ولاّ قناةٍ علقت عقب مرباع

ما صنته قنَايها للمبيع

يا عين حر طالع الصيد بالقاع

الى حذف من راس رجمٍ رفيعِ(٤)

لعل عينه ما يجي جفنه ارجاع

وسالم عن كل شي فجيعِ

يا سِيْد من حطّ الخواتم بالاصباع

جعل النبي الهاشمي لك شفيعِ

---

(١) الدعب: مجرى سيل منخفض. راغت: ذهبت. النوازي: المرتفعات. مستليعي: متولع.

(٢) قافل: الفرس العائدة بعد الإغارة. مضريه: مدربه. الكون: المعركة. القطيعي: المتبقي بعد المعركة.

(٣) بتع: شجاع ويتحمل الشدائد.

(٤) حر: نوع من الصقور.

ومن ضمن قصائد عبد الله الصويان :

يـا مـل قلـبٍ علـى الراحـات والشــده

مـا ينعـذل لـو عطـاه الشـيب بقبـالِ

الـى اعتـرض لـه عنـود الريـم فـي خده

والوجـد مـن عادتـه مـا هـوب ينـجـالِ

الصاحـب اللـي صفاهـا ليـه منسـدّه

نقـض جـروح عطيبـه وامتحـن حالي

والله لـو ينتـحـي يمّـة بحـر جـده

مانسـاه والهـرج مـا ينفـع والامثـال

امـا حصـل حُبـةٍ تبريـن مـن خـدّه

وَاليِـهْ فـي سـاعةٍ مـا عندنـا رالِ

بالـك تعـذر لنـا وتبيُّن الصـدّه

واعطيـك ميثـاق رعهـرد علـى حالي

انـي فـلا ابوفكـم لـو طالـت المدة

وانسـى جميـل مضـى لـي يـوم الاقبـال

نرعـى الزهـر والثمر والقـرن انا شـدّه

وان عـلّ عـلّ الظوامي بَشْـهَب اللالي

يابـو ثليـل علـى الامتـان وان كـدّه

ذيـل اشـقرٍ بالملاقـا يحصـن التالـي

ومن ضمن قصائد عبد الله الصويان، هذه القصيدة في حرب فلسطين:

قال راع المثل يالسامعين
ما على الله ترى شَيٍ يكود
يوم قلبي تهيض بالكنين
مثل نظم الجواهر بالعقود
بالله انك تعز المسلمين
وانزل الرعب بقلب اليهود
انت قواتنا وانت العوين
اجعل العز دايم للسعود
يوم سرنا عليهم جازمين
مثل ورد الظمايا للعدود
ما نفع شبكهم لو هو حصين
والمباني ولو كانت عقود
طَيَّروا عَجّهن مثل الطحين
والمدافع مثل حِسّ الرعود
يوم دَلّت تناطق له رطين
ادبروا كنهم وصف القرود
وانتخوا للمراكب هاربين
مثل وصف الغنم بين الاسود

ثم صِحْنَا عليهم بالسنين

صيحة الدين ما عنها قعود

اشهد ان الفخر للحاضرين

من بلاد العجم لين الهنود

فعلهم بَيِّنٍ يالزاهدين

كل يومٍ عن الهقوه يزود

ياهل الدين وانتم بينين

دافعوا دون نقاض الجعود

دافعوا دون دارٍ ما تزين

لين تنجلي عنه كل اليهود

والله اللي وعدنا باليقين

تنطفي نارهم عقب الوقود

وقال الشاعر عبد الله بن إبراهيم الصويان في الفخر :

الطير الى منّه نوى له بنيّه

صفق جناحه وابعد الحوم بالريش

وانا الى ضاقت هومي عليه

دنيت ما يطوي الفيافي من الجيش(١)

يا ما قطعنا فرقهن من ثِنِيَّه

إنْدَوْر النوماس هو والمعاويش(٢)

ولا نرتع الا بالرياض العذيّه

ولا نارد الا فوق عِدٍّ نشانيش(٣)

واقلط نهار الكون في كل هَيَه

لى زغرتوا من فوقهن اللواليش(٤)

وارد على حوض الخطر والمنيه

يقطعك ياراس بْلَيَا نغاميش(٥)

يا ما ثنينا دون راع الونيه

لى دندنت بمشرك بالمراهيش

(١) الجيش : الإبل .

(٢) النوماس : العز . المعاويش : المعاش .

(٣) عد : مورد الماء العذب .

(٤) اقلط : تقدم . هيه : معركة . زغرتوا : يزغردون بعد الانتصار وهم على ظهور الإبل والخيل .

(٥) نغاميش : طرب وانتعاش .

يوم الردي بالضيق خلا خويه

لى صفحن مثل النعام المشاويش(١)

لعيون من ذوب العسل في شفيه

ابو دليقٍ فوق متنه عكاريش(٢)

ولا ينبكي عصر مضى له رغيه

اما حصل مثله زماني فلا اعيش

وقال رحمه الله وهو مريض:

الا ياالله يا مشفي المريضِ

تزيل الباس عن نفس عليله

انا متكلف توحي جضيضي

ولا لي غير طب الله بزيله(٣)

وشوف الدمع من عيني يفيضِ

تِكُفّ العين من حامي هليله(٤)

ولا لي من تدابيره فضيضِ

ولكن عادة المولى جميله(٥)

---

(١) يوم الردي بالضيق خلا خويه: الرجل الرديء يترك صاحبه وقت الضيق. لى صفحن مثل النعام: الإبل إذا مشت سوياً تشبه النعام إذا أخذ حذره.

(٢) شفيه: شفتيه. دليق: ذوائب الشعر. متنه: كتفه. عكاريش: متجمع.

(٣) جضيضه: تضجره وأنينه.

(٤) تكف العين: تعمى العيون بسبب البكاء.

(٥) فضيضي: مفر.

مثل ما بين فتحة وتغميض

يدير الطرف بالعين الجليله[١]

شويت الجنب بالمكوى النجيض

ثمان سنين والمده طويله[٢]

الا يالله للصابر تعيض

عوضك الجود يا حامي دخيله

ويتضح من كلام محمد الصويان الاهتمام الشعبي العام في الشعر والأدب في تلك الفترة. . . اهتمام أدبي من قِبَل النساء والرجال. . . نرى ذلك في تلك الأمسيات الشعرية والأدبية التي كان يحضرها الحضر والبدو على حدٍّ السواء. . . ونراه في الجلسات الأدبية الخاصة بين المهتمين. ولذلك كثيراً ما كان الناس يعبِّرون عن مشاعرهم بأبيات من الشعر، قد تكون بسيطة وعفوية، ولكنها توضِّح اهتمام الناس بالشعر والأدب. وإضافة إلى ما رواه محمد الصويان من قصائد، هذه روايات أخرى سمعتها من كبار السن في الشنانة، ومنها قول إحداهن:

يا ونتي ما دريوا الناس واهلي

والله علي المشترف يوم ونيت

على عشير مد القدح لي

مدالقدح وقال: اني على الهجن شديت

(١) يشير إلى قول الشاعر العربي:

ما بين طرفة عين وانتباهتها يبدل الله من حال إلى حال

(٢) يشير إلى أنه أكثر من الكي في جنبيه طلباً للعافية؛ حيث إن الكي نوع من التطبب عند العرب.

ومد القدح لي يا بعد عزوته لي
يا عايضٍ بالحي واللي بعد ميت
وعيا لساني لا يحاكيه بحلي
وعيت عيوني لا تراعيه واغضيت
وعيا قعودي لا يودّيني اهلي
وازرت عظامي لا تودينى البيت(١)

وقالت أخرى:

يالله يهيي لي على قد بالي
غليّمٍ تو الشعر مقبلٍ بيه
راعي معاميل وهو مطرشان
ويدق نجره كلّ من مرّ يوحيه(٢)
ويسنّد الخنجر ويقعد قبالي
واصب له من دلة الغي وأسقيه
واروح انا وإياه باحلى منامِ
وعبيدةٍ لي تزعب الما وترقيه
لا له اخيات ولا له عوانِ
شيخٍ وشجاعٍ ولا له ام تقرّيه

(١) القعود: ولد الناقة.
(٢) مطرشاني: كثير السفر.

وقال سليمان الخليفة من أهل الشنانة:

لا هنت بالله ما معك عود كبريت
والا معك ضوٍ اولع سبيلي[1]
ما زلّ ليلة وأنت بالحلم ما جيت
يقطع حلوم الليل ما له ظويل
يوم ارجهنّ صويحبي واستلهيت
راحت حلوم الليل تتلي الجفيل[2]
يا زين ليتك يوم سنّدت مريت
مريت لو مالك علينا دليل
يا زين وش بك يوم شفتن تخطيت
تقول انا دايره هروج الليل

وعندما توفيت زوجة الوهيبي، من أهل البدائع، وتركت طفلتين صغيرتين: منيرة وعمرها سنتان، ونورة وعمرها سنة، ودخل خالهن بيت أخته بعد صلاة المغرب، وقد ذهب بقية الأطفال إلى أهاليهم، فرأى الحزن في عيني البنتين، فقال:

يا ونتي ونة منيره ونوره
وعلى امهن وان صار بين العشاوين
وان صيّحت نوره تراه معذوره
وانا اشهد ان اليتم بوجيههن شين

---

(١) ضو: نار.
(٢) ارجهن: اطمأن.

وقال أحدهم:

يا راكب من عندنا صيعريه
حمرا قفّوا من زين عنّاه
وتلفي لنا حماد زين الونيه
وإلا محمد كل يوم أتمناه
قفّوا وخلوني على المهمهيه
عند الشويب والعجوز المرضّاه
حلالنا غرسٍ تهزع قنيّه
ماشفت يوم الصيد ياقع بمرباه
ياقع به الصيد والراعبيه
والبط بروس الزوايد تحلاه
نسيم مع عقلة قرقفيه
مع راس الاسمر تونا ما بدعناه
وابوي جيّد مير نفسه رديه
والى بغينا حاجة ما قضيناه
واقفوا ثلاثين وجونا ثلاثه
والكل منهم تنقل السيف يمناه

وسمع أحدهم فتاة تدعى: حصة، تنادي فتاة أخرى، تدعى أيضاً حصة، فقال:

يـا حـصـة كـالمـت حـصـه

حـصٍّ ولا فـيـه مـرجـان(١)

والخـد يـا حـظ مـن رصّـه

والنـهـد يـا طـلـع رمّـان

ومرَّ راعٍ على فتاتين، اسم كل منهما: مزنة، وكانتا متجملتين بالحنَّاء، فأُعجب بإحداهن، وقال:

العصـر مـرّيت لـي ثنتين

والكل منهن سـنافيه

يـا زيـن كـحـل الـغـضـي بـالـعين

ذباحـة للهـراويـة(٢)

وقـرون مزنـة على بوعيـن

مـجـدَّلات بورديـه

ومن الطريف، أنهما تخاصمتا؛ لأن كل واحدة منهما كانت تزعم أن الراعي قصدها.

وعشق أحدهم فتاة تدعى: نورة، فقال:

يـا ليتني طير ونـورة حمـامـه

واحـطَـهـا بـين الجـنـاحـين واطـيـر

---

(١) الحص: لؤلؤ البحر الأصيل.

(٢) الغضي: الفتاة الخفرة كثيرة الإغضاء بالعين من الحياء.

والله ما اوقع به بجو الشنانه

ما احطها بالعنى إلا من ورا كير

وذهب أحدهم (أبو هيا) ليشرب بعض القهوة مع أقاربه، ولكنه لم يجد ترحيباً، فقال:

سيّرت مسيارٍ عسى الله يلدّه

ومن طلعتي مانيب راعي مسايير

ولقيت وجيه الجماعة مصدّه

ولابهم من قال صبحك بالخير

وكان أحد الأشخاص المكفوفين (اسمه الأول: إبراهيم) لا يستطيع السفر للتجارة مثل بقية أبناء المنطقة، وكان يفرح جداً عندما يكون الرجال موجودين في المنزلة (أحد الأحياء) في مدينة البدائع ليدعوه أحدهم للقهوة وتبادل الحديث. وفي أحد الأيام خرج من بيته فلم يجد الرجال الذين كانوا يستقبلونه؛ لأنهم كانوا في رحلة للتجارة مع العقيلات، فقال:

أبوك يالمنزلة كنّه طفت نارك

والى جيتك ما لقيت احدٍ يقهويني

وين الوهيبي الى جيت اوقد اشعالك

وين الصويان هم والجربانِ

وكان محمد الصويان في القصيم، ثم ذهب إلى المدينة المنورة للتجارة. ولما استقر هناك التحقت به زوجته (هيا الصويان). وأثناء تلك الفترة زار أحد البدو بيت أهل الزوجة، فوجد الأم تبكي حزناً على فراق ابنتها، فقال:

عســـاك يا بيتٍ جفيته للمحال

وعســـاك تمحل والعرب مربعين

والوالدة هلّت من الدمع همّـــال

ما قاله القوال شـــوفي بعيني

واليوم مالي حيلةٍ فيه واحتال

ومن دونه اللي هرجهم به رطيـــن

وبعد وفاته تزوجت العمة هيا شخصاً آخر، الذي توفي بعد ذلك... حضنت العمة هيا ابنتها منه مزنة لفترة، وعندما كبرت مزنة ابنة العمة هيا ذهبت لتعيش مع أهل أبيها، وفي الوقت نفسه ذهبت فاطمة (ابنة العمة هيا من زوجها الأول)، وذهب ابن العمة هيا محمد ليعيش مع خاله، وهذه الأمور جميعها أثرت على العمة هيا. وفي أحد الأيام زارتها إحدى صديقاتها، وقالت لها:

وشـــلونك عقب روحة مزينه

مستانسة والا خاطرك مشـــتان

وعســـى محمد عنه الاخبار زينه

نعمٍ بخاله موفي كل ديّـــان

وقالت إحداهن:

اليوم ما جيت الصويسان ياخيي

يعل اهل سهل النبا طيبين

واطلب لعل الورع ماصايبه شي

عساه ورعٍ طيبٍ كل حين

وقال آخر:

ياحسين داويتك وانا باتداوى

ومالي على ناب الردايف جروّه

وان طلبت الحق ياحسين ماوى

قلب متينٍ ما يعرف المروّه

وقال إحداهن:

واتل قلبي يوم الردن تلّه

واقفى يجر الردن هو والعباة

ياصاحبي فرع الشنانة مقرّه

راعي غروسٍ حطّهن بالمرة

ماهب لا شرق ولا مقبلات

غرايسه تسعمية يوم عديت

مـضـرب غـرسـاتـه طـويـل عـريـض

هـذا وأنـا بحسـابهن مـا تعنيـت

وفي مدينة الخرج سكن أحد الأشخاص[١]، غير قصيمي، في حي معظم الساكنين فيه من القصيم، فلم يكن مرتاحاً في سكنه، فقال هذه الأبيات:

الحيـل بيـد الولـي مابيـدي حيـلـه

وانـا اجنبي واكثر الجيـران قصـمان

ودي بفرقـا البلـد لاشـك لـي عيلـه

مـاودّي اقفـي واخلـي فيـه ورعـان

الحمـدلله اخـذت اليـوم والليله

مايطـرق البـاب غيـر ام الربيعـان

وزار أحدهم خالاً له، وتأخر تقديم العشاء وكان الرجل جائعاً، فقال:

عـزّي لـمن يرجـي العشـا مـن ورا الخال

كـلٍّ رقـد وانـا اتحـرى صـواله

والكايـده ان كان العشـا صار خضّـار

من الرخيمي الى سقى السـيل واديه[٢]

وأتى شخص من القصيم ليعمل في شركة أرامكو السعودية، فواجه بعض

(١) كما أذكر فإن اسم الشاعر: عبد العزيز اليعيش.

(٢) الرخيمي: نبات مر الطعم.

المشاكل في العمل، فقال:

يا حظك اللي كسب ناموس

من قرد حظي عمت عيني

والله لولا الحيا والدَّين

ماخذت نمرة امريكاني

وان قعدت يوم خصم يومين

والله يلعنك نصراني

ويسبب وضعه المادي الصعب، اضطر للاستدانة من امرأة، اسمها: طعوس، كانت تعمل دلّالة في البدائع تدور بين البيوت لبيع بعض الأغراض، فقال:

الفقر حدّن لدين طعوس

وبذمتي له ريالين

وكان الشخص الذي بدع حي الريدين في الشنانة، شخص من الخليفة يلقب بـ: «شلق»، وكان نشيطاً في عمله فاستطاع بدع القليب وبناء المكان في وقت قصير. وأعجب عمله أحد الأقارب، فقال:

اللي يبي له غرسة مثل شلقان

ياقف على رجله ويشغل بيمناه

وكان شخص من الخليفة يلقب بـ: «الحيزي»، وكان نشيطاً في عمله فاستطاع بدع القليب وبناء المكان في وقت قصير. وأعجب عمله أحد الأقارب، فقال:

ياليـــت الحـيـزي مجلـوب

وابيـع اخـوانـي واشـــــريه

حيـث ان ظهـيـره مصـــبـوب

مثـل البعيـــــــر الرعــاي

وكان الخال منيع الخليفة (من الرداحي) من أشهر أهل الشنانة بزراعة الرمان، ومن ثم يقوم بتصدير الرمان إلى الرياض ومناطق أخرى. وكان منيع متزوجاً من امرأتين. وفي يوم من الأيام كانت المرأتان تقومان بإطعام النياق بمساعدة أحد غلمان الخليفة، ولعل إحدى المرأتين كانت مجهدة، فغضبت على إحدى النياق (اسم الناقة هديبا) بسبب عدم انقيادها ودعت على الناقة، فقال الغلام:

يانـوره علامـك علـى الهجـن تدعيـن

وهـذي هديـــبا زينـة الموجفـات

يا علّ الايفهن من الســــــود عشرين

وعنـد الرداحـي كلهـن ســـانيات

ويســــقّي الرمـان ويدغـج الغـين

وحـزامٍ يطلّعـه للمســـايير وافـي

لعـل حملاتـه يزيـــــدن علـى الفـين

حتـى يوفـون عمّانـي ويرضـي البنـات

ومن الطرائف أن أحد عائلة الصويان، ويلقب (جردان)، كان يعمل مع شخص آخر من عائلة الخليفة، يلقب (عوجان)، في مزرعة في الشنانة اسمها: المصرقعية.

وحيث إن عوجان كان عاشقاً لإحدى البنات فكان يطلب من أخيه عبد العزيز أن يسني بدلاً منه، ويذهب هو لتبادل الحديث مع البنات عند النعلة لعله يحظى من معشوقته بكلمة. وكان جردان أيضاً عاشقاً لفتاة أخرى منهن، ولكنه لم يكن يرغب في ترك عمله، فتحدث مع عوجان في ذلك، فقال له عوجان هذه الأبيات:

لا يا هنيك بالهني ياصغيدان
وتشرب قراح وشوفةٍ من رقيه
ترى العنى ياخول من حظ جردان
وراعي المقرود عينه شقيه
وكب السواني وافتضح يابن علوان
ورجليه من كثر التردد حفيّه
العشق ياجردان ما سرّ عوجان
ماله جدا الا بس يصفّق ايديه
ياليت من يسني سواني الصغيدان
واعطيه زود ريال واسني سوانيه
واقابل اللي نهدها تقل رمان
والا حقيق العاج مطبّق فيه

ومن الطرائف أن أحد الأشخاص كان يعشق فتاة، ولكن شخصاً آخر خطبها، وكان الخاطب (أبو صويلح) موسراً وصاحب جاه، فوافق أبو البنت (ولقبه شبكنّة) على تزويجها. ومن الاستعجال تمت الخطبة والملكة والتزويج في فترة الصباح من

اليوم نفسه، ودخل الرجل بتلك الفتاة بعد الظهر. فقال الشاب عاشق الفتاة هذه الأبيات:

ولا سفا بغزّاي لمغيزل العين

واللي جوزها بلا جهاز

والعام تسوى عندنا وقم الالفين

واليوم ماتسوى ثلاث البياز

شبكنَة يارب عطه الطواعين

وانا اشهد ياشبكنة انك خنازي

متنومسٍ انه حط لك رطبتين

عطاك طحله ياخفيف المرازي

وابو صويلح مدعيٍ الذيل قبعين

وظهريّه كنه يروس الحرازي

وغضبت إحدى البنات على امرأة عجوز بسبب تدخل العجوز في بعض الأمور، فقالت الفتاة:

انت عجوزٍ مانويتي تموتين

يمديك من كثر السنين انحنيتي

كم من عشير عن عشيرٍ محيتيه

واذا جا العْشا عند البويب انحنيتي

وانــت عجــوزٍ شبّيتي القباســـي

مــا تمــرحين الـليـل يالنّــــاريّه

عســى وليـدك بيـد الذبّـــاحي

وبنتـك تلعـب بــه الطرقيّـه

وغضب فتى على إحدى العجائز، فقال:

جتنـا عجـوز الســـو مـن بين الاوسـاع

كِـد فرّقـت بيـني وبـين خلّـي

قالـت خليلـك مســـته الاوجـاع

مـن عقـب خـده يقـادي الســـجل

وكان شخص اسمه: جار الله[١] متزوجاً من إحدى بنات الخليفة، وكان الرجال والنساء يذهبون للمرعى لجلب الحشيش، فلاحظت إحدى النساء أن جار الله يطيل النظر إلى فتاة أخرى اسمها منيرة فأرادت تنبيه زوجة جار الله، فقالت:

حـشـت مـنـيـره مـع جـــار الله

مـيـر اقـمـحـي يـالخـلـيـفـيه

ابـوتـس والله باثـــر والله

مـاهـالســـــواني الـهـيـه[٢]

---

(١) جار الله من أسرة أخرى غير الخليفة نحتفظ باسمها.

(٢) ابوتس: أي أبوك، ولكن كتبتها حسب نطقها باللهجة القصيمية، والمقصود تنبيه.

تـولّجـتـس بـنـت خـلـق الله

تـقـل تـبـي مـنـتـس مـالـيـه[١]

وكان أحد الأشخاص (الغلمان) يعدِّل البعارين، وأحياناً يكون معه في الحوش نفسه مجموعة من البنات، فخشي أبو البنات أن يحدث أمور غير مناسبة فأطلّ على الحوش من خلال ثقب صغير في الباب، وانتبه الغلام لتلك الحركة، فقال:

يـامـن عـينٍ تـنـحـر الجـحـر وتْـويـق

والـهـقـوه يـا زيـن انّـهْ عـين عـمّـي

تصيد الـعـرّات بـيض الطواعيـن

يـالله المطلـوب لا تمتحنّـي

ورأى أحدهم مجموعة من الغيد يمشين[٢]، فقال:

يـا ثـلاث سـندن يـرعـن قـطـيف

والرابعـة مشـخص ولا عديتهـا

وبـنـت .... تـسـنـد عسيف

ورقيـة .... وش عذروبهـا

وبـنـت المـطـوع مـالـه وصـيـف

والمسـك والريحـان حـط بجيبهـا

---

(١) تولجتس: تولجتك مكتوبة باللهجة القصيمية التي تقلب الكاف إلى (تس) أحياناً، والمقصود أن منيرة تقصدت زوجة جار الله، وكأنها تطلب منها مالاً بإلحاح.

(٢) لم أذكر أسماء البنات تجنباً للإحراج.

وقال أحدهم:

هذولا الخليفة مسمّين
يكفون شر الثليمه
واللي يبي البذر الندي
عند الخليفه ينلقي

الخـــاتمة

محمد بن سليمان الصويان. . . حياة حافلة بالجهاد والمغامرة. . . زانها خُلُق نبيل. . . وحِسٌّ أدبي مرهف. . . وذاكرة قوية. . . فسجَّل الكثير مما رأى وسمع.

حاولت جاهداً توثيق ما وصل إليَّ منه، وأعتقد أن ذلك مهم جداً؛ لأنه يعكس نظرة جديدة لتلك الفترة من تاريخ منطقة القصيم. . . الفترة التي تزامنت مع تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله تعالى.

هذا التوثيق، يذكرنا بنعمة الله على المسلمين في هذه البلاد؛ إذ يسَّر للملك عبد العزيز جهوده في توحيد المملكة العربية السعودية، فتغير الأمن بالخوف. . . والعلم بالجهل. . . والغنى بشظف العيش.

وأودُّ التأكيد على أن الهدف من الكتاب هو التوثيق والاعتبار، وما كان فيه من وِجهات نظر، فهي صواب يحتمل الخطأ. . . وما كان صواباً فمن الله. . . وما كان خطأ فمن نفسي والشيطان. . . آملاً ممن قرأ الكتاب أن لا يبخل عليَّ بإبداء ملاحظاته وانتقاداته.

والحمد لله رب العالمين.

الملحق (١)

بنو صخر

بنو صخر

نسبهم:

بنو صخر فرع من قبيلة طيء[١]، القبيلة العربية المشهورة. ومِنْ أقدم النصوص التاريخية التي ذُكِرت فيها قبيلة بني صخر ما ذكره الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب)؛ حيث قسم جزيرة العرب إلى أقاليم، ثم ذكر ميزات كل إقليم وما فيه من المدن والقرى والجبال والأودية، ثم ذكر من يسكن كل إقليم من القبائل العربية. وفي هذا السياق قال الهمداني[٢]: (ثم من الحجر إلى تيماء موضع السموأل في دهناء ثلاث مراحل بطان، ويسكن ما بين ذلك من طيء بنو صخر وإخوتها بنو عمرو، وبطن من بحتر، وقرار تيماء اليوم لطيء). ويتضح مما ذكره الهمداني، الذي عاش في الفترة ٢٨٠ - ٣٤١هـ، أن بني صخر من طيء ومعهم فروع أخرى من قبيلة طيء هم سكان المنطقة الممتدة من الحجر (وهو يبعد حوالي ٢٥ كيلو متراً إلى الشمال من مدينة العلا) إلى تيماء.

وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر[٣] في كتابه المسمى: (جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد) في مجال حديثه عن قبيلة بني صخر أنه قد جاء في كتاب: (نَسَب معد واليمن) لهشام ابن الكلبي، وهو مخطوط: صخر بن جرم وهو ثعلبة بن عمرو ابن الغوث بن طيء. وهشام بن الكلبي توفي عام ٢٠٤ هـ.

كما جاء في الجزء الثالث من كتاب (المعجم الجغرافي لشمال غرب المملكة العربية

(١) حمد الجاسر، (جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد)، صفحة ٤٣٥.
(٢) الهمداني، (صفة جزيرة العرب)، صفحة ٢٧٣ - ٢٧٤.
(٣) حمد الجاسر، (جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد)، صفحة ٤٣٨.

السعودية) للشيخ حمد الجاسر[١]، نقلاً عن كتاب مخطوط باسم: (كتاب الأمكنة والمياه والجبال والآثار) لأبي الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندري الفزاري، وهو من أهل القرن السادس الهجري، عند كلامه عن جبل (مُتالع)، قال: متالع جبل في بلاد طيء وملاصق لأجأ بينهما طريق لبني جوين من جرم طيء، ويقال له: متالع الأبيض، وجبل أيضاً في بلادهم (بلاد طيء) لبني صخر بن جرم، بينه وبين أجأ ليلة، يقال له: متالع الأسود. كما جاء في الكتاب نفسه عند كلامه عن موضع (مضاجر) ما يلي[٢]: (قال نصر الإسكندري هي هضيبات غربي أساهيب وهي هضبات فيها مصانع لبني جوين وبني صخر من طيء)، وعند كلامه عن قرية (محضر) قال[٣]: (هي قرية بأجأ لصخر وعمرو وجوين وشمجي بطون من طيء).

وجاء في كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي[٤]، الذي توفي ٦٢٦ هـ، عند كلامه عن (عُرَدة) ما يلي: (العُرَدة بالضم: ماء عُدَّ من مياه بني صخر من طيء، وهو بين العلا وتيماء وجفر عنزة في أرض ذات رمل وجبال مقطعة).

وفي الجزء السادس من كتاب (تاريخ ابن خلدون)، الذي عاش في الفترة ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ، وفي مجال الحديث عن قبيلة طيء وفروعها والأماكن التي استوطنتها وعلاقتها بالقبائل الأخرى، نقل ابن خلدون عن ابن سعيد المغربي، الذي عاش في الفترة ٦١٠ - ٦٨٥ هـ، قوله[٥]: (وبنو صخر منهم، في جهة تيماء بين الشام وخيبر).

---

(١) حمد الجاسر، (المعجم الجغرافي لشمال غرب المملكة العربية السعودية)، صفحة ٩٩٥ - ٩٩٦.

(٢) حمد الجاسر، (المعجم الجغرافي لشمال غرب المملكة العربية السعودية)، صفحة ١٢٣٤- ١٢٣٥.

(٣) حمد الجاسر، (المعجم الجغرافي لشمال غرب المملكة العربية السعودية)، صفحة ١١٩٨.

(٤) ياقوت الحموي، (معجم البلدان)، صفحة ١٢١١.

(٥) ابن خلدون، (تاريخ ابن خلدون)، الجزء السادس، صفحة ٩.

وقد ذكر الدكتور عبد الله آدم نصيف[1] في كتابه (العلا - دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي)، أن صلاح الدين الصفدي، عندما مر بالحجر والعلا في طريقه إلى الحج عام ٧٥٥هـ، ذكر أن بني صخر موجودون في الحجر.

وذكر القلقشندي[2] (٧٥٦ - ٨٢١ هـ) في كتابه (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب)، أن بني صخر بطن من طيء القحطانية، منازلهم ما بين تيماء وخيبر والشام.

وذكر الزبيدي[3]، الذي توفي عام ١٢٠٥هـ، في كتابه (تاج العروس) عند حديثه عن جبل (مُتالع) ما يلي: (ومتالع، بالضم، جبل بالبادية، في بلاد طيء ملاصق لأجأ، بينهما طريق لبني جوين بن جرم طيء، ويقال له: متالع الأبيض، وجبل أيضاً في بلادهم لبني صخر بن جرم، بينه وبين أجأ ليلة، يقال له: متالع الأسود).

وفي كتاب (المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب)، ذكر عبد الرحمن بن زيد المغيري اللامي (١٢٨٥- ١٣٦٥هـ)، أثناء تعداد المؤلف لفروع وبطون قبيلة طيء ما يلي[4]: (ومن بطون طيء، بنو صخر بطن من ثعل، منازلهم تيماء، وفي خيبر والشام منهم بطون). وفي نسبة بني صخر إلى ثعل - كما أشار المغيري - نظر؛ حيث إن ذلك مخالف لما ذكره الأقدمون، مما نقلناه فيما تقدم من نسبة بني صخر إلى جرم (واسمه ثعلبة)، ولكنه يؤكد نسبة بني صخر إلى قبيلة طيء.

وفي كتاب (معجم قبائل الحجاز) لعاتق بن غيث البلادي، ذكر المؤلف[5] قبيلة

---

(١) عبد الله آدم نصيف، (العلا - دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي)، صفحة ٥٦.
(٢) القلقشندي، (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب)، صفحة ٣١٣.
(٣) السيد المرتضى الزبيدي، (تاج العروس من جواهر القاموس)، صفحة ٢٨٤١.
(٤) عبد الرحمن بن حمد المغيري، (المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب)، صفحة ٢٦٤.
(٥) عاتق بن غيث البلادي، (معجم قبائل الحجاز)، صفحة ٢٦٢.

بني صخر الموجودة حالياً إلى الجنوب وإلى الشرق من مدينة عمان في المملكة الأردنية الهاشمية، وقال: (ويرجَّح أن بني صخر هؤلاء يرجع نسبهم إلى طيء).

بطونهم[1]:

تنقسم قبيلة بني صخر إلى ثلاث بطون رئيسة، وهم الطوقة والكعابنة وخضير.

أولاً: الطوقة:

نسبة إلى طويق بن حمد من بني صخر، وله أربعة أبناء: (غبين، غفل، علقم، طبطب):

أ - غبين، وتنقسم ذريته إلى:

• الفايز: وهم أبناء فايز بن فاضل بن ارحمه بن غبين بن امجيد بن طويق، وفيهم مشيخة الغبين.

ويتكون الفايز من العشائر التالية: الفندي (وهم: السطام، والصفوق، والسطم، والذياب، والبرجس، والهزاع، والصحن، والجنيبات، والبخيت، والنمر، والمحمود، والقعدان، والكنيعان، والصقر، والغوري، والدعاك).

• الحامد: (وهم أبناء حامد بن فاضل بن ارحمه بن غبين بن امجيد بن طويق).

ويتكون الحامد من العشائر التالية: الفياض، والمناحي، والكايد، والمعيدي،

---

(١) نسيم محمد العكش، (العشائر الأردنية بين الماضي والحاضر)، الجزء الثاني، صفحة ٥٥٦. وقد عد بعض المؤلفين (خضير) جزءاً من الطوقة، وهم ليسوا كذلك، بل هم بطن مستقل، كما أشار إلى ذلك مفلح الفايز في كتابه.

والجغثم، والعقاب، والعتيق، والمناحي، والبريكان، والسمارة، والعزيِّز، والعصيفير.

• الفضل: (وهم أبناء فضل بن ارحمه بن غبين بن امجيد بن طويق).

ويتكون الفضل من العوائل التالية: الصوَّان، والبصيص، والبنيَّان، والطعيمة.

• المطيرات: (وهم أبناء مطير بن سلامة بن غبين بن امجيد بن طويق).

ويتكون المطيرات من العشائر التالية: الجباهين، والدهمان، والطعامسة، والبصيص، والطفالي، والكدران، والضفيدع، والرديني، والفاعور، والحموان، والموعد، والطليحان (وهم السويلم والهضيبان)، والهتيان، والمذهان (وهم غير المذهان من الدهام).

• الدغيِّم: وهم أبناء دغيِّم بن غبين بن امجيد بن طويق.

ويتكون الدغيِّم من العشائر التالية: الشوشان، والمساردة، والهيمة، والدغيلات، والمخايطة، والعفنان.

ب - غفل، وتنقسم ذريته إلى:

• العامر: وهم أبناء عامر بن غفل بن امجيد بن طويق).

ويتكون العامر من العشائر التالية:

١ - الزبن (وهم أبناء زبن بن فرج بن امحمود بن ارشود بن زبن بن عامر بن غفل)، وفيهم مشيخة العامر، ويتألفون من:

أ) العبد القادر، ومنهم: الدريعي (ومنهم: القمعان، والهديرس)، والفارس، والفضيل، والغاشم، والمذود.

ب) النوفل، ومنهم: الشلاش، والدريبي، والفهار (ومنهم: المناور، والحيدر، والفهد).

ت) الطلاَّق، ومنهم: البنية، والفهران، والبطحي.

٢ - العثمان، ومنهم: المحمد، والمقحم، والنويران، والشايع، والخلف، والعلوق، والجدوع، والدهيثم، والرويشد.

٣ - الخزون، ومنهم: الرشيد، والخربش، والغصيب.

٤ - الملحم، ومنهم: الصبيح، والجلباط، والخشان.

٥ - المسْلم، وهم أبناء مسلم بن عامر بن امجيد، ومنهم: العتيق (وهم: القفعان، والغوري، والرايس، والعديليين)، والقيضي (وهم: الفليح، واللاهد، والردَّاد، والقنهاء، والجدُّوع)، والمسلَّم (وهم: الزعوق والبرَّاك والعيد).

٦ - الشمُّوط، وهم أبناء شموط بن سلامة بن عامر بن غفل، ويتألفون من:

أ) الفاضل، وهم: الدغيمان (وهم: الخضر، وراعي النويقة، والمسلَّم، والجملا، والثويني)، والزناحيت (وهم: الطليحان، والسعود)، والسريِّع.

ب) البكر، وهم: العيَّاط، والطوسة، والفرادي، والجضارمة، والغظيَّان،

والخليوات.

ت) السعيد، وهم: العِرجان، والمرّان، والشخوت، والنافع.

٧ - المحارب، وهم أبناء محارب بن غفل بن امجيد، وينقسمون إلى المذيب (وهم: الفلُوح، والجدعان، والخطار، والحماظلة، واللهيلم، والطلافيح، والشحون، والعلّيق، والنفيخ)، والسالم (وهم: العوينـد، والثنيّان (ومنهم: الشيوان، والشلحان، والصعر).

٨ - البقوق، ويقال لهم: العميريس.

• الهقيش، (وهم أبناء هقيش بن مسعد بن غفل بن امجيد بن طويق، ومشيختهم في الموره).

ويتكون الهقيش من العشائر التالية:

١ - البشير، (وهم: العيطان، والعطني، والشنون، والعدينان، والنُّبُع، والحبيب، والجويعد).

٢ - السالم، (وهم: الرشيد، والدليمان، والمعيش).

٣ - السليم، (وهم الصحينات).

٤ - المورة (أو المور).

٥ - النيف.

٦ - المهنا.

• الزيدان، وهم أبناء زيدان بن مسعد بن غفل بن امجيد بن طويق.

ويتكون الزيدان من العشائر التالية: البركة، والبخيت، والحمدان، والسلامة، والرغبان، والهلال، والزعل، والحويّان، والرفيفان، والعطنان، والقهيان، والسكران، والصلال، والسمير، والجدُوع، والمحارب (وهم غير المحارب من العامر)، والكْوَرة، والمغاسلة.

ج - **علقم** (ومنهم السحيم، وهم الآن بعلم الهقيش من الغفل، نظراً لقلة ذريتهم بسبب كثرة الحروب التي خاضوها).

د - **طبطب**، ومن ذريته القعود والرقبان وهم الآن بعلم الحامد من الغبين.

ثانياً: الكعابنة

وهم عشيرتان: المحمد والعلي.

• **المحمد**: وهم بنو محمد بن سالم بن محمد بن كعب، ومشيختهم في «آل الخريشا».

ويتكون المحمد من العشائر التالية:

الخرشان (وهم: الحنيف، والثمد، والسلمان، والقدرو، والعيطة، والحمد، والصالح، والكليب، والملحم)، والحماد (وهم: مزينة، والسندات، والموسرين)، والقضاة (وهم: الرجب، والهوينة، والسبيلة).

• **العلي**: وهم بنو علي بن سالم بن محمد بن كعب، ويطلق عليهم الجبور.

ويتكون الجبور من عشيرتين: الفريج، والدهام.

١ - الفريج (وهم أبناء فريج بن منزّل بن سالم بن جبر بن عبد الرحمن بن علي

بن محمد من بني صخر).

ويتألف الفريج من الفخوذ التالية:

أ) الزهير، (وهم شيوخ الجبور)

ب) الجودة، (وهم: السليمان، والهويشان، والعجل، والطراد، والحمدان، واللاحم، وهم: الحميِّر، والبطون).

ت) العويدات، (وهم العيادة، والبشر، والعقيل، والحريزان).

ث) الخنان، وهم أبناء فراج بن منزّل، وهم: السكران، والعلوان، والعساف، والمسْلم (بتسكين السين).

ج) الهدبا، وهم أبناء جريدة شقيق منّزل، وليسوا من الفريج كما عدهم البعض ولكنهم بسبب قلَّة ذريتهم دخلوا مع أبناء عمهم الفريج.

ح) الحوالي، وهم أبناء جريدة شقيق منزّل.

٢ - الدهام، ويتألفون من العشائر التالية:

أ) اللويمي، وهم يتفرعون إلى:

١ - المهاوش، (وهم: الطريخم (الدهش والرشيد)، والرشود، والمرشد، والطراد، والشيحان).

٢ - الهزيم، (وهم: المذهان، والحمدان، وابن معيوف، وابن معجل، والقليهي، والفرحان).

٣ - الليلي، (وهم: الثروان، والخليبي، والعويزم).

ب) الرتمة، وهم يتفرعون إلى :

١ - الشعيرات، (وهم: الموسى، والغطيرف، والعون، والشهبان، والبكر، والهذيلان).

٢ - المعمر، (وهم: الكميَّان، والسمرين، والنبهان، والرومي، والريحان، والفاقوش).

ت) الجمعان، وهم يتفرعون إلى: الفريوان، والسمول، والعوين، والهليّل، والعصيفير، والشوشري، واللحيد.

وتحالف مع الجبور الغيالين، وهم من الضياغم، ويتألفون من العشائر التالية :

أ) الدويلان، (وهم: الدويلان، والسنيد، والنعيس، والصملان).

ب) الدمين، (وهم: الزقمان، والسبتي، والخراميط، والدغيِّم، والمدّان، والدواغرة، والدرعات).

ت) الكيان، (وهم: الدوخي، والمحمد، والدرابيس، والعتيق، والشعيبات).

ثالثاً: خضير

وهم أصلاً فرع من الجبور؛ حيث إنهم يلتقون مع الفريج في جدهم سالم بن جبر بن عبد الرحمن، وينقسمون إلى ثلاث عشائر: الفضل، والبرجس، والقنوة.

- **الفضل**، ويتألفون من: اليحيا، والهليل، والمزاهيف، والحصان، ومن الحصان: الجريبيع، وفيهم مشيخة (خضير).

- **البرجس**، وهم: البراذعة (ومنهم: البرقان، والحوران، والدعجان، والربيع).

• **القنوة**، وهم أولاد قني، وهم: البرصان، والهويمل، والرديني (غير رديني المطيرات)، والدويلان (غير دويلان الغيالين)، والمطاوع، والشامان، والضويحي، والفهيد، والصالح، والحجاج، والنوري.

وهذه بعض الأبيات في عشائر بني صخر[١]:

إن جوك غبين نعمٍ ونعمين

نفوس الرجال توطيها

وإن جوك هقيش ركبٍ وجيش

ضيف الله المور بتاليها

وإن جوك قضاه فعلٍ ترضاه

مجول شلفاه محنيها[٢]

وإن جوك خضير المناعير

العرفا تسمع طاريها[٣]

وإن جوك جبور ادفور ادفور

لرح الشابور محاذيها[٤]

وإن جوك خرشان يارمح الزان

الصفرا قايم طاريها

---

(١) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، متفرقة في عدة مواقع من الكتاب.

(٢) الشلفا: سنان الرمح.

(٣) المناعير: الشجعان. طاريها: ذكرها.

(٤) الشابور: مهماز الفرس الذي تُستَحث به على السرعة.

مساكنهم:

مما تقدم، يتضح أن قبيلة بني صخر كانت تسكن، مع بقية قبيلة طيء، بين الجبلين في منطقة حائل. ومع نمو قبيلة طيء، بدأت بعض بطونها تزحف تدريجياً باتجاه الغرب، فسكنت قبيلة بني صخر قرب جبل متالع الأسود، وهو يبعد حوالي سبعين كيلو متراً إلى غرب جبل أجأ. وكان يجاورهم عدد من بطون طيء الأخرى. وتدريجياً نزح إخوتهم بنو عمرو باتجاه الشمال إلى الجوف؛ فسمي جوف بني عمرو[١]. وزحف بنو صخر إلى الغرب، واستقروا في المنطقة التي بين تيماء والعلا. ولذلك ذكر المقريزي في كتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك)[٢]، من ضمن الأحداث التي وقعت عام ٦٦٠هـ، أن الزكاة والعشر وردت من المدينة النبوية إلى السلطان في مصر، وعِدتُها مائة وثمانون جملاً ومبلغ عشرة آلاف درهم، فاستقل السلطان ذلك وأمر برده، فورد بنو صخر وبنو لام وبنوعنزة من عرب الحجاز، والتزموا بزكاة الغنم والإبل، فبعث السلطان معهم شادين لاستخراج ذلك.

وتدل النصوص التاريخية أن بني صخر استقروا فترة من الزمن في مدينة العلا. ومن هذه النصوص الوثيقة التاريخية التي أشار إليها الدكتور عبد الله آدم نصيف[٣] في كتابه: (العلا - دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي)، أن أحمد بن يسرة، جد حمولة الأسيرة الموجودة حالياً في بلدة العلا، اشترى في عام ٧٨٠ هـ عدداً من البيوت، المملوكة لأشخاص من بني صخر في بلدة العلا، ثم هدمها وأقام على

(١) حمد الجاسر، (جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد)، صفحة ٤٣٩.

(٢) المقريزي، (السلوك لمعرفة دول الملوك)، صفحة ١٨٩.

(٣) عبدالله آدم نصيف، (العلا - دراسة في التراث الحضاري والاجتماعي)، صفحة ٦٥، وصفحة ٨٧.

أرضها مسجد الصخرة، وهو من المساجد القديمة المشهورة في بلدة العلا، وما زال قائماً في موقعه في الحي القديم من البلدة. كما ذكر الدكتور نصيف أنه شخصياً نشأ في العلا في بيت يسمى: (بيت الخريشا). وقد ذكر هذا الرحالة علي بن عبد الله الموسوي[1] في خبر رحلته للحجاز عام ١١٢٢ هـ، عند وصوله للعلا، قائلاً: (وفيه قلعة وضباط وذخيرة للحجاج، كذلك القلاع التي يأتي ذكرها من ضباط وذخيرة، وهي قرية عامرة وأشجار مثمرة مع الكثرة، وفيها من النارنج البكري ما يقصر عنه الوصف، والنخل مع الوفور التام، ببنايا وسكان، وهي أملاك لبني صخر وعنزة، وهي من أعظم خيرات السلطان من آل عثمان). وهناك بعض العيون والمزارع والمعالم في البلدة القديمة، تنسب إلى بعض فروع بني صخر. وذكر اللفتننت فريدريك بيك[2] أن بني صخر استقروا في مدينة العلا حوالي مائة عام، ثم نزحوا تدريجياً إلى بادية شرق الأردن. وقد ذكر عاتق البلادي[3] أن نزوح بني صخر من العلا إلى بادية شرق الأردن كان في نهاية القرن الهجري الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر. ومما يدل على مبلغ اعتزاز القبيلة بتاريخها وتراثها في منطقة العلا، ما قاله الشيخ دبيس الفايز معتزاً بقبيلته ومحذراً كل من يريد إذلالها أو النيل من كرامتها، قالها عندما أراد المحفوظ السردي فرض الخاوة على بني صخر وأخذ فرس سبوقة كانت لديهم تسمى: (الهدباء[4])، فقال[5]:

---

(١) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٧٣.

(٢) فريدريك ج. بيك، (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها)، صفحة ٢١٥.

(٣) عاتق البلادي، (رحلات في بلاد العرب)، صفحة ١٩٧.

(٤) ورد في (تاج العروس من جواهر القاموس) للمرتضى الزبيدي، صفحة ٣٩٢٩، أن اسم الفرس هو: (الحدباء).

(٥) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ١٧٣.

حنا صـــــخور ومنازلنا بالعلا

ولاينزل الطمان الا الطمان[١]

ناخذ حقنا بروس سيوفنا

غصبٍ على الحكام والسلطانِ

اول وردةٍ ترد المشـــارع

وثاني وردةٍ ترده امعـــانِ

والمشارع هي مدينة الزرقاء المعروفة، وإمعان هي مدينة معان المعروفة في جنوب الأردن، إشارة إلى سرعة انتقال القبيلة من الشمال إلى الجنوب، وقال ابن رجب[٢]، وهو أحد القضاة الكبار في عشائر الجبور من بني صخر، في معرِض ردِّه على حجة أحد المتقاضيين من بني صخر (الدروب الممشية، والقصور المبنية من جاء جدك من العلا تلحقني إياها ولاتقصرني عنها وأنا أطلع حقك). ويعني ذلك: أن القاضي ابن رجب يعلم الطرفين المتقاضيين عنده وأن بإمكان أي منهما أن يأتي له بسابقة قضائية من نوع القضية التي ينظرها، على أن يحصر زمن تلك السابقة ما بين قدوم بني صخر من العلا وحتى النظر بالقضية المطروحة أمام ابن رجب، ويعبِّر قوله عن الأهمية الكبرى التي يوليها القاضي للسوابق القضائية.

وعندما شرع بنو صخر بالزحف نحو الشمال[٣] اصطدموا بعشائر الظفير الذين كانوا نازلين في الجزء الجنوبي من شرق الأردن حوالي عام ١٠٥٠ هـ؛ حيث نزل بنو

(١) الطمان: المكان المنخفض.

(٢) محمد أبو حسان، (تراث البدو القضائي)، صفحة ٣٣٥.

(٣) فريدريك ج. بيك، (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها)، صفحة ٢١٥.

صخر في منطقة يقال لها: الشعثاء، وهي أرض واسعة بها مرعى جيد، وتقع غربي تل العناب وجنوب شرق منطقة الجفر، وكان الظفير على أبيار الجفر[١]، فطلب منهم بنو صخر أن يخلوا لهم الماء لأجل أن يَرِدُوا عليه لمدة ثلاثة أيام، فرفض شيخ الظفير ابن سويط؛ إلا أن يدفع له بنو صخر ثمن الماء، فتشاور بنو صخر، واتفقوا على أن يَرِدوا الماء غصباً عن الظفير، وفعلاً رحل بنو صخر من موقع الشعثاء، ووردوا على الماء ودارت معركة بينهم وبين الظفير، أسفرت النتيجة عن اندحار الظفير وهربهم شمالاً، فتبعهم بنو صخر واقتتلوا في عدة مواقع[٢]، إلى أن لحقوا بهم في جهات الأزرق، واقتتل الطرفان قتالاً شديداً، كانت نتيجته إنكسار الظفير وقُتِل شيخهم سلطان الصويط في موقع يقال له: شجرات المحيلان بجوار الأزرق من الجهة الغربية ودفن هناك.

وذكر اللفتننانت فريدريك بيك أيضاً أن بني صخر اعتادوا ارتياد المناطق الزراعية على أطراف الهلال الخصيب لابتياع الحبوب أو لقضاء فصل الصيف في جبال شرقي الأردن، وأن الخرشان[٣] كانوا أول بطون بني صخر نزوحاً من العلا إلى بادية شرق الأردن، ثم تبعهم معظم بقية القبيلة. وكان شيخ الخرشان آنذاك محمد حنيف الخريشا. ولما كثر عدد قبيلة بني صخر اصطدموا وعشائر السردية[٤] التي كانت باسطة

---

(١) أحمد عويدي العبادي، (مخطوطة عن عشائر بني صخر)، صفحة ٦.

(٢) أحمد عويدي العبادي، (مخطوطة عن عشيرتي: الخرشان والزبن من بني صخر، وقصائد بدوية أخرى)، صفحة ١.

(٣) ذكر خالد الرديني المطيرات في كتابه (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٤٤٩، أن أول بطون بني صخر نزوحاً من العلا إلى شرقي الأردن، هو بطن خضير، وكان ذلك في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، تقريباً.

(٤) فريدريك ج. بيك، (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها)، صفحة ٢١٥.

سلطانها على حوران؛ حيث حاول أمير السردية وكان يلقب بالمحفوظ أن يُخضِع بني صخر لسلطانه، فطلب منهم الخاوة تلقاء سماحه لهم بدخولهم مناطق نفوذه ، فرفض بنو صخر دفع الخاوة. وكان المحفوظ السردي سمع بقضية الظفير مع بني صخر، فخاف أن تدور عليه الدوائر، فذهب إلى الوالي العثماني بالشام ليستعديه على بني صخر، وقال له: (يوجد فرس، اسمها الهدباء، لا يوجد بالبادية مثلها، ولا تصلح إلا لك، وهي فرس دبيس الموح)، فقال الوالي: (أريد أطلب دبيس وآخذها)، فقال الأمير المحفوظ: (لا تطلب دبيس، أطلبها من سليمان الخريشا، وسليمان هو يقنع دبيس، ويحضرها لك). وفعلاً طلب الوالي سليمان الخريشا، وقال له: (أريدك تجيب الهدباء، فرس دبيس)، فقال سليمان: (دبيس لا يعطينا إياها، ولو قطعنا رأسه)، فقال الوالي: (لا بد تجيب الهدباء، بالدبوس أو الناموس). ولما رأى سليمان أن الوالي مُصِرٌّ على أخذ الهدباء، قال للوالي: (أعطني مهلة شهر حتى أقنع دبيس، وإذا وافق دبيس أعمل لك غداءً، وعندئذٍ يقودها عليك دبيس كهدية أمام الناس، أَستر وأحسن من أخذها بالإجبار)، فوافق الوالي، ورجع سليمان، وأخبر بني صخر بذلك، وقال: كل عرب تشتري مؤنتها وكسوتها، وترحل إلى جهة ثانية، وأنا ودبيس نبقى هنا حتى تخلصوا، وبعد ذلك نرحل)، فتوزعت بنو صخر، وانتقلوا إلى مناطق مختلفة، فذهب بعضهم إلى سوريا، وبعضهم إلى العراق، وبعضهم إلى فلسطين. وقام سليمان الخريشا بدعوة الوالي، وأثناء وجود الوالي مر دبيس مع بعض جماعته على بيت سليمان، وكان دبيس راكباً فرسه، ومدرعاً ومعه سيف ورمح، ولما صار أمام المجلس بشق سليمان، قصد قصيدة بالهدباء، منها:

الهدبا على الوالي ما تنقاد

لو الدم ياصل للاعناق

وبعد أن أنهى قصيدته، سأل الوالي المترجم عن معناها، فأخبره، فقال الوالي: (قل له يذهب بهدباء، لا نريدها). وذهب دبيس وعربه إلى الحجاز، أما سليمان فنزل في منطقة المناسف شمال غرب من الأزرق. وفي أحد الأيام نزل في ضيافته شخص اسمه كنعان، من رجال المحفوظ. ولما رأى الخيل الموجودة عند سليمان، وجدها خمسة وعشرين فرساً. وعرف بنو صخر أنه من رجال الأمير المحفوظ، فتشاوروا في قتله، ولكن سليمان رفض ذلك؛ لأنه ضيف عنده، وسأله: (هل تخبر عنا أننا بالمناسف)، فقال رجل المحفوظ: (عليكم الله وأمان الله لا أخبر أحداً بكم). وكان لسليمان الخريشا بنت تدعى نمشة، ماهرة في عمل خبز اشراك، ويتذاكرون خبزها بين القبائل بقولهم: (عسى ماهو خبز نمشة الخريشا). وفي الصباح قام كنعان بعد الفطور، وقال لسليمان: (يا عمي مشواري بعيد، وأريد تساعدوني بخبز آكل منه في الطريق)، فقال سليمان: (هذه عمتك تخبز، خذ قَدْرَ ما تريد). فأخذ خبزاً معه، وذهب إلى الأمير المحفوظ، فسأله: (ما معك من العلوم؟)، فقال: (معي سليمان الخريشا، وهم خمسة وعشرون خيال موجودون بالمناسف)، فقال الأمير المحفوظ: (سليمان يسكن هنا، وأنا موجود، وبنو صخر تشتتوا... هذا لا يمكن!)، فقال كنعان: (هذا من خبز نمشة)، فلما رأى الخبز، قال: (صحيح!)، وأرسل إلى الوالي يطلب زيادة عسكر نجدة، بحجة وجود قوم مرابطين في طريق الحجاج، وأنه يريد حربهم لفتح الطريق للحجاج، فأرسل له الوالي مجموعة عسكر، وتحرك المحفوظ بالعسكر، لمهاجمة سليمان وجماعته. وعلم سليمان بذلك؛ حيث إن المحفوظ جنَّد عدداً كبيراً من الفرسان بينما بنو صخر لم يكن لديهم إلا القليل من الخيل، فقد كان من العبث أن يقفوا أمام السردية وجهاً لوجه، فكمن بنو صخر لفرسان السردية، حتى إذا بدأ جنود المحفوظ بأخذ الإبل، انقض عليهم فرسان بني صخر وأعملوا فيهم السيف. نجحت

تلك الخدعة، وهلك بها معظم فرسان السردية، وكانت تلك الواقعة أول ضربة نزلت بنفوذ السردية وسيادتهم. وعرف الوالي العثماني أن بني صخر أقوى وأشجع من المحفوظ، فبعث إلى سليمان الخريشا، وكلفه بحماية الحاج، بدلاً من المحفوظ.

وقد قال سليمان الخريشا، بعد تلك الأحداث، قصيدة، منها(١):

سـوّد الله وجـه كـنـعـان

اسـود مـن جـنـاح الـغـرابِ

سـوّد الله وجـه كـنـعـان

بـاق بـالمـلـح والـزادِ

سـوّد الله وجـه كـنـعـان

مـا زال أصـفـر حـوران نـابـي

وقال أيضا(٢):

فرسي عـزوم وركبـها يشده البـال

العذر ما حد يقبله يـوم يبديـه(٣)

لعين من شـف الصبح فنجان

هـوش المحارم لعنبو من يخلّيـه

(١) أحمد عويدي العبادي، (مخطوطة عن عشائر بني صخر)، صفحة ٢٣.

(٢) أحمد عويدي العبادي، (مخطوطة عن عشيرتي: الخرشان والزبن من بني صخر، وقصائد بدوية أخرى)، صفحة ٢.

(٣) عزوم: صاحبة عزيمة وإرادة.

يا محمد العبيـــد ما شفت شامان

ولا شفت شـمّه مع قطيع تناجيه(١)

يـا مـن خبـر خمسة وعشريـن خيال

كـسروا زيـر الشـام وعـنوز تتليه

وقد ورد ضمن أحداث عام ١١٥٥هـ(٢)، أن عرب بني صخر شالوا الحج ذلك العام وكان كل شيء رخيصاً من جميع البضائع، ما عدا المعموك، والشعير المدُّ بنصف وقرش. كما أوكلت الدولة العثمانية لبني صخر حماية طريق قافلة الحج الشامي والسكة الحديدية الحجازية في مناطقهم مقابل مبالغ سنوية من المال، أطلق عليها اسم (الصرَّة). وقد أشار إلى ذلك التنوخي الذي أقام عند بني صخر سنة ١٣٣٢ هـ(١٩١٤ م) بقوله: (وألقينا عصا التسيار عند بني صخر المخيمين قرب قرية الزرقاء، وحللنا ضيفين مستجيرين على شاهر الخريشة، ابن عم حديثة، شيخ هؤلاء الأعراب، ولم نَزَل في سرادق الشيخ لسفره إلى دمشق لاستلام الصرة)(٣).

---

(١) محمد العبيد، هو عبد سليمان الخريشا، أخذ السردية فرسه مع الإبل في بداية المعركة. شامان بن هويمل رجل من بني صخر، أخذ السردية فرسه مع الإبل في بداية المعركة. شمّه بنت عتيق بن بيعان، من بني صخر، قام أحد السردية بطرد جملها حين أوردته ليشرب الماء، ولم يكن هناك من فرسان بني صخر من يساعدها؛ لأن سليمان الخريشا وعربه كانوا في منطقة المناسف، فقالت: (يا سليمان يا فزعتي.. يا عزوتي). ولما وصل الخبر إلى سليمان، قال: (والله يا شمّه بختك.. يا ما أخلي عرب.. يا إنه تصيح مية سردية وسردية عن صيحتك).

(٢) البديري الحلاق، (حوادث دمشق اليومية)، صفحة ٥.

(٣) محمد سالم الطراونة، (رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية بعنوان: تاريخ منطقة البلقاء ومعان والكرك ١٢٨١ - ١٣٣٧هـ/ ١٨٦٤ - ١٩١٨م) عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، صفحة ٤٠٥.

ولما كان الكفاح بين بني صخر والسردية[١] على أشُدِّه، ظهر في الأفق قبيلة أخرى ذات عددٍ وقوة، وهي قبيلة عنزة؛ حيث نزلت طلائع عنزة، وهم الفدعان، في أعالي الفرات، ثم تبعهم ضنا مسلم بقيادة زعيميهم الكبيرين: الطيار وابن سمير. وأثناء هجرة عنزة من الحجاز إلى الشمال، مروا بالجوف، وحاصر الطيار السرحان في الجوف ودحروهم، بينما كان بنو صخر ضاربين خيامهم في جنوب فلسطين. حاول بنو صخر نجدة السرحان، وجمعوا جموعهم تحت قيادة محمد الخريشا، ولما وصلوا الجوف نزلوا على عنزة على حين غرة ودحروها، ولكن عنزة لم تلبث أن أغارت عليهم وهزمت بني صخر، وعطفت على السرحان وأخرجتهم من الجوف جميعاً. بعد هذا الإنكسار خرج بنو صخر والسرحان إلى البلقاء، وتبعتهم عنزة الذين اصطدموا والمحفوظ السردي في معركة حامية الوطيس شمال إربد، وأسفرت النتيجة عن إندحار المحفوظ السردي وحلفائه إلى الشمال وتفرقهم. والتجأ قسم منهم وبنو صخر والسرحان إلى فلسطين، وبذلك انتقلت سيادة البلاد الممتدة من دمشق وحوران إلى الأردن ووادي السرحان والجوف إلى عنزة. ولكن حلف أهل الشمال المؤلَّف من السرحان والعيسى والفحيلي تألَّف مرة أخرى حوالي عام ١٢١٥ هـ (١٨٠٠م) تحت زعامة بني صخر. وتمكن أهل الشمال من الوقوف أمام عنزة وصدها. وفي غضون القرن التاسع عشر الميلادي، أخذ أهل الشمال يخرجون إلى الصحراء صوب وادي السرحان. وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي غزا بنو صخر عنزة عدة مرات[٢] توفقوا فيها كلها تقريباً.

---

(١) فريدريك ج. بيك، (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها)، صفحة ٢١٧.

(٢) فريدريك ج. بيك، (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها)، صفحة ٢١٩.

ويذكر أن الحروب والمعارك بين بني صخر وعنزة استمرت لفترات طويلة؛ فقد ذكر الرحالة روبنسون ليس عند زيارته في أواخر القرن التاسع عشر أن المنطقة الواقعة إلى الشرق من قلعة الزرقاء والمفرق كانت مسرحاً لحروب طاحنة بين عشيرتي: بني صخر والرولة، فقد جرت بينهما معركة دامية سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م) بالقرب من قلعة الزرقاء، وتجدد القتال بينهما سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م) قرب قلعة الزرقاء، وفي سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م) نشبت بين الطرفين معركة قرب المفرق قُتِل فيها أربعون شخصاً من بني صخر، وكان النصر لبني صخر وحلفائهم[١]. كما حدثت معارك كبيرة مع العدوان منها معركة سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١م)، قُتِل فيها الشيخ سطم الفايز. ومع الحويطات وقعت معركة قرب الجفر سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م). وفي سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) وقعت معركة بين بني صخر وقبائل البلقاوية إلى الشمال من مادبا قُتِل فيها عدد من الأشخاص، وتجدد القتال بينهما سنة ١٣٣٢هـ (١٩١٣م)[٢]. ثم عُقِد اجتماع في مدينة درعا حضره عدد من شيوخ القبائل في سوريا والأردن[٣]، وهم: النوري بن شعلان شيخ عشائر الرولة، وعودة بن سرور شيخ عشائر أهل الجبل، وملوح بن عنيزان شيخ عشائر الشرفات، وفرحان بن معجل شيخ الأشاجعة، وابن سمير شيخ الولد علي، ومثقال الفايز وعضُوب الزبن ومحمد الزهير وحديثة الخريشا من شيوخ عشائر بني صخر. وبعد التداول بأمور الغزو وسبل إيقافه، أجمع المجتمعون على مبدأ الحفار والدفان لكل ما مضى وكان: من صراعات وقتلى وغزوات.

---

(١) عليان الجلودي، (رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية بعنوان: قضاء عجلون ١٨٦٤ - ١٩١٨م) عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، صفحة ١٠٥.

(٢) محمد سالم الطراونة، (رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية بعنوان: تاريخ منطقة البلقاء ومعان والكرك ١٢٨١ - ١٣٣٧هـ/ ١٨٦٤ - ١٩١٨م) عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، صفحة ٤٥١.

(٣) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ١١٢.

ومما تَحسُن الإشارة إليه أن ضريح دبيس الفايز موجود في منطقة أذرح جنوب الأردن، كما أن ضريح سالم الزهير موجود في منطقة الحصن شمال الأردن، وأن ضريح أسعد الزبن موجود في منطقة باير جنوب الأردن. وهذا يدل على مدى انتشار عشائر بني صخر في المناطق الشرقية من الأردن، ومرونة الحركة والانتقال عندهم[1].

وكان أول استغلال زراعي للأراضي عند بني صخر بمبادرة من الشيخ فندي الفايز[2]، وكان أخواله من النعيمات من سوريا، وكان معروفاً بحبه للأرض والتصاقه بها. وفي بداية أحد فصول الشتاء، رحلت قبيلة بني صخر باتجاه وادي السرحان، وكانت القبيلة معاً في تلك الحادثة (الطوقة والخرشان والجبور)، فاحتال فندي الفايز أمام بني صخر بأَنْ أسرع ووضع الفأس على كتفه، وبدأ يحرث الأرض، فقال أفراد القبيلة إن فندي قد جُنَّ، أو جذبه عرق أخواله وأصبح فلاحاً مثلهم. ضحك فندي وتركهم وشأنهم، وكأنه لم يسمع تلك التعليقات. وفي وقت الحصاد، أمر الشيخ فندي بتوزيع ناتج الأرض من الحبوب على بني صخر جميعاً، فكفاهم ومواشيهم مؤونة وعلفاً على التوالي، وبذلك استطاع فندي أن يُقنع بني صخر عملياً بأهمية الزراعة، وأنها ليست شيئاً مشيناً أو معيباً. وفي الجيل التالي كان سطام الفايز أحد أركان الاستقرار في الزراعة في شرقي الأردن[3] خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ حيث قام بامتلاك بعض الأراضي الزراعية، وتوزيع قسم منها على أقاربه وعشيرته، فأعطى أم رمانة لأخيه محمد بن فندي، وأعطى برزين (اسمها

---

(١) محمد أبو حسان، (تراث البدو القضائي)، صفحة ٤٠.

(٢) أحمد عويدي العبادي، (وثيقة اتفاقية الأراضي بين بني صخر)، صفحة ٢.

(٣) فريدريك ج. بيك، (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها)، صفحة ٢١٩.

الآن: الخضراء) لكلٍّ من إخوانه: هزاع وبرجس ومسلط، وأعطى زويزياء لابنه نواف، وأبقى سطام لنفسه أم العمد والقسطل. وقد بدأت الزراعة عند الغبين في فترة أبكر من الغفل والخرشان والجبور؛ حيث بقي هؤلاء الأخيرون يعيشون حياة البداوة حتى فترة متأخرة.

واعتمد بنو صخر في زراعة أراضيهم على الفلاحين؛ حيث كانوا يأنفون من الفلاحة والزراعة بأنفسهم، فقد ذكر الرحالة لورنس أوليفانت (أن بني صخر هم أقوى قبيلة في البلقاء ومنطقة عجلون، وأن بني حميدة لا يُعتبَرون من القبائل القوية، بل إنهم يعملون في الأراضي التي يمتلكها بنو صخر)[1]. وقال الرحالة سيبروك الذي أقام فترة طويلة، أثناء رحلته، في بيت مثقال الفايز (ويملك مضيفي مثقال عدة آلاف من الأراضي الصالحة للزراعة، ولكن ليس هناك أحد من أفراد قبيلته يرضى أن يملك المحراث أو المنجل؛ لذلك فإنه يوظف لهذه المهمة الفلاحين)[2].

وبعد وفاة سطام[3]، أعيد توزيع الأراضي الغربية هذه، فأخذ فايز وفواز ولدا سطام القسطل، وأما أم العمد فأعطيت لأولاده مثقال وشبلي وعواد. أما بقية عشائر بني صخر فقد وضعت أيديها على الأراضي؛ فالجبور في التربة (الفيصلية الآن) والنقيرة، والخرشان في الموقر وماتبعها، وخضير في قرية سالم وما جاورها. وبالتدريج استقرت عشائر بني صخر في شرق وجنوب عمان، حتى ذكر خيرالدين الزركلي[4] أن بني صخر أمنع عشائر شرقي الأردن جانباً، تُخرِج حوالي ثلاثة آلاف

(١) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٢٠٦.
(٢) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٢٠٦.
(٣) أحمد عويدي العبادي، (وثيقة اتفاقية الأراضي بين بني صخر)، صفحة ٢.
(٤) عمر رضا كحالة، (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة)، صفحة ٦٣٤ - ٦٣٥.

مقاتل مسلح، منازلها في جنوب عمان، وتمتد شرقاً وغرباً. وقد أشارت سجلات المحاكم الشرعية ودفاتر الأراضي العثمانية[١] إلى أن قرى كاملة سُجِّلت بأسماء شيوخ بني صخر، ومن الأمثلة التي توضح ذلك أن نصف قرية نتل والأراضي المجاورة لها كانت مسجلة باسم الشيخ قمعان الزبن، وكانت قرى جيزة وجويزة والقسطل وصوفا وزباير الطوال مسجلة بأسماء أولاد الشيخ سطام الفايز، وقرى منجا كانت مسجلة باسم أولاد نويران الكنيعان، وقرية المريجمة والأراضي المجاورة لها كانت باسم قطفان الحامد وخليل الراشد، وقرية الطنيب والأراضي المجاورة لها كانت باسم الشيخ رميح بن سليمان الفايز والشيخ ناعور بن فيصل الفايز. وفي عام ١٩٤٥م[٢]، أخذ توزيع الأراضي بُعْداً جديداً؛ حيث شمل نوعين من الأرض، هي: المجاورة للصحراء شرقي أراضي الطور، وأراضي الجلد المسماة: أراضي المراعي، أو الأراضي الشرقية. وقد جاء هذا التقسيم ضمن وثيقة مكتوبة مؤرَّخة في ٤/ ١٢/ ١٩٤٥م، ووافق عليها شيوخ بني صخر، وتم تحت إشراف الدولة؛ حيث حددت الخطوط الفاصلة ما بين واجهات عشائر بني صخر عن بعضها البعض، وقد جاء هذا التحديد بمباركة السلطات الرسمية والعشائرية.

وفي الوقت الحالي[٣] فإن الخرشان يسكنون في منطقة الموقر، والقضاة في المنشية، والحماد في مغاير مهنا. ويسكن الفريج، ومنهم الزهير، في النقيرة، والدهام في الذهيبة، والغيالين في أم بطمة. ويسكن الفايز في أم العمد وزيزياء، والمطيرات في

---

(١) محمد سالم الطراونة، (رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية بعنوان: تاريخ منطقة البلقاء ومعان والكرك ١٢٨١ - ١٣٣٧هـ/ ١٨٦٤ - ١٩١٨م) عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، صفحة ٢٣٢.

(٢) أحمد عويدي العبادي، (وثيقة اتفاقية الأراضي بين بني صخر)، صفحة ٤.

(٣) محمد أبو حسان، (تراث البدو القضائي)، صفحة ٥٥٠.

جنوب شرق مأدبا. أما العامر فيسكنون في منطقة قصر الحلابات ونتل. إضافة إلى مناطق أخرى في الأردن، يسكنها عشائر وحمائل بني صخر.

وفي المملكة العربية السعودية[١]، في منطقة القصيم عدد من العوائل، تنتمي إلى عشيرة الزهير؛ حيث نزح زهير بن فلاح بن سالم إلى منطقة القصيم حوالي عام ١١٥٠ هـ. كما يجدر بالذكر أن عدداً من الحمائل من الزبن والخرشان ما زالوا في منطقة العلا[٢]. وهناك عدد من العوائل في القريات والجوف[٣]، وغيرها.

---

(١) حمد الحقيل، (كنز الأنساب)، صفحة ١٢٥.

(٢) ومنهم العلي والعيد والسويري، كما هو مذكور في كتاب عاتق البلادي، (معجم قبائل الحجاز)، في صفحات متفرقة من الكتاب.

(٣) من رواية فارس بن هليّل الصخري، أحد أفراد القبيلة.

من صفاتهم:

يتميز بنو صخر بالصفات العربية الكريمة، مثل: الشجاعة والكرم والنخوة العربية. يقول حبيب البتلحمي[1]: (الأمانة والعفة والطهر والإباء والأريحية والشهامة، هي المزايا الكبرى التي يتحلى بها أبناء البادية). وجاء في كتاب عشائر الشام لأحمد وصفي زكريا[2]: (ومما يعتز به البدو أمانتهم في حفظ الأمانات التي توضع في حوزتهم لرعايتها). أما المحافظة على الضيف والغرباء والجار فهي في القمة وفي أعلى مستوى لها عن بني صخر. يقول الرحالة سيبروك[3] الذي أقام فترة طويلة بين ظهراني بني صخر: (وأستطيع القول: إنه لم يلحق بي أي أذى خلال فترات اتصالي بهم كلها. لقد عوملت دائماً باحترام وكانوا يحافظون على شخصي وأمتعتي محافظة لا مزيد عليها لمستزيد). ويقول أيضاً: (ربما يجهل البعض أن آداب اللياقة عند البدو في خيامهم السوداء أكثر منها في بيوت الكبراء في الشارع الخامس أو حي مايفر، فهناك عادات وتقاليد لايحيدون عنها). أما الرحالة تريستام فيقول عن بني صخر[4]: (لقد كان بنو صخر نِعْم الجيران؛ فلم يتوانوا عن تقديم الطعام لنا ليلاً والأدلاء نهاراً، هذا عدا عما كانوا يزودونا به من الحليب ولحم الخراف كلما احتجنا لذلك.. لقد وجدنا هؤلاء في منتهى الأصالة والتهذيب لدرجة أنه لم يتطفل علينا أي واحد منهم، ولم يضايقونا، ولم يجلسوا في خيامنا. وكانت درجة تهذيب حضاري وأننا لم نشكُ ولم نعانِ ولو أدنى اختراق لأصول اللياقة طيلة إقامتنا بين ظهرانيهم، وقد

---

(١) حبيب البتلحمي، (رحلات في فلسطين والأردن)، ترجمة سليمان موسى، صفحة ١٢٠.

(٢) أحمد وصفي زكريا، (عشائر الشام)، صفحة ٢٠٤.

(٣) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٢٣٠.

(٤) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٢٣١١.

وفَّر لنا الحرية إخوتنا من بني صخر. إنه ليبدو واضحاً أنهم قوم سرعان ما يستخدمون عقولهم عند ممارساتهم السلوكية؛ حيث يتمتعون بسرعة البديهة، وهو الأمر الذي يجعلهم يفهمون سلوكياتنا بسرعة). ويقول جون كلوب[1]: (وعلى العكس مما تصف به الحويطات، فإن لبني صخر سمة متميزة في اقتصادهم في الكلمات، هذا إذا لم يكونوا صموتين أي: قليلي الكلام). ويقول أيضاً: (وإنني كرجل درست أخلاقهم في حياتهم الخاصة والعامة، أعرف أنهم من أرفع الناس أخلاقاً على الإطلاق). ومن أحسن الأوصاف التي وصف بها الباحثون مجالس بني صخر، ما قاله الرحالة الفرنسي جوسان[2]: (إن الذي يجلس في مجالس الملوك وفي مجالس البادية، كما عرفتها لا يجد فرقاً من حيث مستوى الحديث وجديته، وعدم المزاح، واللطف الزائد والأدب الجم. إن المجلس كله هيبة ووقار. إن الذي يجلس فيه يقول كلامه بكل جلاء ووضوح فكأنه درر تتساقط من فيه، أو كأن للكلام ثقلاً يشعر به المستمع، ويستمع له بكل انتباه وبدون ضجة، لا أحد يقاطع الآخر في الحديث، ولا أحد يخرج عن الموضوع). وقد بلغت شهرة مجالس بني صخر بين أبناء البادية مبلغاً عظيماً، حتى إنهم إذا كثر اللغط، وقلَّت جدية الحديث في مجالسهم، قال أحدهم بصوت مسموع: (المجلس به صخور)، ويقصد بذلك إثارة الانتباه إلى أن المتحدثين يجب أن يكفوا عن المزاح، وعليهم أن يأخذوا الحديث مأخذ الجد كما هو الحال في مجالس بني صخر، ويردد بدو جنوب الأردن (الحجايا والحويطات) هذا المثل كثيراً في مجالسهم.

وقد قيل في ذلك الكثير من القصائد التي سجلت تلك المعارك، منها هذه الأبيات

(١) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٢٣١.
(٢) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٢٣٤.

التي رواها الشيخ عفاش السلطان العدوان[١]:

بني صخر اللي على الخيل صلفين

كم سابقٍ بالكون عاقوا جهدها[٢]

للضيف لطفين وللضد عسمين

جيرانهم ما مرحوا في لهدها

نطاحة الكايد على العسر واللين

واهل بيوتٍ من تجلوى قصدها[٣]

ومنهم علي الخريشا، الذي قال القصيدة التالية[٤]:

ثمان سنين اربّع في نياقي

وبالصمان اعدّل سنمهن

وجاني شايب راعي نصيحة

وقال الذود لا يغدى بهن

قلت الذود ذود الخريشا

يذوق الموت من جا حولهن

---

(١) روكس العزيزي، (نمر بن عدوان.. شاعر الحب والوفاء)، صفحة ٢٥١.

(٢) السابق: الفرس: الكون: المعركة.

(٣) الكايد: الصعب.

(٤) هذه الأبيات من رواية محمد الصويان، وقد روى منديل الفهيد، (من آدابنا الشعبية في الجزيرة العربية)، الجزء الأول، صفحة ٣١، أبياتاً مشابهة.

وقد تحدّث الرحالة سيبروك[١] عن كرم حديثة الخريشا، فقال: (اشتهر حديثة بكرمه الفائق، ذلك الكرم الذي جلب عليه وعلى عشيرته الفقر، وكان قبل ثلاثة أسابيع قد قسم جميع ما يملك مناصفة بينه وبين عشيرة السراحين).

وفي رواية محمد بن سليمان الصويان، أن ذياب بن غانم، من فرسان بني هلال، قال:

يقول ذياب بن غانم وما جرى

عجاج غشا البطحا وعج سرايح

وصاح من الرعيان صايح مطرّف

وصاح من البيدا ورا ذاك طايح

وانا على جملا لكن قطاته

صفاة نزت في جنب البير نازح[٢]

ترى اول ما دربيت خدني محمد

وهو لاحق يبغى الثنا والمدايح

وترى ثاني ما دربيت عبد بن نوفل

وهو لاحق يبغى جمال الملايح

ولا هالني الا سربة من بني صخر

على هبكليات عراض الفطايح

(١) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٢٥٤.
(٢) جملا: اسم فرس ذياب بن غانم.

وهـن علـى الاقفـا وصـــاف ضلّـع

والا علـى الاقبـــال صـــم صحايـح

يـردّن علـى طريـحهـن ياخذنـه

وطريحنـا تكثـر عليـه النـــــوايـح

ولا اشـــــقاني وهيّـج عبرتـي

الا جـريّ بـين اقـدام الخيـل طـايـح(١)

(١) جري: اسم أحد فرسان بني هلال.

من ألقابهم:

من ألقاب بني صخر: (سور البلقاء)[١]، وذلك؛ لأنهم وقفوا سدّاً أمام الهجمات القوية لقبيلة عنزة؛ حيث قاد بنو صخر حلفاً من عدد من القبائل، منها السردية والعيسى، كان يُسمَّى: (حلف أهل الشمال). ولما بدأت قبيلة عنزة بالهجرة إلى الشمال، وهي القبيلة قوية عدداً وعدَّة؛ حتى ضرب البدو بها المثل في القوة وكثرة العدد، فقالوا (كل قوم ولا عنزة). قاومها بنو صخر حتى اضطروها إلى الهجرة تدريجياً إلى قلب الصحراء[٢]. ولما قدم نابليون[٣] إلى فلسطين في عام ١٧٩٩م خرج لقتاله عدد كبير من البدو، أغلبهم من بني صخر، فاصطدموا والجيش الفرنسي الذي كان تحت قيادة كليبر في مرج ابن عامر، وكادوا ينتصرون عليه لولا وصول نابليون بمدد. وكان من نتيجة تلك المقاومة الشديدة للجيش الفرنسي أن نابليون دخل الناصرة وطبريا فقط، ولم يتعد إلى شرقي الأردن أبداً. وقد عمل نابليون على إنشاء بعض المخافر على رؤوس الجبال التي فوق طبريا لمراقبة تحركات بني صخر، ودرء خطر غاراتهم المستمرة على الجيش الفرنسي. ولذلك قال لورنس أوليفانت[٤]: (إن بني صخر هم أقوى قبيلة في البلقاء، ومنطقة عجلون)[٥].

---

(١) عمر رضا كحالة، (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة)، صفحة ٦٣٤.

(٢) فريدريك ج. بيك، (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها)، صفحة ٢٣٦.

(٣) فريدريك ج. بيك، (تاريخ شرقي الأردن وقبائلها)، صفحة ١٧٨.

(٤) أوليفانت Laurence Oliphant قام برحلته سنة ١٢٩٧هـ (١٨٧٩م)، ونُشِرت نتائج رحلته سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) بعنوان: (The Land of Gilead).

(٥) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٢٠٩.

ومن ألقاب قبيلة بني صخر : (حمر النواظر) ؛ حيث يقول الشاعر مزعل فلاح الحوالي[١] :

يا ناشـدٍ عني خل عنك التحازير
يامسقط راسي غرب الموقر ابهلهور
لاجار عليك الدهر والمقادير
تلقى ربيع النفس خرشان وجبور
بني صخر حمر النواظر مناعير
عز الدخيل اللي التجى لك من الجور

ومن الأبيات التي قيلت في تلقيب قبيلة بني صخر بحمر النواظر، هذه الأبيات التي قالها أبو الكبار الشراري[٢] :

مثقال مثل هداد سيد الجويه
اللي على تسع وتسعين مطواع
لى قفن بين محاني اطويه
وليا اقبلن جمه يلاطم شفا القاع
بس الطشيش اللي تطشه ادليه
يروي اديارة مع هزاهيز الاقطاع

(١) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ٣٠٨.
(٢) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ١٩٩.

بـنـي صـخـر الـلـي عـلـى الخـيـل سـيـه

حمـر النواظـر عكـف الأنيـــاب بتاع

ومن ألقاب بني صخر (البواسل)؛ حيث قال الشيخ كنعان الطيار شيخ عنزة[1]، بعد موقعة بينه وبين بني صخر قصيدة منها:

ســـــــرهـا (لـلـبـواسـل) لاتـقـيـم

وبـلـغـهـم مـع الـبـيـضـا ســـوادي

وأصبح هذا اللقب فيما بعد لقباً للجيش الأردني.

ومن الألقاب التي انفرد بها بنو صخر[2]، أن شيخهم طلال باشا الفايز كان يلقَّب بأمير الأمراء. وكان للفايز شيوخ بني صخر مكانة عالية في نظر الحكومة العثمانية، ولذلك أطلقوا على بعض شيوخهم ألقاباً تدل على تلك المكانة. ومن ذلك إطلاق اسم: «باشا» على بعضهم، مثل: سطام باشا الفايز ومثقال باشا الفايز، وبعضهم لقب بالأمير، مثل: الأمير فندي الفايز والأمير نواف الفايز، ولقب بعضهم بآغا وهو سطام الفايز، إضافة إلى تلقيبهم بالشيخ.

وقد لُقِّب الشيخ فايز بن سطام الفايز[3] بلقب: شيخ المشايخ.

وكان يطلق على عشيرة الجبور: (عماد الصخور.. و.. عمود بني صخر).

---

(١) طلال عثمان السعيد، (الموسوعة النبطية الكاملة)، الجزء الأول، صفحة ٣٦٣.

(٢) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ١٧٠.

(٣) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ١٩٦.

ويطلق على الفريج[١] من الجبور من بني صخر: عنابر العرب، كناية عن أصالتهم وصفاء نسبهم.

ويوصف الشوشان[٢]، وهم ينسبون إلى شوشان بن أيتيم بن دغيم بن غبين، بأنهم: أهل المطلَّعة (بتشديد اللام)، بمعنى أن عقيدهم يحتفظ لنفسه بكامل الغنائم التي يكسبها، وذلك تقديراً لهم؛ لأنهم من عقب دغيم الابن الأكبر لغبين.

ويطلق على عشيرة العثمان[٣]: (عمود الزبن).

ويطلق على الخليّل[٤] لقب: (حماية العطفة). والخليل من عشائر الغبين من بني صخر.

ومنهم طراد الزبن الذي كان يلقَّب: (مجوز العزبان)[٥]، ويلقب أيضاً: (مصبّح العربان). وكان يطلق على أحد بني صخر، وهو: سليمان بن عواد بن ذياب بن محمد بن موح بن فايز[٦]، لقب: (أبو جنيب)؛ لأنه كان فارساً شجاعاً معتداً بشجاعته وقوّته فيتجنب المضارب ولايخالط العرب في منازلهم. ويطلق على عشيرته (الجنيبات) أو عشيرة (أبو جنيب)، ومنهم الفارس الشجاع رميح الذي ذكره شاعر وفارس قبيلة عنزة خلف الأذن بعد كون الشيحا.

ومن بني صخر، زيدان بن مسعد بن غفل بن مجيد بن طويق، ويقال: إن لقبه

(١) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ٣٠٤.
(٢) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ٢٣٣.
(٣) من رواية فارس بن هليّل الصخري، أحد أفراد القبيلة.
(٤) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ٢٣٧.
(٥) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ١٣٩.
(٦) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ٢١٣.

هو: (زيدان)[١]؛ لأنه كان ينحر للضيفان والمساكين كل يوم ناقة، ثم زاد على عدد أيام الشهر، فلُقِّب زيدان، وقيل فيه: (زيدان زاد، بضرب الهندي (أي: السيف) وحط الزاد).

ومن بني صخر الفارس المشهور طه بن فلوح الملقب بخيَّال العشاير[٢]. وقد برز اسمه بالفروسية ولم يتجاوز عمره خمسة عشر عاماً[٣]. وكان يعدل مائة فارس لشجاعته ومهارته في فنون القتال، فقيل: (مائة خيَّال وطه) كناية عن أنه يعدلهم. وقصة هذا اللقب أن طراد الزبن كان غازياً، ومعه طه الفلوح وخضر الوطيفي، فصادفوا في طريقهم مجموعة من الفرسان من قبيلة أخرى يقدَّر عددهم بحوالي مائتي فارس، فقال طراد مخاطباً خضر الوطيفي: (مائة لطه، ومائة مناصفة بيننا). وكان من عادة طه إذا أراد الهجوم على الأعداء واختراق صفوفهم أن يتقنع بردنه، فقيل فيه:

اللي يريد الحمايد
يوم البنات ينشدن
يسوي سوايا فنخور
والا طراد بن زبن[٤]

---

(١) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ٢٧١.

(٢) أحمد عويدي العبادي، (مخطوطة عن عشائر بني صخر)، صفحة ٧، ومعنى خيال العشاير، أي: أنه ينتخي بالإبل العشاير.

(٣) محمد أبو حسان، (تراث البدو القضائي)، صفحة ٣٨٦.

(٤) فنخور: هو فنخور أبو جبهة من المطيرات، وقد قال عنه النوري بن شعلان: (لو كان عند بني صخر فنخورين مثل فنخور، لمنعونا من اجتياز وادي السرحان). ومما قيل فيه:

حنا على مثل المها جملة صخور   وما من معين كود رب العباد

والا ســـــــــــوايا طه

يــوم ايتـقنـــــــــــع بــالــردن[١]

ومن بني صخر، مجلي بن طعان الكليب من الخرشان[٢]، الذي كان يلقب بتلّ اللحم، وذلك لكرمه الواسع. وهو أيضاً أحد فرسان بني صخر ووجهائهم في مطلع القرن الماضي. وكان قطفان بن حامد وجيهاً من وجهاء بني صخر، ويلقب أيضاً بتل اللحم[٣].

والكرم عند بني صخر صفة تكاد تكون عامة بينهم، ومنهم تركي الزبن الذي لقب بـ: (مصوت بالعشا)، وابن مرشد (دالف الخنصر)، وعفاش بن بخيت (دخان الضحى)، وحميدي الخريشا (مصوت بالعشا)... وغيرهم[٤]. وممن اشتهر بالكرم فهد بن طراد الزبن، الذي باع كل حلاله (الإبل والغنم) في إحدى سنوات الجفاف، حتى يستطيع مساعدة أبناء عشيرته، فقيل فيه[٥]:

تـعـالـوا يـا نــــاشـدين عـن الـدور

تعـــالـوا أوردكـم قـــراح زلال

يــوم المـســـاعـر دورة نـيـة الـغـور

ومادبـا يذكـر بهـا الحـب غالـــي

البل صنمها رميح والقرم فنـــخور   يحمونها بمصقـــلات الهنـادي

(١) الردن: طرف الثوب أو الغترة.

(٢) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ٢٩٠.

(٣) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٢٥٥.

(٤) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٢٥٣.

(٥) أحمد عويدي العبادي، (مخطوطة عن عشيرتي الخرشان والزبن من بني صخر، وقصائد بدوية أخرى)، صفحة ٢١.

وارض العمار بزيزيا كنها البور

تقاطعت توابعه والمتالي

وعمّان اللي يذكر بها الحب مشكور

ما يعشي الاثنين حق الريال

لا يا فهد بالقيظ يروي هل الخور

وبالقفر يروي معطشات المتالي

والله كنّك وارد جمّة ام الكور

وتقول يا دلو الروالي تعالي

ونجرٍ يضبح بين الضحى وفجة النور

وينادي ويقول ياهل الكيف غالي

وله ربعةٍ تلقى بها الزاد منشور

وزودٍ على الضيفان تاكل عيال

تلقى ابو مشرف بارك كنّه الثور

عالول ياكل من مذاود الجمال[1]

ومنهم[2] بنية الطلاق الزبن، الذي نصب بيته قرب الطبيق على طريق الحج، وأخذ يقدِّم الطعام للحجيج في موسم الحج، وقد قيل: إن موقد ناره بلغ من سعة

(١) أبو مشرف شخص من قبيلة الشرارات، في ضيافة فهد الزبن، وكان بديناً لدرجة كبيرة، فلم يكن يستطيع الحركة بسهولة، ولذلك يؤتى له بالأكل وهو في مكانه.

(٢) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٢٦٣.

الحجم ما إن لو ملئ بالماء لارتوت منه خمس من الإبل، وما زال موقد ناره ماثلاً إلى يومنا هذا، ويعرف بنقرة بنية. أما حسين الخريشا، فقد بنى بيته قرب الفدين (المفرق)، وأخذ يقدِّم الطعام لحجاج بيت الله، وذلك في سنة تحوَّل فيها طريق الحج إلى الجوف، واشتهر عمله باسم خبزة الخريشا. كذلك ابن موعد من المطيرات، فقد أقام على الغدير المسمى باسمه إلى اليوم: (غدير ابن موعد)، في إحدى سنين الجفاف، وأخذ يقدِّم الطعام للغزاة المنكفين[1]، حتى لم يبقَ عنده إلا ناقة واحدة، نحرها لآخر مجموعة من الضيوف ثم رحل.

ومن أقوال بني صخر في الضيف: الضيف إذا أقبل أمير، وإذا جلس أسير، وإذا ذهب فهو شاعر[2]. ومعنى ذلك أن الضيف يستقبل كاستقبال الأمراء عند مقدمه؛ فيرحبون به ويستقبلونه أمام البيت، ويربطون دابته. وعندما يجلس الضيف في بيت مضيفه، فإنه يصبح كالأسير لا يستطيع أن يرفض واجبات الضيافة، أو السفر دون علم المضيف. أما إذا غادر بيت مضيفه، فإنه سيتحدث بما رأى وكيف استُقْبِل، ويشِيعه عند من يقابلهم. ومن ذلك ما قاله عبد الجبار الراوي: (وما زلت أذكر لذة الطعام الذي تناولته عند أحد شيوخ بني صخر في شرق الأردن، وهو خلف المور، يوم كنت قائداً لموقع القطرانة في أوائل ١٩١٩م، ولست مبالغاً إذا قلت: إن لدى البدو مآكل تفوق في لذتها أفخر طعام الحضر).

---

(١) منكف: العائد من الغزو بلا كسب.

(٢) يقول بعضهم: وإذا ذهب الضيف فهو وزير، والمعنى قريب من بعضه.

من خيولهم(١):

يميز العرب الخيل بالنسبة إلى أرسانها (أي أصولها)، ويحتفظون بحجة تشهد بأصالة الفرس أو الحصان. (وذكر صاحب «الأصول» منهم فندي الفايز من مشايخهم تحدث عن الشويمات، وعلي بن دهَّام، وحمدان بن نافع، وطارف بن دلمان من السردية عن الكحيلات الخمس خيل الصحابة في زعمهم، ولا تزال فروع بني صخر منتشرة في شرق الأردن، ومنهم من لا يزال يحافظ على اقتناء الخيل العراب الأصايل، مثل: «خضير» التي لديها مربط من العبيات يعرف باسم عبيات خضير. وقد تحضَّر كثير من بني صخر وسكنوا القرى. ومع ذلك فلا يزال لباديتهم عناية بتربية الخيل) (٢)، وأهدى أحد شيوخهم وهو وصيوص بن فهد الطراد للملك فيصل آل سعود رحمه الله فرساً صقلاوية مشهورة عام ١٩٧٤م(٣). (ولعشيرة خضير شهرة واسعة في مجال الخيول العربية الأصيلة؛ حيث يقال لخيولهم: عبيات خضير، وكان اقتناء هذا النوع من الخيل مصدر فخر واعتزاز لدى الشيوخ والفرسان عند البدو، وقد اشترى الشيخ نهار البخيت المناصير فرساً من هذه العبيات وذلك مبكراً في بداية القرن الميلادي العشرين، وترى خضير أن مربط هذه الخيول جاء معهم من الجزيرة العربية، منذ مئات السنين. . . . وأخبروني أن عواد الرديني كان قد أهدى فرساً إلى الملك عبد الله(٤)، عندما كان أميراً، والذي أهداها بدوره إلى دحام البخيت من شيوخ الفايز بني صخر، إلا أن عواداً استعاد الفرس طلباً للمثاني، وتقاضياً عند الأمير عام ١٩٤٢م،

---

(١) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، في مواقع مختلفة من الكتاب.

(٢) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ١١٣.

(٣) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ١٦٠.

(٤) المقصود هنا هو الملك عبد الله الأول بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية.

وقال عواد: إن البنت والفرس مثل بعضهما. فأمر الأمير بإعادة مثاني الفرس إلى عواد، وبقيت الفرس إلى دحام، كما أن عقلة الصاروم قدَّم إلى الملك عبد الله هدية فرساً وحصاناً من عبيات خضير)[١].

ولذلك كان لديهم خيول أصيلة، ومنها:

١ - الصقلاويات (الواحدة الصقلاوية، والحصان الصقلاوي). وهي نوع من عتاق الخيل الأصايل من كحيلة عجوز، وفروعها كثيرة، منها صقلاوية الجدران وصقلاوية وبيرية وصقلاوية مريغية. (وأخبر حمدان بن هليِّل من أهل الشمال عن سليمان أبا الحمايل أن الصقلاوية أصلها لابن الزربة من الموالي، فغزا الجوف، ولما رجع أخذ إبل السردية فأطلبوه فقلع منه ابن دلمان فرساً أعطاها حذية جاراً له بدرانياً، ولما علم هذا أنها صقلاوية خاف أن يأخذها أمير السردية منه فهرب إلى نواحي الكرك نزل عند العمرو وجاور أبا الحمايل، ثم إنه حج وترك فرسه عند زوجته، فأراد أبو الحمايل الغزو فاحتال على الزوجة حتى أخذ منها الفرس، وغزا بني صخر بأرض الحجاز فأخذها منه طحان من جماعة ابن زهير وأعطاها ابن بكر)[٢]. (وقال الشيخ فيصل الشعلان أرسلنا نقص عن حصان ابن عدوان فوجدناه حصان مليح بن بكر، جدراني)[٣]. (وفي كتاب الأصول مريغية بني صخر، قال فالج بن شعيل من الفرجة أكان ولد علي على بني صخر فطرحوا عتيق الصخري وأخذوا فرسه الشقراء الصقلاوية قلاعة... وقال عتيق الصخري إن ابن خليل الصخري جاء بفرس

---

(١) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ١٨٢ نقلاً عن أحمد عويدي العبادي، (مقدمة لدراسة العشائر الأردنية)، صفحة ٢٠٧، طبعة عام ١٩٨٥م.

(٢) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٢٨٤.

(٣) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٢٨٥ و ٢٩٣.

صقلاوية من ابن سدلان من الفرجة فولدت مهرة شقراء اشتراها أبي وتخيَّلها، فأكان علينا «الولد علي» وأخذوا الفرس قلاعة أخذها البويه من «ولد علي» فأخذها ابن سدلان منهم عراقة)(١). أما صقلاوية العبد (أفاد سدَّاح بن جدران أن فنيخ آل شعلان أسر رجلاً من شمر ففدى نفسه بفرس صقلاوية جدرانية، وشرط عليه أن يخفي أصلها لئلا يطالب بها آل جدرانو وأن يدعي أنها كحيلة، ثم إن فنيخاً دفعها لآل مانع دية رجل من أتباعه قُتِل، فتخيلها عبد للمقتول. وفي إحدى الغزوات أخذ بنو صخر الفرس)(٢). وهي في بني صخر للسطم من الفايز، وهي أيضاً للنيف من الهقيش من الغفل.

٢ - الشويمات (الواحدة شويمة، والحصان شويمان)، (قال فندي الفايز شيخ بني صخر من ذرية دبيس الموح: مربط شويمة السبَّاحيَّة قديم عند جدودنا ولا نعرف كيف درج عليهم ولا من أين درج، والآن في مربطنا أربع من الخيل... وقد سئل دغيفير أبا الوكل عن الكواكبة فأجاب بأن: فرساً من خيل دبيس الموح من أجداد فندي الفايز درجت إلى جدودي وهي شقراء اللون)(٣). وهي لدبيس الموح الفايز، وعرفت فيما بعد باسم: شويمات النمر.

٣ - الهدباء، وهي لدبيس الموح، وكانت سبباً لأول نزاع فعلي بين قبيلتي: بني صخر والسردية (المحفوظ السردي)، حوالي عام ١٧٥٠م، والقصة مشهورة. والهدباء أيضاً من خيول العثمان من العامر، وهي لابن مجحم من العثمان من

---

(١) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٤٤٠.

(٢) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٢٩٨.

(٣) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٢٧٨.

العامر، وكذلك للبشير من الهقيش من الغفل.

٤ - الحيفيات، عند الشيخ ظاهر الذياب الفايز، وأصلهن قلايع[١] من عشائر السبعة من عنزة.

٥ - الصويتيات (الواحدة صويتية، والحصان الصويتي)، وهي من أصايل الخيل، وهناك اختلاف: هل هي من الكحيلات أو أصل قائم بنفسه[٢]؟ وعند بني صخر فإن مربطها عند الشوشان من الدغيم من الغبين.

٦ - الحمدانيات (الواحدة الحمدانية، والحصان الحمداني). والحمدانية السمرية للسمري من الجواسم من الظفير، وابن السمري هو صاحب المربط، ثم تفرقت بين قبائل العرب. وفي بني صخر هي خيل طراد بن زبن.

٧ - الكحيلات (ومنها كحيلة عجوز، وكحيلة عاصي)، ومن فروع كحيلة عجوز الكحيلة الشوافة وهي خيل عزيزة، (وسميت: الفرس الشوافة؛ لأنها أثناء تكرر الغارات كانت تدرك أي تبصر ما لا تتضح رؤيته فتدركه بسرعة... وأصل شياعتها لبني صخر ودرجت منهم إلى الوليفي من الخرسة من جماعة الجرباء من شمَّر الجزيرة)[٣]. (وسئل سلطان بن سويط عن كحيلة الجِلالة، فذكر أنه في العام الذي أكان فيه الفدعان على الظفير، قلعنا الجِلالة منهم، من بني صخر)[٤]. وفي بني صخر هي خيل المناور من

(١) القلايع: الخيل التي يغنمها الفارس بعد أن يسقط راكبها عنها، وأصل الكلمة من القلع وهو الإبعاد عن أرض المعركة.

(٢) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٣٠١.

(٣) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٣٩٧.

(٤) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٣٧٧.

النوفل من الزبن، والكحيلة فرس حتمل بن زبن. والكحيلات أيضاً عند السحيم من الطوقة.

٨ - الجلفات (الواحدة جلفة، والحصان جلفان)، (وعد في كتاب الأصول الجلفة من الخيل القديمة خيل الصحابة، كما ورد في الكلام عن كحيلة الزهيَّة ذكر جلفان، حصان أصيل من خيل «ولد علي» من عنزة، وهو ما يدل على أن لديهم مربطاً للجلفة... إلى قوله: الجلفة جياد جيدة، وهي من سلالة قديمة، ومربطها للحبيتي من المرعض من الرولة) [١]. وهي في بني صخر للسالم من الهقيش من الغفل، وهي أيضاً من خيول مطلق الدوايمة من السحيم من الطوقة.

٩ - المعنقيات (الواحدة المعنقية، والحصان المعنقي)، (ويظهر أن هذا النوع من الخيل في شمال الجزيرة وفي الشام وعند قبائل الفرات) [٢]. وهي للعلي من الهقيش من الغفل.

١٠ - العبيات (الواحدة العبية، والحصان عبيان)، ويسمونها: (معتقات الأرقاب)، ويسمونها: (المطلعات)؛ لأنها تنقذ خيَّالها بسرعتها. وهي أنواع كثيرة، منها: عبية الشراك، وعبية الخضير، وعبية أم جريص... وغيرها. وهي خيل خضير المشهورة، وعبيات خضير أيضاً عند المور شيوخ الهقيش، ومربطها عندهم.

والعبية الهوينية للقضاة من بني صخر، ويقال: إنهم أخذوها قلاعة من بني هلال قديماً في زمن تغريبتهم [٣].

---

(١) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٢٢١.

(٢) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٤٤١.

(٣) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٣٣٦.

١١ - فريجة، (وعدها صاحب كتاب عقد الأجياد من خيل الشام التي تسمى: هداية، أي: الهدب) [١]، وهي في بني صخر للهديرس من العبد القادر.

١٢ - الدهم، ومفردها دهماء. والدهم من الألوان، وهو السواد بالصفرة، ولهذا أطلق على فروع كثيرة، وتُعَدُّ من أقدم الخيول وأعنقها، وخاصة الشهوانيات المنسوبة إلى شهوان[٢]. وهي في بني صخر للبرجس من الفايز، وعند النوارسة من الهقيش.

١٣ - المخلديات، وهي من فروع كحيلة عجوز، وهي في بني صخر عند الزيدان من الغفل.

١٤ - الغزالة، وهي عند سليم جد السليم من الجبور.

١٥ - الكبينة، وهي عند الريض من الديكة من الجبور.

١٦ - الشقرا، وهي عند ابن جفال من الديكة من الجبور.

---

(١) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٣٣٧.

(٢) حمد الجاسر، (أصول الخيل العربية الحديثة)، صفحة ٢٣٧.

أوسامهم[١]:

يعتبر الوسم علامة مميزة للقبيلة، وشعاراً لها. ولكل قبيلة وَسْمُها الذي يختلف عن وسم القبيلة الأخرى، حتى في العشيرة الواحدة، توجد علامات إضافية تسمى: الشواهد واللويحظات، تضاف إلى الشكل العام للوسم للتمييز بين فخوذ العشيرة. وبالنسبة للأراضي ومنازل البيوت وآبار الماء فإن بني صخر[٢] يضعون الوسم على الصفاة أو حجر ثابت في الأرض التي تعتبرها القبيلة ملكاً لها، وهو ما يعرف عندهم بالخز، أي: تملك الأرض والاستيلاء عليها. ويوضع الوسم على آبار الماء والغدران التي اعتادت العشيرة أن تَرِدها. ومن الأمثلة على ذلك، وسوم بني صخر على آبار باير، ووسم المطيرت على غدير قطفان، ووسوم أخرى للغبين والعامر على غدران الثروان وآبار ميقوع، وجو الهزيم شرقي القريات ووادي السرحان وعلى حجار الجفر، والعمري، وفي وادي الثمد، والقطرانة، والحسا، والجرف، وجبال الطبيق. ويوضع الوسم أيضاً على حجر النثيلة الموضوع أمام حفرة نار الشق ليدل على أن المنازل مملوكة للعشيرة صاحبة الوسم.

وأما بالنسبة للحيوانات[٣]، فإن الوسم يرسم بالميسم المحمي على النار على آذان الماشية: كالغنم والضأن، وعلى الفخذ الأيسر بالنسبة للإبل، وتضاف لهذه الأخيرة علامات فارقة على الأنف أو جانبي الوجه، أو العنق. أما الخيول، فإنها لا توسم عند بني صخر.

وتنبع أهمية الوسم على الإبل من أنها ثروة بني صخر الكبرى في القرن التاسع

(١) مساعد فهد نزال السعدوني، (وسوم الإبل في الجزيرة العربية - حاضرة وبادية)، صفحة ١٦٥.
(٢) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٣٠٣.
(٣) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٣٠٠.

عشر الميلادي، فقد ذكر الباحث الأمريكي ميرل[١]، الذي زار المنطقة عام ١٨٧٦م، أن بني صخر كانوا يضربون أطناب بيوتهم بالقرب من سيل الزرقاء، يطلبون المرعى والماء لجمالهم ومواشيهم[٢]. ويذكر أيضاً أن قسماً منهم كانوا يقيمون قرب تل نمرين، وأن أعداداً كبيرة من الجمال تحيط بمضاربهم. ويذكر كذلك أنه وَجَد منهم ترحيباً وأنهم زودوه بالحليب والشعير، وشاهد حوالي ألفاً وخمسمائة جمل لبني صخر ترعى الأعشاب في تلك المنطقة. ويقول: إن منطقة البلقاء كلها مغطاة بالبدو ومواشيهم، وكذلك وادي حسبان تغطيه بيوت الشعر السوداء. ويذكر أن مضارب بني صخر تبدو من خرائب حسبان. وقد أدهشته كثرة الأغنام والإبل، حتى إنه شاهد عدة آلاف من الجمال في ثلاثة قطعان كبيرة، وكان أحدها يغطي السهل على مسافة ثلاثة أو أربعة أميال. وكانت هذه القطعان تسير من الغرب إلى الشرق؛ حيث مضارب بني صخر التي كانت تبدو له بوضوح. ويذكر الرحالة كوندر[٣] أن ثروة بني صخر الأساسية هي الإبل. وكانت إبلهم كثيرة يسوقها رعاتهم في قطعان، وإن مشاهدة قطيع مؤلف من خمسمائة جمل يتبعه قطيع آخر من عدد مماثل وهي تنحدر نحو الماء لمنظر مدهش. أما الرحالة سيبروك فيذكر أن الحيوانات المدلَّلة عند بني صخر هي

---

(١) قام ميرل Selah Merril برحلته عام ١٢٩٣هـ (١٨٦٧م)، ونشرت نتائج هذه الرحلة عام ١٢٩٩هـ (١٨٨١م)، تحت عنوان: (The East of Jordan).

(٢) مفلح القايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ٣٦.

(٣) ميجر كوندر Major C. R. Conder قام بمسح جزء من قضاء السلط سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١م)، ونشر نتائج هذا المسح في سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م) تحت عنوان: (The Survey of Eastern Palestine)، وفي عام ١٣٠٣هـ نشر نتائج رحلته الثانية إلى المنطقة في الفترة الواقعة ما بين سنة ١٢٩٩ - ١٣٠٠هـ (١٨٨١ - ١٨٨٢م) في كتاب بعنوان: (Heth and Moab).

النوق، وخاصة البيضاء[1] منها، وهم يزينونها ويدللونها ولا يبيعونها[2]. وتسمَّى هذه الإبل البيضاء بالمغزّل، وأشهرها مغزّل العثمان من بني صخر. وكانت قبيلة بني صخر تؤجر أحمالها للقائمين على شؤون قافلة الحج الشامي الشريف. وسعى إبراهيم باشا خلال فترة الحكم المصري لبلاد الشام أن يضمن ولاء بني صخر له، ومحافظتهم على طريق الحج كما استخدمهم أثناء حصاره لعكا في نقل المؤن والذخائر اللازمة للجيش[3]. وقد وردت[4] في دفتر مفصل أحمال بني صخر والحجايا لعام ١٧٤١م أسماء عدد ممن كانوا ينقلون الأحمال من بني صخر، وعدد الأحمال التي نقلها كل منهم، والمكان الذي نُقلَت إليه، والأجرة التي يستحقها دفتر الأحمال، ومنهم: كليب الزبن (١٢ حملاً)، وكليب المهنا (٥ أحمال)، وخلف بن فريج (٢٦ حملاً)، وسلطان الحمد (١١٢ حملاً)، ومنصور مشعل (٦٢ حملاً)، وشويش اليحيا (١٠٤ أحمال)، وسالم اليحيا (٣٥ حملاً)، وفرج بريص (١٤٩ حملاً)، وبراك الخليل (٣٢ حملاً)، وحنيف الخريشة (١٦١ حملاً)، ودندن الزهير (١٥٥ حملاً)، و سالم ارشيد الهقيش (٣٢٤ حملاً). كما جاء في دفتر مفصل أحمال بني صخر والحجايا أن الشيخ عواد بن ذياب الفايز شيخ قبيلة بني صخر تسلَّم من أمير الحج الشريف ٣٢ ألف قرش أسدي، مقابل نقل ألف حمل شعير من الشام، وتسليمه إلى أمير الحج الشريف في منزل معان، عند وصول الحاج إليها)[5].

(١) تسمى النوق البيض بالمغاتير، وتسمى أيضاً بالوضح.
(٢) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٥١.
(٣) عليان الجالودي، (رسالة ماجستير من الجامعة الأردنية بعنوان: قضاء عجلون ١٨٦٤ - ١٩١٨م) عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، صفحة ٩٤.
(٤) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ٣٤.
(٥) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٣٠١.

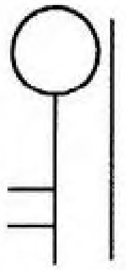
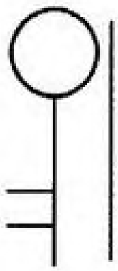
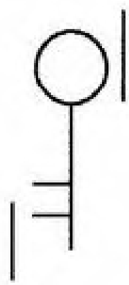
ويسهِّل الوسم[١] التعرف على الإبل في حالة ضياعها واختلاطها بغيرها في المراعي. كما أن الوسم يسهل التعرف على الإبل التي يجري الهجوم عليها، وإذا ما كانت لعدو أم لصديق؛ حيث يعرف بنو صخر وعامة البدو وسوم القبائل والعشائر الأخرى، ومن ذلك أن الهقيش أغاروا على إبل في أحد المراعي ليلاً. ولما شدوا وثاق الرعاة أرادوا التأكد من هوية الإبل، فتحسسوا الوسم فوجدوا أنه الكفة، وهو وسم الشرارات، فعاد الهقيش وأطلقوا سراح الرعاة؛ حيث تعتبر هذه الإبل تحت حمايتهم ولا يجوز الاستيلاء عليها.

وذكر الرحالة سيبروك[٢] أن الخاتم النحاسي الذي يحمل اسم الشيخ مثقال الفايز وعشيرته موشح بالوسم.

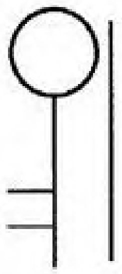
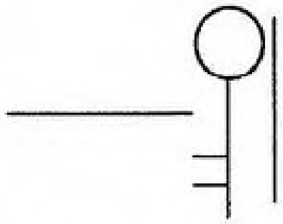
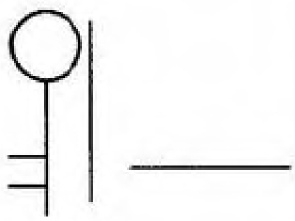
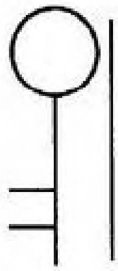
---

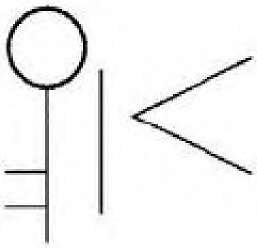
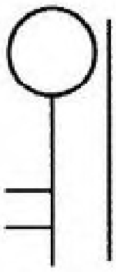
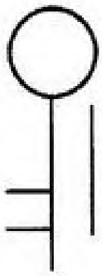
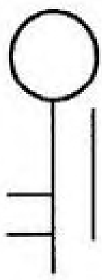
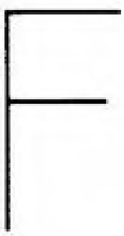
(١) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٣٠٢.
(٢) خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر... تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٣٠٤.

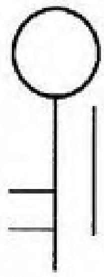
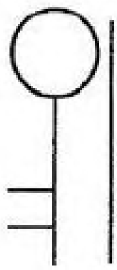
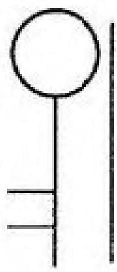
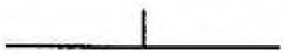
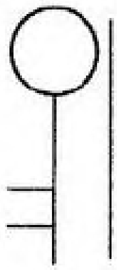
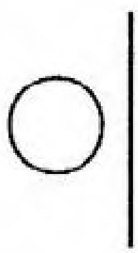
وأما أشكال الوسم عند بني صخر(١) فهي كما يلي :

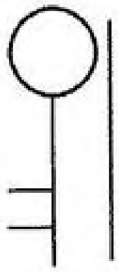
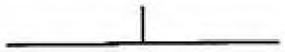
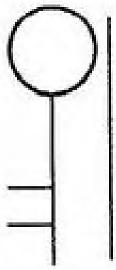
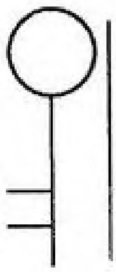
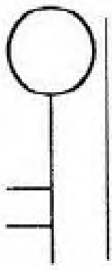
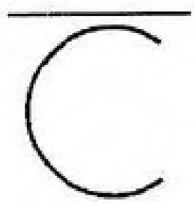
العشيرة	الوسم	الشاهد
السطام والسطم		
الصفوق		
الذياب		

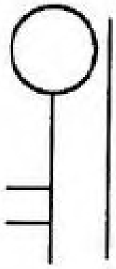
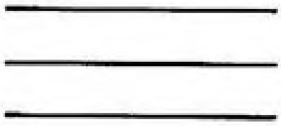
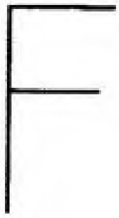
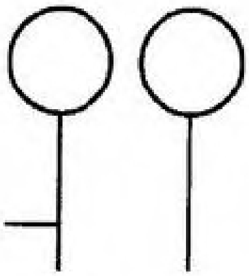
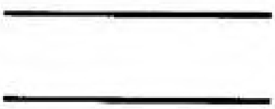
(١) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحات متفرقة من الكتاب؛ خالد الرديني المطيرات، (قبيلة بني صخر . . . تاريخ، تراث، أنساب)، صفحة ٣٠٤.

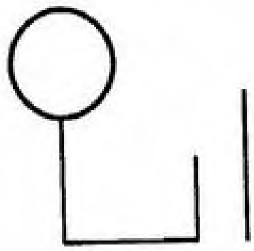
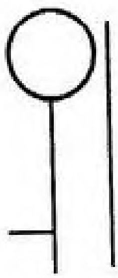
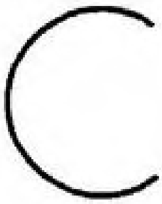
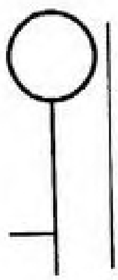
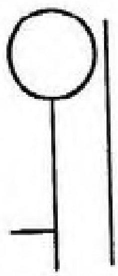
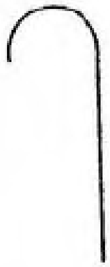
البرجس		
الجنيات		
البخيت		
النمر		

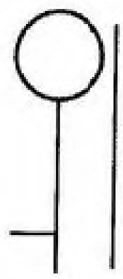
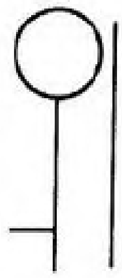
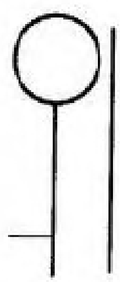
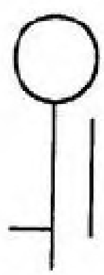
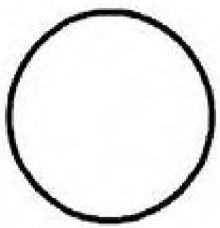
الكنيعان		
الصقر		
الحامد		
الفضل		

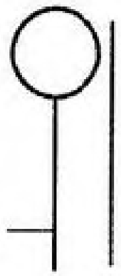
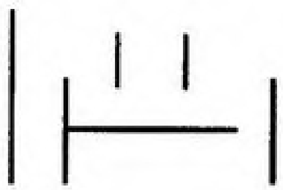
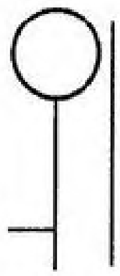
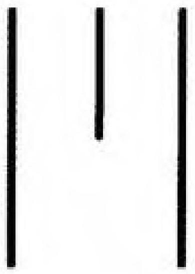
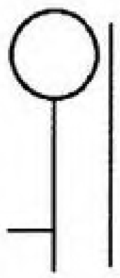
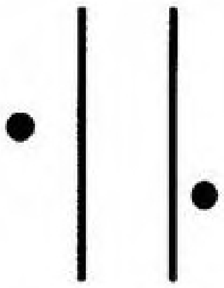
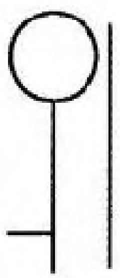
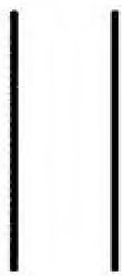
الخليّل		
الدهمان		
الطعامسة		
الطفالة		

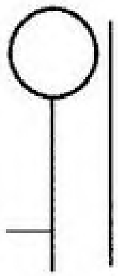
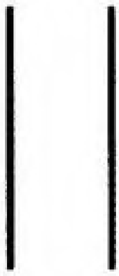
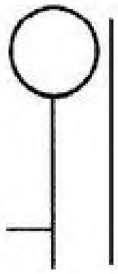
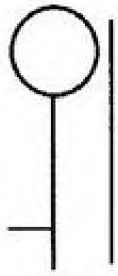
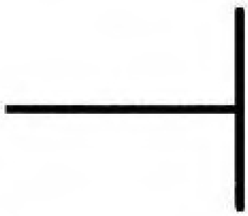
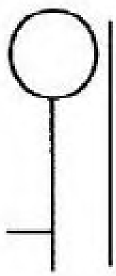
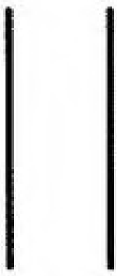
الكدران		
الرديني		
الجباهين		
الفاعور		

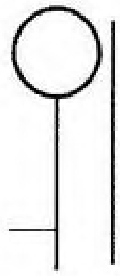
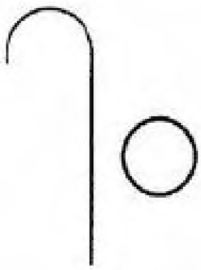
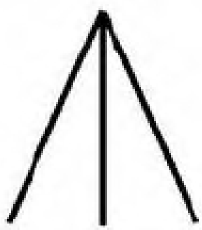
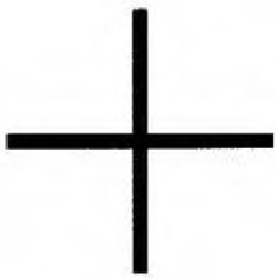
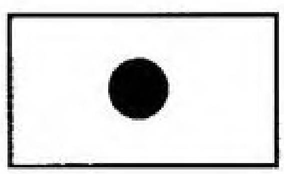
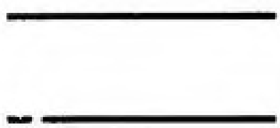
الموعد		
الطليحان		
المذهان		
الهديرس		

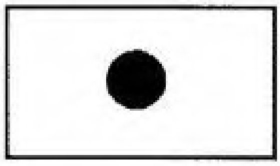
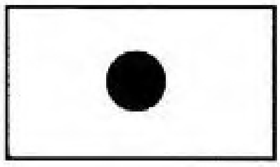
الدريبي		
الحيدر		
الطلاّق		
المقحم		

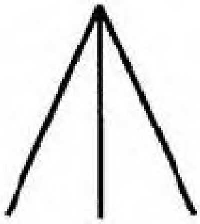
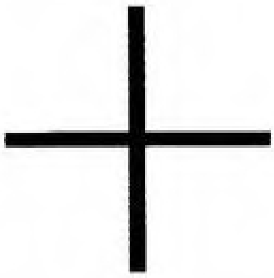
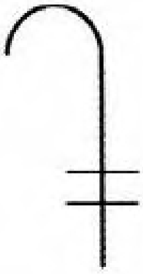
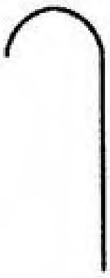
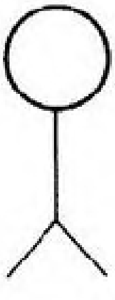
الخزون		
الصبيح		
المسلّم		
الشموط		

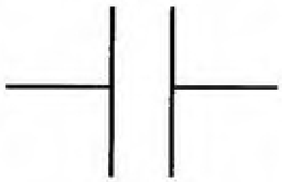
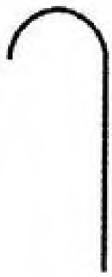
الهقيش		
البشير		
السالم		
الرشيد		

الدليمان		
المورة		
الزيدان- البخيت		
البركة		

السحيم		
الرويعي		
خضير		
الحنيف والثمد والعيطة والقدرة والعبد الله		

الحمد والصالح والكليب والسلمان		
الملحم		
الحمّاد		
القضاة		

الفريج		
الزهير		
الحوالي		
الغيالين		

العكمة		
السليم		

الملحق (٢)

عشيرة الزهير

ينتمي محمد بن سليمان الصويان إلى حمولة الزهير، وهم من الفريج من الجبور من بني علي من بني سالم، من بني صخر، من طيء.

والزهير هم شيوخ الجبور، وقادتهم[١]. وابن زهير هو أرفع مرجع قضائي لدى قبيلة بني صخر[٢]، والمبدأ الذي يقرره يسير عليه جميع القضاة. ويطلق عليه: (قاضي القلطة)؛ لأنه ينظر في القضايا التي تهم الرأي العام وتؤثّر في الحياة الاجتماعية لدى سكان البادية؛ حيث إن من أبرز صلاحيات قاضي القلطة[٣]:

١) الصلاحية القضائية: حين يبتُّ في القضايا المعروضة عليه. ودوره هنا يشبه دور القضاة الآخرين.

٢) الصلاحية التشريعية: حين يشعر بعدم صلاحية بعض السوادي (الأعراف والقوانين) البدوية للمرحلة الاجتماعية التي تمر بها العشيرة، فيقوم بإلغائها أو تعديلها، دون الحاجة إلى إثارة الموضوع عن طريق القضايا المعروضة.

٣) الصلاحية المزدوجة (تشريعية وقضائية في الوقت نفسه): حين تُعرَض عليه قضية هامة، ويكتشف أثناء النظر بها أن تطبيق السوادي أمر لا تقرُّه العدالة على ضوء التطور الاجتماعي الجديد، فيقوم بتعديل السوادي، ويضع مبدأ يسير عليه القضاة الآخرون.

وهنا تأتي أهمية دور ابن زهير في حياة البدو؛ نظراً لأن عدداً من القبائل تتبع سوادي بني صخر[٤]: ومنها عشيرة بني خالد في الجزء الشمالي من الأردن، وعشيرة

---

(١) مفلح الفايز، (عشائر بني صخر)، صفحة ٣٠١.
(٢) محمد أبو حسان، (تراث البدو القضائي)، صفحة ٩٨.
(٣) محمد أبو حسان، (تراث البدو القضائي)، صفحة ١١٠.
(٤) محمد أبو حسان، (تراث البدو القضائي)، صفحة ١٠٢.

السردية، وعشيرة العيسى، وعشيرة السرحان.

ومن أمثلة المبادئ البدوية التي قام ابن زهير بتغييرها، وكان لها تأثير إيجابي كبير في حياة البادية[1]:

١) **زواج ابنة العم**: حيث قام الشيخ محمد بن زهير والشيخ عضوب الزبن بدراسة هذا الموضوع، وأصدرا مبدأً حرَّما فيه (جيرة ابن العم لابنة عمه)؛ حيث إن السوادي القديمة كانت تقضي بأن: (ابن العم ينزل ابنة عمه عن ظهر الفرس)، أي: إن السوادي القديمة أعطت الحق لابن العم في أن يمنع زواج ابنة عمه. ولذلك جاء المبدأ الذي وضعه الشيخان ابن زهير وابن زبن ليعطي مجالاً أوسع للزواج، وخاصة أن حصر الزواج بابن العم أدى إلى الكثير من المشاكل.

٢) **شهادة الفلاَّح**: حيث حدثت قضية بين أحد أفراد عشيرة من عشائر بني صخر مع طرف آخر، وبعد عرض القضية على القاضي، كلَّف القاضي الطرف الصخري بإحضار شهود لإثبات ما يدعيه، فلجأ إلى تهديد وإجبار عدد من الفلاحين، الذين كانوا يخضعون لسيطرة عشيرته؛ ليشهدوا له بالشكل الذي يناسبه. وعندما علم القاضي بذلك، أجَّل البت في القضية وسماع الشهود إلى وقت لاحق، وفي الوقت نفسه رفع هذا القاضي (عملية شهادة الفلاح الذي يخضع لسيطرة من يطلب شهادته) إلى قضاة القلطة في عشائر بني صخر، وهما: ابن زهير وابن زبن. وقد أصدر القاضيان قراراً بمنع سماع شهادة الفلاح الذي يقيم في مناطق نفوذ بني صخر؛ لأنه لا يستطيع أن يؤديها بحرية وصدق، وتُعَرِّضه للانتقام والخوف، وذلك طلباً للعدالة والحقيقة.

وتجدر الإشارة إلى أن الفلاح الذي يقيم في منطقة نفوذ عشيرة من عشائر بني صخر يُمْنَع

(١) محمد أبو حسان، (تراث البدو القضاني)، صفحة ١١١.

من الشهادة لأي فرد من هذه العشيرة، ولكنه يستطيع الشهادة إذا كان أطراف القضية من خارج هذه العشيرة. والقاعدة هي: (فلاح الكنيعان يستطيع الشهادة في قضايا غير الكنيعان).

والشيخ مطيع الزهير وابنه محمد من أشهر قضاة بني صخر، وهم من قضاة القلطة وقضاة الحاملة. وقد سبق الحديث عن معنى قضاة القلطة، أما قضاة الحاملة فهم الذين ينظرون في قضايا الدم وقضايا العرض. وكان الزهير ولا يزالون منقعاً للدم، بمعنى أنهم يتكفلون بحل قضايا القتل وإصدار الأحكام بشأنها. وأصحاب العلم لدى عشائر بني صخر خمسة[1]، هم: ابن فايز، وابن زبن، وابن زهير، والخريشا، والمور. و(صاحب العلم) أو عليم القبيلة، وهو الذي يوصف أيضاً بأنه: (المنيخ المثير) هو الشيخ الذي يقرر حالة الحرب والسلم، وهو الذي يتحمل المسؤولية في النهاية باعتباره رمز وحدة القبيلة وقوّتها.

ومن فرسان الزهير: فوزان الزهير ونجم بن زهير، وقد اشترك الزهير في كون[2] الإخوان الأول عام ١٩٢٢م، ومن فرسانهم فيه نزال بن زهير. وقد قاد الشيخ محمد ابن زهير عشرات من مناضلي عشائر الجبور لقتال اليهود في فلسطين عام ١٩٤٧م، وعسكروا في منطقة العيساوية والشيخ جراح.

وكان للشيخ محمد بن زهير موقف من حلف بغداد عام ١٩٥٦م، فأغضب موقفه كلوب باشا قائد الجيش العربي في الأردن آنذاك، فأمر بسجن الشيخ محمد، وفعلاً سُجن الشيخ لمدة ١٤ يوماً، ثم أُطلق سراحه، وبعد خروجه قابل كلوب باشا فحدث بينهما مشادة كلامية، ومن ضمن ما قال كلوب باشا للشيخ محمد: أنت

---

(١) محمد أبو حسان، (تراث البدو القضائي)، صفحة ٣٨٤.

(٢) كون: معركة.

يا شيخ محمد لا تحب الهاشميين (ملـوك الأردن)، فـرد عليه الشيخ محمد: إنك يا كلوب تعادي كل من يحب الهاشميين وغيرهم.

ومن أيام الجبور، بقيادة الشيخ مطيع زهير، كون أم الجمال بين بني صخر وأهل الجبل ومنهم بني خالد، وعُرِف باليوم الأبيض، وقد سجل هذا الكون في قصيدة طويلة، منها:

اجبورك جتنا صوله
ترطن رطين الدوله

* * *

ياجواد وياهل المثل
قدامكم اهل الجبل
شيخ بهرجته مازل
رجلٍ بالصحيح انعرف[1]

* * *

من ملكادٍ لابن زهير
يشبع الضبع والطير[2]
عليهم يرقع الدف

(١) بهرجته: بكلامه.

(٢) ملكاد: لكد الفرس، أي: دفعها للعدو بالمهماز المعروف بالشابور، واللكدة هي: الإغارة على جمع الأعداء على الخيل دون انتظار الفرسان لبعضهم أو تنسيق فيما بينهم، وقد يُقتل هذا الفارس وقد ينجو، ثم يشتبك الطرفان في القتال.

ومن أيامهم كون سما السرحان، وهو ضد الجيش الفرنسي المستعمر للديار السورية آنذاك؛ حيث قام الجيش الفرنسي بإرسال قوة عسكرية إلى بني صخر لتأديبهم بسبب دعمهم الثوار السوريين. ولما وصلت أنباء هذه القوات إلى الجبور من بني صخر، قام الرجال بتفريغ البيوت من ساكنيها من الأطفال والنساء، ونقلوا مواشيهم إلى مكان آمن؛ حتى لا يستولي عليها الفرنسيون، ثم تمركز الفرسان منهم في أطلال خربة سما السرحان استعداداً لملاقاة الغزاة. وفي هذه الأثناء وقع محمد السكران الجبور أسيراً في أيدي الجنود الفرنسيين، فخدعوه بقولهم له: نحن ضيوف على قومك، ولا ننوي مهاجمتهم. فعاد إلى قومه، ونادى بهم أن يفرشوا للضيوف، وطمأنهم إلى حُسْن نية الفرنسيين، فخرج رجال الجبور من مكامنهم لاستقبال الضيوف، فأصلتهم القوات الفرنسية بنيران رشاشاتها فقتلت وجرحت عدداً منهم. ولكن فرسان بني صخر صمدوا أمام هذا الهجوم الغادر، واستبسلوا للدفاع عن أعراضهم وأرواحهم وأموالهم، وتمكّنوا بعد معركة استمرت من الصباح حتى غروب الشمس من دحر الفرنسيين، وردّهم على أعقابهم، بعد أن كبّدوهم خسائر كبيرة في الأرواح.

ومن الأشعار التي قيلت في ذلك اليوم هذه الأبيات:

اهل العرفـــــــا يا عزي
جتنا فرنســـــا تكزّ[1]
قـمـيـص وراه اســـتاره
ردوا عيـــــال الدهام
صاروا لفرنســـا اخزام
يــوم المـنـايـا حـضــاره

(١) أهل العرفا: نخوة بني صخر عامة.

وردوا عيـــــــال الفريجِ
بنهار ينشــــــف الريجِ[1]
يــوم المكــايــن ســعــاره
راعي العليـــــــا ما ذلّ
بيده ســـــواري عصملي[2]
يلكد عـلى الجيـش ولا يـذل
ومكازي يـذّن بالغـــــــاره

وقال ابن بتلا[3] قصيدة بتلك المناسبة[4]، منها:

قـــــالوا جبورك رحّـــالِ
قالوا يبغون الشـــــمالِ
نظعن مع روس العــــــوال
من ســـــما للمتاعيه
يـالســـــردي تـرك تـضيـعِ
هـذي الـكعابـنـه جميــــعِ

(١) الريج: الريق.
(٢) راعي العليا: هذه نخوة خضير من بني صخر والمقصود بالتحديد مكازي بن جريبيع وهو من خضير. سواري: نوع من البنادق. عصملي: عثماني.
(٣) ابن بتلا: هو مطلق بن رشيد من القضاة من بني صخر... وقد خص مكازي بن جريبيع بالمدح لشجاعته الفائقة، ولأنه من خضير وليس من الجبور.
(٤) من رواية فارس بن هليل الصخري، في منتدى بني صخر banysakhr.com.

لى وقف الصـــــــايح بالريع

الفزعه من فوق الميــــه

يامكازي يابن جريبيــع

اللي لروحه يبيــع

يبيع الـــروح ويشريه

ومن الفرسان الذين ظهرت شجاعتهم في تلك المعركة، سالم النملي الدهام، وفيه يقول الشاعر:

سـالـم الـنـمـلـي يـالـنجاب

مـن فـوق الحـمـرا المـذواب

لـلـروح الـقـشـرا جلاب

يا طير ابشـر بالعلف[١]

ومنهم عكلي الشوشري وغور العوين من الدهام، ومحمد السكران ونصير بن عقيل من الفريج، وغيرهم من الفرسان. وقد سجل الشاعر حميدان بن نهار بن ساكت ابن سالم البطون بن لاحم من الجوده الفريج الجبور أحداث ذلك الكون[٢]:

يا ولد شـــدّ القعودِ

حـرٍ مدموج العضـــودِ

(١) العلف: علف الطير الجارح هو اللحم.

(٢) من منتدى بني صخر banysakhr . com .

علق زهـابك والجـودِ

حرٍ من ركب سـنجاره[١]

كل ما نهمتـه يزودِ

اسـرع مـن رفّ الشـيهانه

ودّه خلّـه يـرودِ

يـخـمّ بطانـة حـوران[٢]

يـذكـر ميّـه وربـيـعِ

يذكر بسـما وبيـاره[٣]

جتـنـا عسـاكـر تـكـدّ

يـا ربـعـي واعـطـوهـم ضـدّ

الـبـزر الأحـمـر يـقـدي

يـقـطـع قـمـيـصٍ وسـتـاره

يـومِ فـرنـسـا تـنـهـلٌ

يـاراعـي الـعـلـيـا مـا ذلّ

بـيـده سـواري عـصـمـلـي

مـكـازي يـذن بـالـغـاره

---

(١) سنجارة: منطقة معروفة في العراق.

(٢) بطانة حوران: الحد المتاخم للبادية الأردنية من جهة الجمهورية العربية السورية.

(٣) سما: سما السرحان وهو مكان الكون.

يـــوم المــتــر يـثــــــــور

نـعــمــك بـعـيـــــــال الجـبـور

طـــلاق هـــو ويَـــــا فـنـخـور

يــا عــز الـوضــــحـا وحـــواره[١]

يـــومٍ نـشــــــــــفت الــريـج

والـــبــزر مــن لـــون الجـيــــــج

نـعـمـك بـعـيــــــــال الـفـريـج

هــم فـكـوهـن هـــــــاك الـنـهـاره

وان كـــثـر صـــــــــفق الايـــدي

هــذا اخــو بنَـــــــــا جـــراد[٢]

حـــرٍ يــريــــــــد الـــهــدادِ

عـلـيـهـم يـجـدى مـنـظــــــــاره

يـــا نــــــــــــاقلات الــذريـر

زغــرتــن بــالــقــرم انصــــــير[٣]

---

(١) طلاق: طلاق بن حتمل بن عيادة من العويدات من الفريج من الجبور. فنخور: من الحريزان من العويدات الفريج من الجبور.

(٢) جراد أخو بنَّا: جراد بن نهار بن ساكت البطون بن لاحم من الجوده الفريج من الجبور.

(٣) انصير: انصير بن ساطع بن رشود العجيل من العويدات من الفريج من الجبور، وهو الشهيد الوحيد في هذا الكون، وهو خال جراد أخو بنَّا.

علـى اقـبـلانـا يـغـيـر

لمـنـه زار الحـفـارة

مـار هـذا حـرب ومحـارب

بـالـعـركـة لـهـم مضـارب[١]

عيـال ولابـهـم ذارب

حمـيـد ولابـه انـكـاره

مـار الـلـي بـالـفـعـل امـتّـاني

حـمـايـة تـال الـشـردان

جـريّـد هـو وسـلـيـمـان

والـبـزر تـواقـد نـاره[٢]

الـتـايـه وقـع وراكـم

بـعـيـونـه ايـتـحـلاكـم[٣]

لا سـود الله قـراكـم

يـشـنـاكـم عـنـد الـعـذارة

انـا احـمـد ولـي هـالخـيـر

يـلـكـد عـلـيـهـم بـالـديـر

(١) حرب ومحارب: حرب ومحارب ابنا حامد الحريزان من العويدات الفريج الجبور.
(٢) جريد: جريد بن سليمان بن خنيفس من الجوده الفريج الجبور.
(٣) التايه: التايه بن سليمان من الجوده الفريج من الجبور.

ضيـــف الله ولـــد ابـــن احـمـيـر

والـــبـزر يـقـدح شـــــــراره[١]

وهذه بعض أبيات للشاعر سالم نهار البطون الفريج الجبور يتحدث فيها عن بعض فرسان الجبور[٢]:

ســـبحان ربـي منبـت كل مبـذور

منـزّل كتـــابـه حتـى النمـلـه ذكرهـا

العالـي المعتلـي صـــاحـب النهي والشـور

علـى البســيطه خلـق ربـي نشـرها

كنـه علـى النجحـان الـكل مســـرور

ونحمـد اللـي خواطرنـــا جبرهـا

وكنّـــه علـى الماضـي كلٍّ بمقـدور

وكلٍّ يعـرف ســـهلته مـن وعـره

لـو تنشـد ابـن دويـلان بصـيحـة الجـور

يـوم ابتلـع الســـبع قـــاع بذرهـا[٣]

يصـيـح صـيحـة مـن خـوا الـراس مقهـور

واللـي ســـمع الصـيحـه لـوّح ظهرهـا

(١) ضيف الله : ضيف الله بن محمد بن احمير بن لاحم من الجوده من الفريج الجبور .

(٢) من منتدى بني صخر banysakhr . com .

(٣) ابن دويلان: من الغيالين من الجبور .

فزعـوا عيـال فريـج تقـول صـولـة نمور

هـم منـوة اللـي للشـدايد ذخرهـا

قاموا على شهب النواصي بالرجل شـابور

يشـبه خيـوط القطـن تلقـى بثرهـا

طبـق اخـو سـكرة تقـل ذيـب مسـعور

وجـراد اخـو شـنوا زالـوا خطرهـا[١]

حتمـل اخـو خضـرا دوا كل مسـطور

كـم سـابق بالكـون حتمـل بثرهـا[٢]

ونهـار اخـو صبحـا تشـهد لـه صخـور

حتـى القديمـي اشـبعه مـن حمرهـا[٣]

وحـش وحـش الخيـل بالكـون مذكـور

وكـم سـابق بالخيـل يخلـي ظهرهـا

خـوات حمـده بالوغـى دايم حضـور

صقـور تصيـد الغانمـة مـن صـفرهـا[٤]

---

(١) طبق أخو سكرة : محمد السكران الختان الفريج الجبور ؛ جراد أخو شنوا : جراد الجودة الفريج .

(٢) حتمل أخو خضرا : حتمل العويدات الفريج .

(٣) نهار أخو صبحا : نهار المحيجين من الجبور .

(٤) خوات حمده : لم أعرفهم .

خـــوات زرقـا بالقاحمـات مظهـور

لـي خفـت الشـــردان والقـت دبرهـا[١]

خـــوات بنـا لشـرد كل مذعـور

مثـــــل الروابـي ثابتـة بصـخرهـا[٢]

ونســـيت قـوم ننطـح بهـم كل ممـرور

لكلشـت عصـم الشـوارب شـــعرها

ويـن انت عن فـوزان جنـــب فطر الخور

لـو تنشـــد البكريـة تعطـي خبرهـا[٣]

ويـن انـت عـن نجـم بالكـون مشـــهور

جمع ابـن مرشـــــد والعـادي دمرها[٤]

ونســـيت محمـد ذرى كل مكسـور

لـي صاحـت الجبرية محمـد ســـترها[٥]

واذكـر هـل الصـــفرا والفعـل مخبـور

خـوات فلوه يا سِـــــعْد مـن نحرها[٦]

---

(١) خوات زرقا: هم الحريزان من الفريج.

(٢) خوات بنا: هم الجودة من الفريج.

(٣) فوزان: فوزان الزهير.

(٤) نجم: نجم الزهير.

(٥) محمد: محمد بن مطيع الزهير، شيخ الجبور في وقته.

(٦) هل الصفرا: الخرشان، خوات فلوة: الخرشان، وقد خص الخرشان؛ لأنهم والجبور من الكعابنة.

اولاد صخر والنعم من غير مخصور

والنعم بالاجواد لساني ذكرها

وصلاة ربي عدد ما هلّ ممطور

على النبي المختار دينه نشره

وينتمي عوائل بني صخر الذين في القصيم إلى الزهير؛ حيث إن زهير بن فلاح بن سالم (وهو من عشيرة الزهير من بني صخر) حل ببلدة الشنانة (التابعة حالياً لمحافظة الرس) بالقصيم حوالي عام ١١٥٠هـ، وقد أنجب هذا الرجل أربعة أولاد، هم: شبيب، وعلي، وشايع، وضويان.

أمّا الولد الأول (شبيب) فقد أنجب الكثير من الأولاد، وتفرَّعوا في عدة أسر معروفة في القصيم، وهي: الحربش، والمحيَّا، والقريَّان، والقعود، والعميري، والعمير، والشنان، وأبو شنان، والجردان.

والولد الثاني (علي) أنجب كذلك الكثير من الأولاد، وهم عائلة واحدة كبيرة هي عائلة الصويَّان. وهؤلاء في مدينتي: الرس وعنيزة.

والولد الثالث (شايع) أنجب كذلك الكثير من الأولاد، وتفرعوا في عدة أسر معروفة في القصيم، وهي: الدغيِّم، والدويِّش، والدويش، والجميلان.

والولد الرابع (ضويان) أنجب أيضاً الكثير من الأولاد، وتفرعوا في عدة أسر معروفة في القصيم، وهي: الضويَّان، والروضان، والبغيليل، والعبودي.

ومن عائلة الضويَّان، الشيخ إبراهيم بن محمد بن سالم الضويان - رحمه الله - أحد العلماء في منطقة القصيم.

وقد ترجم الشيخ عبد الله بن بسام[1] للشيخ إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، فقال: (ولد الشيخ إبراهيم بن ضويان عام ١٢٧٥هـ في بلدة الرس في القصيم. وقد قرأ على علماء كبار. قال فيه الشيخ محمد بن رشيد: إن شيخي إبراهيم بن ضويان من الفقهاء الكبار وله اطلاع واسع في الفقه. وقال الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد: اشتهر بالعلم والفضل وفاق أقرانه، وكان إليه المرجع في الرس في الإفتاء والتدريس والنفع العام؛ فصار عالم بلده، ومن كبار علماء القصيم. ومن مشايخه، الشيخ عبد العزيز بن مانع، والشيخ محمد بن سليم، والشيخ صالح القرناس.

ومن مؤلفاته: منار السبيل في شرح الدليل، ورفع النقاب في تراجم الأصحاب، ورسالة في أنساب أهل نجد... وغيرها.

توفي - رحمه الله - في ليلة عيد الفطر عام ١٣٥٣هـ، بعد صلاة التراويح وقبل صلاة القيام قبل أن يأتي الخبر بالعيد، وكان ذلك في بيت العنيزان حينما كان يتناول القهوة مع بعض جماعة المسجد، وبعد تجهيزه صُلي عليه بعد صلاة العيد في مصلى العيد).

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن البسام، (علماء نجد خلال ثمانية قرون)، الجزء الأول، صفحة ٤٠٣.

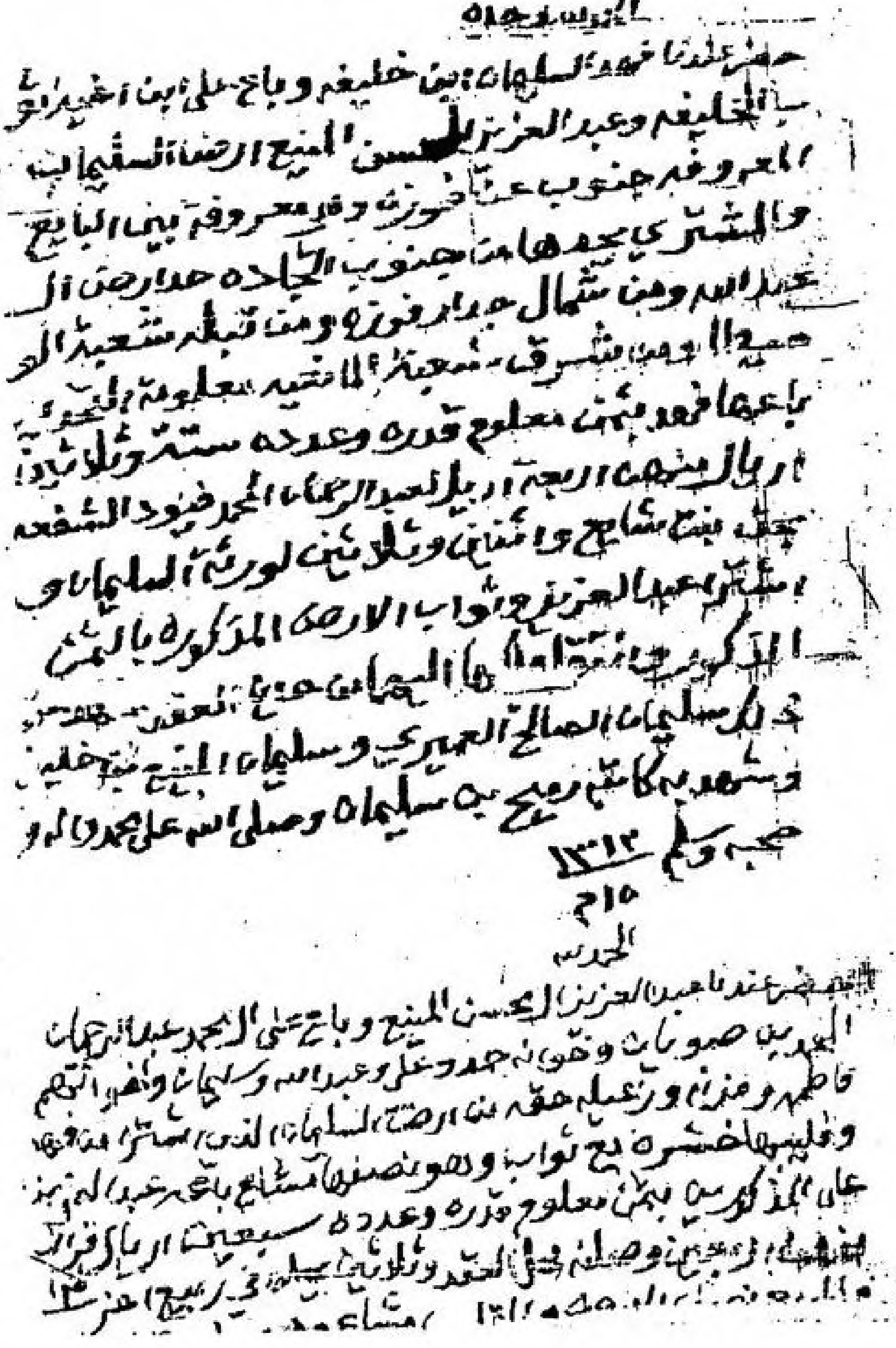
الملحق (٣)

وثائق وصكوك

ابتلي به ... بداوه انه حضر عندي ... ابراهيم الهزاع ... [illegible]
شغله وانه يسأل عن نخله المعلوم ... له ... نخلتين في بلكه
الاول ... واولاده علا حال التي ... علا ...
جده ... الفلاح في ... [illegible]
... ... هزاع علا
... بادوام ... وجنه ...
وابطل ... صبنه محمد نخلتين ... علا البركه وواحده
شمال البركه وواحده بشرقي البركه علا انها ...
مضحا بادوام له ولا الايه ... وجنه ... وهزاع وكيل
علا الي في صبنه ومحمد وكيل علا الي في صبنه وابطل ...
في ... [illegible]
[illegible]
... صاع كل ... به ... عشره
... في ... دوام ... ثلث ...
... وابطل ... [illegible]
... ... وهم ... وابطل نخله الاول ...
... [illegible]
... عند هم ... [illegible] ... الي
عشره ... الاول وعشره ... [illegible]
... وابطل ... في نخله المعلوم ... سعود ...
... [illegible] ... ولده ...

واخو ابراهيم اسليمه واخته عمه محمد واخيه لمحمد
هيا وعوضي و[illegible] بيعه و عنه [illegible] بيعه ثلاثين بقضي بهن لمحمد ولمحمد انه
للذكور لمذكورين و[illegible] محمد [illegible] ثلاثين [illegible]
[illegible] للاثنين فهو وكيلهن وايضا [illegible] ابراهيم بان بنا ته
[illegible] من جميع املاك النخل والاطيان فيه [illegible]
[illegible] كل واحده له مئة ريال ونخله النخل [illegible]
بعد علي [illegible] ونخلة [illegible] بعه [illegible] محمد ونخلة
[illegible] عند [illegible] وهن [illegible] والاهن [illegible] بن دراهم
بن ابراهيم [illegible] ناجزات وتوصلهن [illegible] عن [illegible]
[illegible] ريال [illegible] وهي زوجته [illegible] نخله [illegible]
[illegible] شهود [illegible] على [illegible] عبد الله بن [illegible]
وحضرت عند [illegible] وقبلت هذه [illegible] والشلشها [illegible]
وعمه ابراهيم [illegible] عبد [illegible] محمد [illegible]
على [illegible] ولمحمد [illegible] ولمحمد
صالح [illegible] وكتبه [illegible] بن عبد الله [illegible]
[illegible] سبع وسبعين من الهجرة بعد الالف و[illegible]
وصلى الله على محمد

[illegible]



الحمد لله وحده

حضر عندنا محمد السليمان بن خليفه وباع على ابن أخيه [illegible]
الخليفه وعبد العزيز الحسن المنيع أرض [illegible] السليمان [illegible]
المعروفه جنوب [illegible] خوزه [illegible] معروفه بين البايع
والمشتري يحدها من جنوب الجاده حد أرض آل
عبد الله ومن شمال جدار [illegible] ومن قبله شعيب آل
[illegible] ومن شرق شعيب [illegible] معلومه [illegible]
باعها محمد بثمن معلوم قدره وعدده ستة وثلاثين
ريال [illegible] أربعة [illegible] عبد الرحمن المحمد [illegible] الشفعه
[illegible] اثنين وثلاثين لورثة السليمان
[illegible] عبد العزيز [illegible] الأرض المذكوره بالثمن
المذكور [illegible] السليمان [illegible]
[illegible] سليمان الصالح العميري وسليمان [illegible]
وشهد به كاتبه [illegible] بن سليمان وصلى الله على محمد وآله و
صحبه وسلم ١٣١٢
١٥ م

الحمد لله

حضر عندنا عبد العزيز الحسن المنيع وباع على [illegible] عبد الرحمن
[illegible] وهو [illegible] وعبد الله وسليمان [illegible]
فاطمه [illegible] حقه من أرض السليمان [illegible]
[illegible] عشره [illegible] ونصفها [illegible]
على المذكورين بثمن معلوم قدره وعدده سبعين ريال [illegible]
[illegible] ربيع [illegible]
[illegible]

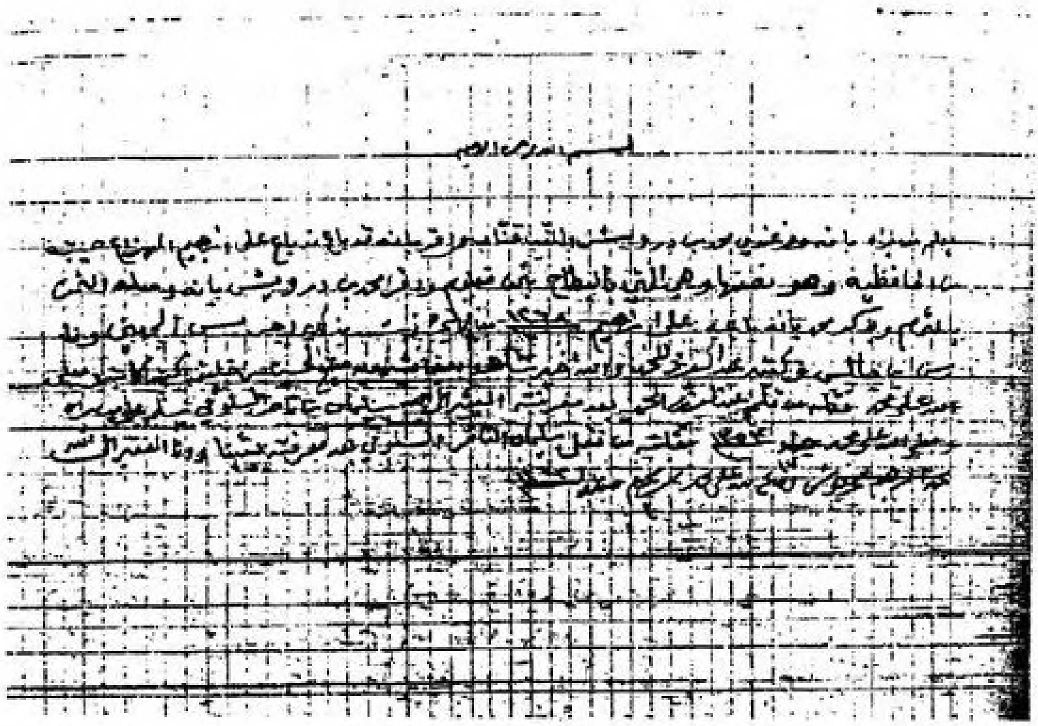
بسم الله

حضرت عندي الحرة البالغة العاقلة هيا العلي احويان
وهيا تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمد عبده
ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه وان الجنة حق والنار حق وان الله يبعث من في القبور
وانها اوصت في ثلث مالها في اعمال البر في عشيات او في ضحيه
ووصت في حجه لها والوكيل ابن اخيها علي الصالح احويان
ويصرف الثلث على اقاربها ... والوكيل وايضا
سبلت دارها المعروفة ... وريع الدار لها ولوالديها
عشيات او ضحية والوكيل علي الصالح المذكور اعلاه شهد
على ذلك علي العبد الله الحويان
وشهد على ذلك ... العبد الله
صالحي
وشهد به كاتبه صالح ابن احمد ... فلاح
وصلى الله على نبينا محمد وسلم

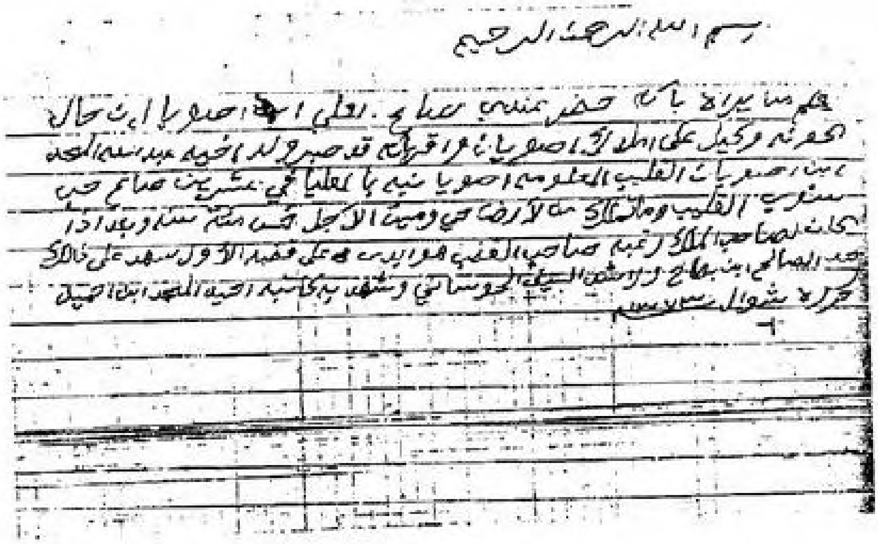
١٣١٧

٢٥





بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه بأنه حضر [illegible] علي [illegible] احمد [illegible]

[illegible] وكيل على املاك [illegible] واقر بأنه قد [illegible] اخيه عبد الله [illegible]

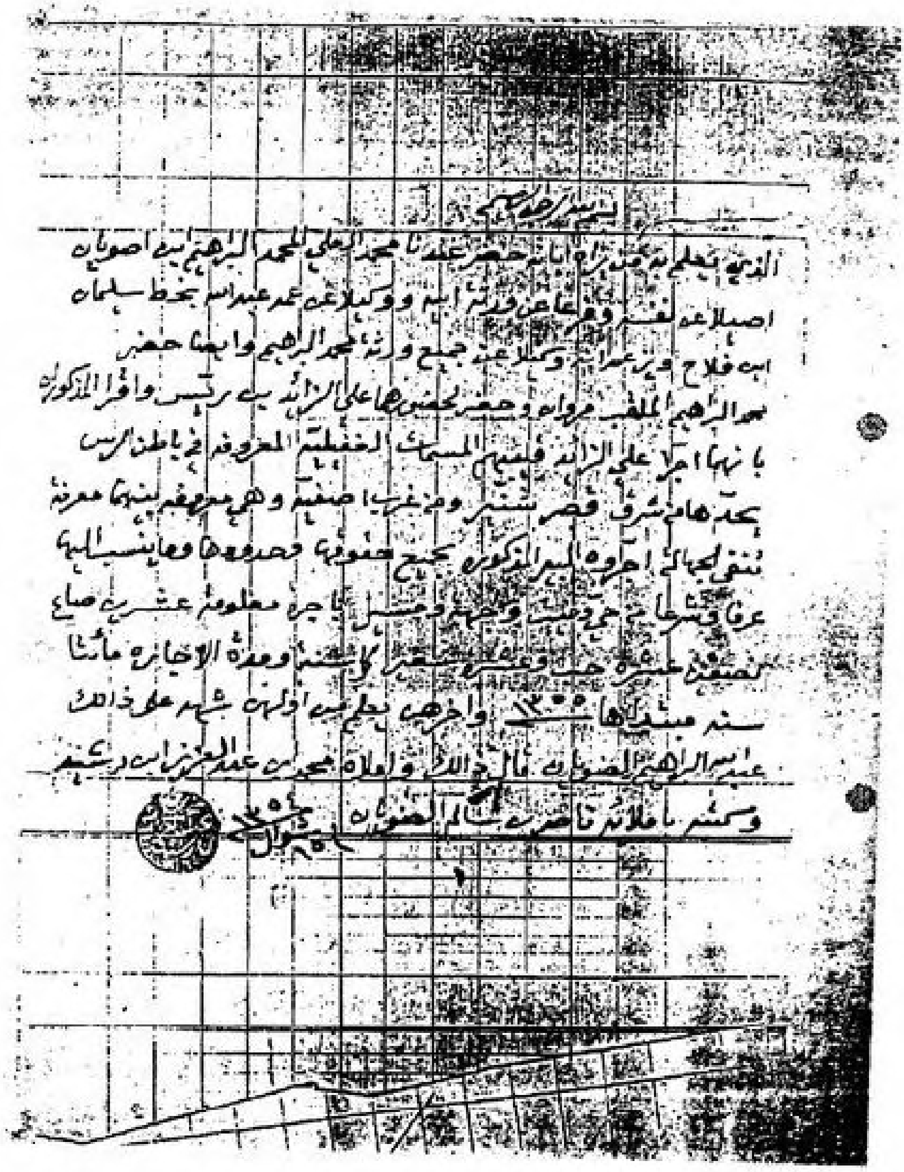
[illegible] القليب المعلوم [illegible] بالعليا [illegible] عشرين صاع حب

[illegible] القليب وما [illegible] من الأرض [illegible] الأجل [illegible] سنة [illegible]

[illegible] صاحب الملك [illegible] صاحب [illegible] على [illegible] الاول شهد على ذلك

[illegible] الصالح بن صالح [illegible] وشهد به كاتبه [illegible]

حرر [illegible] شوال سنة [illegible]

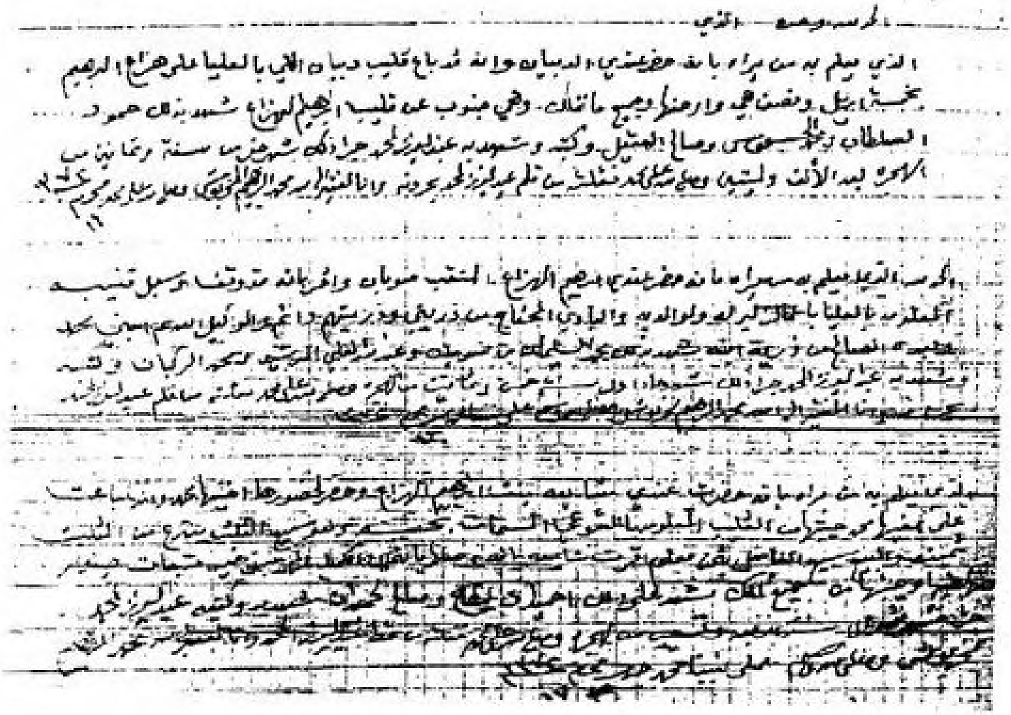


بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعلم به من رآه انه حضر عندنا محمد العلي المحمد البراهيم ابو اصويان
اصيلا عن نفسه ووكيلا عن ورثة ابيه ووكيلا عن عمه عبدالله بخط سليمان
ابن فلاح [illegible] ووكيلا عن جميع ورثة محمد البراهيم وايضا حضر
محمد البراهيم الملقب [illegible] وحضر بحضورهما علي الزايد بن رئيس واقر المذكوره
بانهما اجرا على الزايد فليح المسماه الخفيليه المعروفه في باطن الرس
يحدها من شرق قصر [illegible] ومن غرب اصفيه وهي [illegible] بينهما معرفه
[illegible] البير المذكوره بجميع حقوقها وحدودها وما ينسب اليها
عرفا وشرعا [illegible] باجرة معلومة عشرين صاع
[illegible] وعدة الاجاره مايتين
سنه مبتداها [illegible] واخرها [illegible] شهر على ذلك
[illegible] محمد بن عبد العزيز [illegible]
وكتبه [illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم





بسم الله الرحمن الرحيم

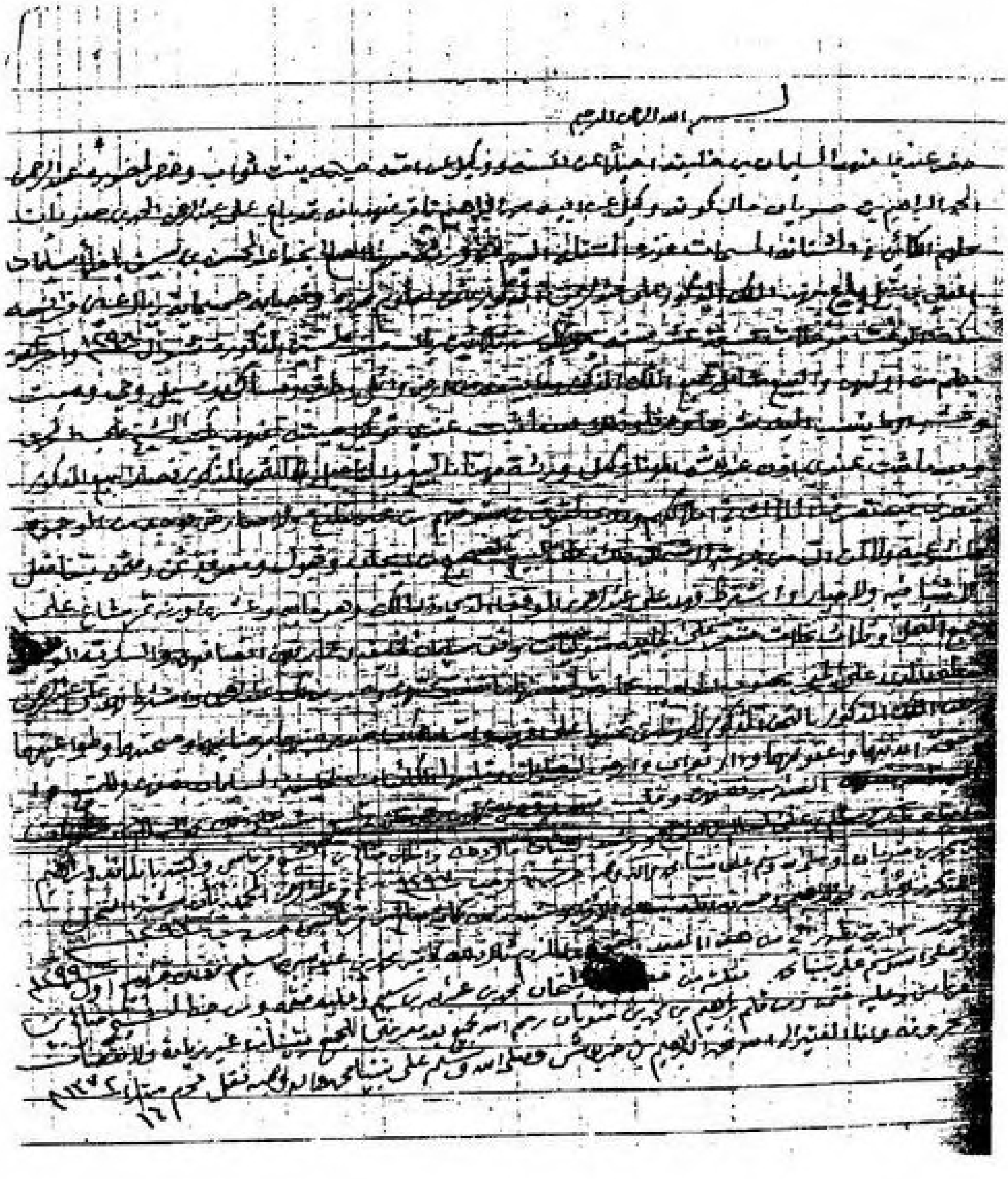
الحمد لله وحده

١٢٦٦هـ

الحمد لله وحده

أقر ابراهيم الهزاع الملقب صويان بأنه قد باع على
محمد بن تركي فرنات مشتراه من الفداوية ويختال نصره
وهو ثلث حدره من ابن ابراهيم الحمود المعروفة بالوطيات بمسمى الملدوف
وهو هيتجا له ونصيبه من الأشياع باع على محمد بنفسه فعلوم
مقرا هو دضا به خمسة ريالات بلغه الثمن في مجلس العقد
ولم يكن له في المبيع دعوى ولا سبب ولا ثنيا ولا خيار وباع
ابراهيم على محمد بيعة شرعية مشتمل على أركان البيع
وشروطه من ايجاب وقبول شهد على اقرار ابراهيم وصدقه
محمد شهد بذلك عبد الله الصالحي وأخيه عبد العزيز ومحمد
بن عبد الله كتبت شرط ذلك محمد بن عبد الله العقربا له ذو عدم
خامس عشر جماد ١ في سنة ١٢٧٤ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
اجمعين والمشتري للابتدا في سبيل الجار

١ الصويان من حولة من الزجير مثبت على الوجه جماعة على بن صالح بن محمد
ابن ابراهيم بن هزاع الصويان



بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مطابع أضواء المنتدى ت :٠١/٢٤٢٣٢٧٣ ــ فاكس : ٠١/٢٤٢٣١٩١